

BOBST LIBRARY

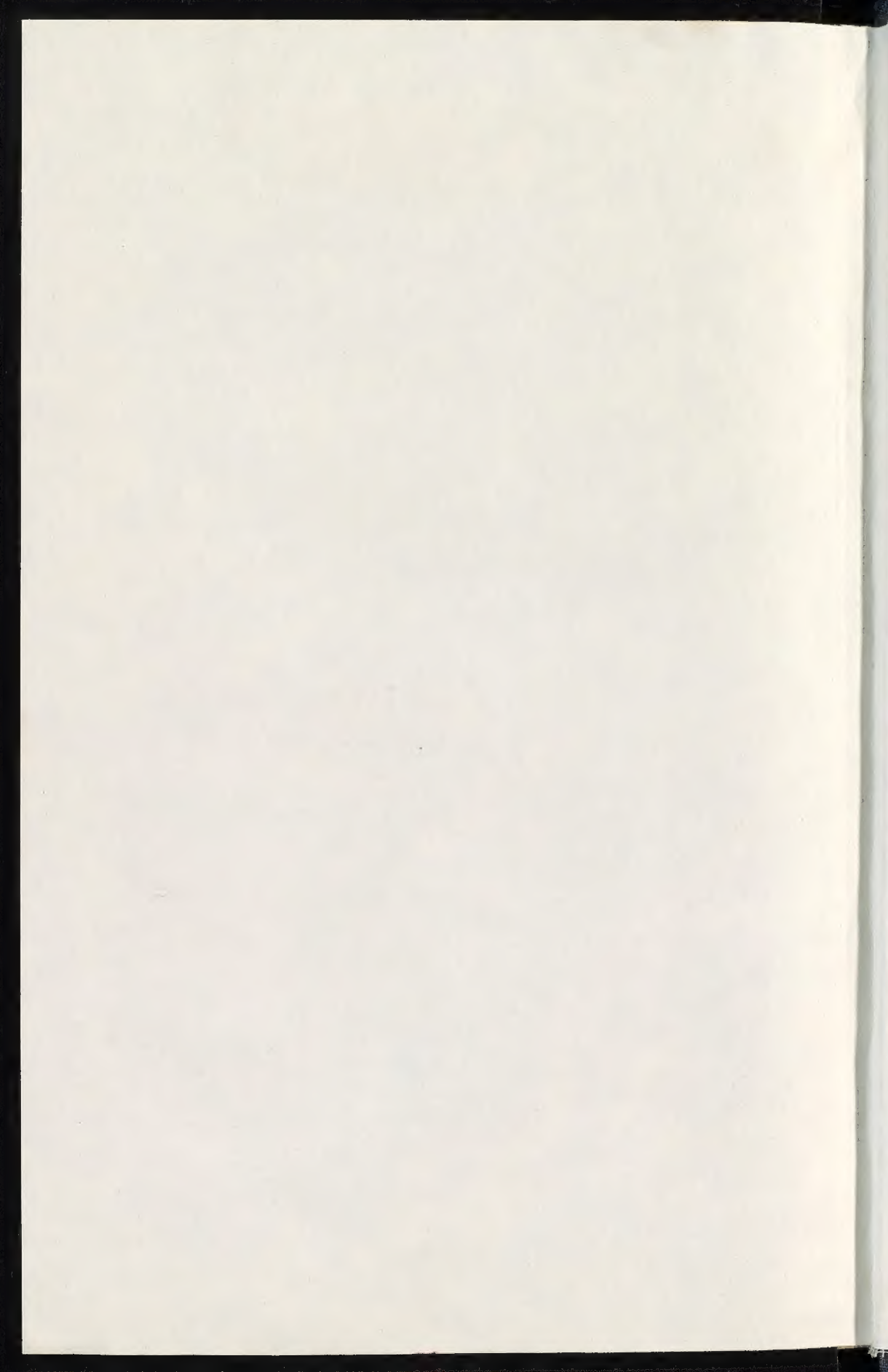


3 1142 01067 5562



Elmer Holmes
Bobst Library

New York
University





Arslān, Shakīb
" / Diwān /

ديوان الأمير شكيب أرسلان

وهو ما تركه العثور عليه منه شعر أمير البيان

في خمسين سنة



وقف على طبع القسم الأكبر من هذا الديوان

ونصحه ملازم

فريد الشرق والاسلام المرحوم الامام

السيد محمد رشيد رضا

منشئ المنار

سنة ١٣٥٤ - ١٩٣٥

مطبعة المنار بدمشق

تصدير ديوان

امير البيان



﴿ لما علم شاعر الاقطار العربية وشيخ الادباء
الاستاذ خليل بك مطران بقرب ظهور ديوان صديقه
وعشير صباه صاحب العطوفة الامير شكيب أرسلان
أحب أن يضع له كلمة التصدير التي ثبتها في صدر الديوان،
قال الاستاذ حفظه الله ﴾ :

هذا ديوان امير البيان ! أفي حاجة أنا الى تسمية صاحبه بعد هذا
النعته الذي نعته به الاجماع في الأمة العربية ؟
أتسمح لي أن أصدره بهذه الكلمة وفي النفس داع من الود القديم؛
وباعث من الإعجاب والاكبار ، فاتهزت الفرصة السانحة ، مغتبطا
بها ، ولا أبرىء اغتباطي من أثر فيه للآثرة فان حظي من الفخر بهذا
التصدير أضعاف حظ الصديق الكريم .

بدأ الامير شكيب أرسلان حياته الأدبية بنظم الشعر فاشتهر به
ولما يعد السابعة عشرة من عمره . وقد طبع في ذلك الوقت ديوانا جمع
به أوائل شعره وسماه (الباكورة) فتوسم مطالعوه أن ناظمه يرقى
حيثا الى مقام لا يرام بين شعراء العربية . ولو ظل الأمير معنيا بذلك
الفن الرفيع لصدق فيه ما ظنوه كل الصدق .

غير أن شأنا آخر من الشؤون الضخام التي هي أشد اغراء للرجل
البعيد المطمح في مطالب العلياء صرفه وشيكا عن الهيام في مسابح

PJ
7814
R7
1935

C. 1

JUL 26 1984

الخيال والضرب في آفائه الاذينة الى منازلة الحوادث والايام في معترك الحقيقة.

ففي هذا المفترق الأول من السبل التي يواجه بها المرء مستقبله أثر الأمير الترسى ومضى فيه متدفقا تدفق ينبوع الصافي مجلجلا أحيانا جلجلة السيل الكثير الشعاب. وما زال حفظه الله منذ خمس وأربعين سنة يتحف قراء العربية في مشارق الارض ومغارها بكتب قيمة يقتبسون من أنوارها هدى أو يفيدون من مختلف الآراء المنبثة فيها ما يهيء لهم من أمرهم رشداً، الى رسائل متنوعة يحتلون محاسن أغراسها وأزهارها ويحتنون ما يغذى العقول ويفكه القلوب من أطايب ثمارها، الى فصول ومقالات تنشرها المجلات الدورية والصحف اليومية في كل قطر فما ينقضى يوم من أيام تلك البرهة الا وله في كل منها قلائد تزهى بها صفحاتها أو فرائد تزرعها أنهارها. ولو تفرغت طائفة من حملة الاقلام جم عديدها فياضة قرائحها فيما يشاء الله من مسائل السياسة والاجتماع والأدب ومباحث التاريخ والاخلاق لكتابة ما كتب من تلك الفصول والمقالات لتعذر عليها أن تأتي مجتمعة بما أتى به ذلك العلم الفرد.

على أن الذين تتبعوا كما تتبعت آثار الأمير شبيب قد تبنوا منذ الساعة الاولى سر المزية التي امتاز بها شعره ونثره جميعا فأحلاه الذروة المنعومة الرفيعة التي حلها بين الافذاذ المبرزين من متقدمين ومتأخرين.

ذلك السر هو أنه ملك اللغة من أول أمره ولا اتغالى اذا قلت انه جمع معجمها في صدره بله ما استظهره من اساليب بلغائها ورواه من

روائع فحول شعرائها وفي أثناء وروده تلك الموارد من فصيح العربية كان يرى وجوه الانطباق بين المصطلحات القديمة والمصطلحات الحديثة ويتبين كيف تصرف المتقدمون فيما وصل اليهم من الاصول ليفرغوا عليها المعاني الجديدة التي تعاقبها تصرفا لم يناف سلامة القول ولم ينافذ مقتضى البلاغة على تحول الاحوال وتعدد العهود

فلما اتسقت له هذه الخصال وتوافرت لديه تلك الاسباب وأفاض من واسع علمه بالعربية على ما أكسبته الخبرة آنا بعد آن من مزاكنات المبتدعات الحديثة ومقتضيات الاحوال العصرية ما دق منها وما جل بين حسي ومعنوي ، عدل غير مبطل عن تشبثه الاول بالمحض الخالص من الاساليب المأخوذة عن الصميم من القديم ولم ير له بعد ذلك مكتوب الا وهو مطبوع بطابع السلاسة والانسجام والغزارة مع الحرص على شرف المفردات ورصانة التراكيب مجتمعاً كل أولئك في طابع الامير شكيب

تلك غاية لم يدركها غير هذا العبقري في الترسل ولو قد رامها في الشعر لادرکها كما قدمت . غير انه اذا كان قد رضى لنفسه في الشعر أن يكون المقل المجيد فلا مشاحة في انه انفرد بين المترسلين بانه المكثر المجيد .

وان من ينظر جملة الى صنيع الامير شكيب ليجد بحرا زاخرا في الادب ليست اللواوات المنظومة فيه الا شقائق للآلئ المنثورة منه في كل جانب

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَاْنَا

هذا ديوان شعري من أيام الصغر إلى أيام الكبر، تتجلى فيه روعي لحدثاً وشاباً، وكهلاً وشيخاً، ويعرف منه القارئ أنها روح لم تنزل يشبه بعضها بعضاً في جميع أدوار الحياة، لم يكن غرضي من نشر هذا الديوان إظهار فصاحة أفاخر بها، ولا إثبات براعة أعلق بأسبابها، ولا حشد كلمات أتوخى إرسالها، ولا تسير شوارديقال : من ذا قالها؟ لاسيما وقد بلغت السن التي يضعف فيها التفكير في المفاخرة، ويقوى التذكر للآخرة، ولكنني قصدت جمع هذا الديوان لحصال ثلاث :

(أحداها) ان الشعر لقائله، كالولد لناجله، فأخشى من بعد انصرافي من هذه الدنيا أن ينسب إلي ما لم أقله، ويلحق الناس بخاطري ما لم ينجله، ويعزى إليه من قداح الفكر ما لم ينجله، فالقد وقع لي من هذه الأماثل جرم في أثناء حياتي، فكيف تكون الحال بعد وفاتي، والشاهد حينئذ يكون قد صار بعيداً، والثبت إذ ذاك يصبح مفقوداً، وكما أنه يجوز أن ينسب إلي ما لم أقله يجوز أيضاً أن ينسب كلامي إلى سواي، وأن يختلف الناس في ملكي له بما قد أهملت من دعواي، فرأيت الأصلح لأمري - والمرء فسئول عن نفسه في الحياة وبعد الرحيل، ومطالب بأن يثبت الحقائق عن نفسه وأن يحتاط لذلك قبل أن يصير تحت الرمل المهيل - أن أجمع ما وجد

في يدي من أشعاري ، وأن أجتهد في أن لا ينسب أثري إلى غيري ولا ينسب إلي غير آثاري

(الخصلة الثانية) أن بعض هذه القصائد متعاقب بوقائع تاريخية مشهورة ، وبعضها متضمن لمبادئ سياسية مأثورة ، فنشرها حصّة من التاريخ يتميز فيها من اعتدل عن اعتدى ، ويعرف من ضل من اهتدى ، فلم يزل الشعر وهو الخيال المجسم أحسن قيد للحقائق ، ولم تزل الوقائع التاريخية تأخذ من الوزن والقافية أثبت المواقف ، وكم من واقعة تاريخية نشدها المؤرخون في أقوال المنشدين ، وكم من رجل لم تخلده التواريخ وجعله الشعر من الخالدين

(الثالثة) انه كان لي أصدقاء وأتراب ، واخوان ترافقني عليهم الحسرات الى التراب ، ومن الأعلام من لم أعرفه بوجهه ، ولا كنى عرفته بآثاره ، وقطفت من ثوّاره ، مثل الشيخ أحمد فارس صاحب الجوائب ، وعبدالله باشا فكرى الشاعر الكاتب ، فأما الذين رثيتهم من أصحابي فهم عبدالله باشا فكرى ، ومحمود باشا سامي ، وأمين باشا فكرى ، ومحمد بك فريد وكامل بك الأسعد وأحمد باشا تيمور والشيخ عبد العزيز شاويش ، وأحمد بك شوقي ، والشيخ عبد القادر الشيبى ، والحاج عبد السلام بنونه ، وأخي نسيب ، وغيرهم ممن كانوا غرة في جبين الدهر ، وكان ذكرهم عييراً يأخذ منه كل زمن ما يأخذ الروض من الزهر ، أفرغ الله عليهم سجال عفوه ورضوانه ، وحياتهم في آخرتهم برّوحه وريحانه ، فقد أحببت أن أثبت أرواحهم الزكية الوجد الذى أجده من فراقهم ، وأن أنشر بعد طي أجسادهم ما أعرف من محاسن أخلاقهم ، فأكون وفيّتهم بعض حقوق الوفاء ، وأديت اليهم من الأمانة ما فيه للنفس شفاء

هذا وقد كنت في السابعة عشرة من العمر طبعت في بيروت أوائل
شعري في ديوان سميته (البا كورة) ولم يكن بقي منه إلا نسخ نواذر فراجعته
في هذه المدة الأخيرة فلم أجده دون أن ينسب إلي ، ولا أصغر من أن
يقبل علي ، بل قد رأيت الشباب أشعر من المشيب ، ووجدت أحسن
الغريض . ما جاء في العهد الغريض ، ولذلك ألحقت بديواني هذا أكثر
من كنت نشرته في البا كورة ، بحيث قد نظم هذا الديوان حاشيتي العمر ،
جمع ما قدم وما حدث من نتائج الفكر ، والله أسأل أن يتداركني
بنطفه : ويسددني بفضله ، وأصلي وأسلم على محمد خاتم أنبيائه وسيد
رسله ، الهادي لأقوم سبله ؛ وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

شكيب أرسلان

جنيف ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٥٤



القسم الاول من الديوان المراسلات السامية

أريد بها ما دار بيني وبين أمير الشعراء في وقته محمود سامي باشا البارودي رئيس نظار مصر سابقاً، وذلك لما كان في منفاه بسيلان على إثر الحادثة العراقية. وقد كانت فقدت من عندي بعض هذه المراسلات فاضطرت الى طلب مجلة الزهور الأدبية من مصر، لأنها كانت قد نشرتها وهكذا عثرت عليها كلها ما عدا قصيدة ميمية كنت بعثت بها الى محمود سامي سنة ١٩٠٢ من طبرية حيث كنت أبذل الهواء، وأما جواب محمود سامي على هذه القصيدة فقد وجدته بين أوراقى، ولنبداً الآن بالمراسلات التي وجدت في مجلة الزهور، ولا بأس بأن ننشر المقدمة التي صدرها بها شاعر القطرين خليل بك مطران، وهو قوله عن صاحب هذا الديوان: حضري المعنى . بدوي اللفظ، يحب الجزالة، حتى يستسهل الوعورة، فاذا عرضت له رقة وألان لها لفظه، قتلك زهرات ندية ملية شديدة الرأيا ساطعة البهاء كزهرات الجبل نبغ منذ طفولته في الشعر . وكان أبكر الفتيان في نشر ديوان له^١ وجاء ديوانه في وقته آية

غير أنه لم يلبث أن ترك الشعر وانصرف الى الترسل فحبس فيه ما أوتيته من العبقرية فهو الآن في مذهبي امام المترساين على أنه قد يدعو دواع من النفس أو من الطوارىء فينظم، ينظم كما ينثر، فيأض الفكر غير تعب . لكن نظمه يحمل في عهده الآخر أثراً من نثره ؟

خليل مطران

(١) نظمت الشعر المطبوع المطبوع في الجرائد وأنا ابن ١٤ سنة ونشرت الجزء الأول من ديواني المسمى «بالبا كورة» وأنا ابن ١٧ سنة ومنذ ذلك الوقت لم أهتم بجمع شعري ولا لنشره إلى أن عنت لي هذه الفكرة في هذه الأيام للأسباب التي أوردتها في المقدمة

قلت الزهور

استشهد الأمير شبيب في بعض كتاباته أولاً وثانياً بأبيات
ارودى على غير معرفة شخصية سابقه . فكتب محمود سامي باشا الى
الأمير بالمقطوعة الآتية . قال :

شدت بذكرى بادئاً ومعقباً
وما ذاك ضناً بالوداد على امرئ
نأماً وقد حق الجزاء فلم أكر
فكيف أذود الفضل عن مستقره
وأنت الذي نوهت باسمي ورشتي
لك السبق دوني في الفضيلة فاشتمل
ودونكها يا ابن الكرام حيرة
فأجابه الأمير

لك الله من عان بشكر منمنم
شهم أبي النفس أضحي يرى يداً
أى كرمأ منى تذكر قوله
ولو كان يدرى فاضل قدر نفسه
أيعجب من تنويه مثلي بمثله ؟
ومهما يكن من أعجم بفضله
إذا مطر الغيث الرياض بوابل
إذا ما تصبت بالعميد صباحة
وهل ينكر الاحسان الا لئامة
وهل في شهود الشمس أدنى مزية
رويدك لا تكثر لدهرك تهمة
لتقدير حق من علاك محتم
تذكر فضل أو جميل لمنعم
فدل على أعلى خللاً وأكرم
رأى ذكره فرضا على كل مسلم
لعمري الذي قد شق في شعره في
يرى ثمقياً في الورى كل أعجم
فأى يد للطائر المترنم ؟
بوجه فما فضل العميد المقيم ؟
وينكر حسناً غير من طرفه عمي ؟
وقد جاء ضوء الشمس لم يتكتم ؟
ولا تياسن من أهله بالتوهم

فما زال من يدرى الجميل ولم يكن
وأنت الذى لو أنصف الدهر لم يكن
جمعت العلى من تَلْدِيها وطريفها
غدت خَطَقِيْ إِمَّا يَراعٍ ومُخْذَم
ولم أرَ كَفْأً مِثْلَ كَفْكَ أَحْسَنَتْ
جمعتُهما جَمْعَ القَدِيرِ بِكفهِ
ولو كان يُرْقَى المَرءُ ما يَسْتَحِقُّه
وأنت الذى يَا ابنَ الكَرامِ أَعَدَّتْها
وَأَنشَرْتَ مَيِّتَ الشَّعْرِ بَعْدَ مَصِيرِهِ
وأشْهَدُ ما فى النَّاسِ مِنْ مُتَأَخِّرٍ
ولو شَعَرَاءُ الدَّهْرِ تَعَرَّضَ جَمَلَةٌ
لَأَبْصَرْتُ شَخْصَ البَحْثَرِيِّ مِنْكَ بُحْتَرًا
لَكَ الْآبِدَاتُ الْآنَسَاتُ الَّتِي نَأَتْ
لَكُمْ أَسْهَرَتْ جَفْنَ الرِّوَاةِ وَخَالَفَتْ
شَغَفَتْ بِهَا طِفْلاً فَأَرَوَى بِدِيْعِهَا
وَلَا عَجَبَ إِنِّي أَحْرَبُ صَبَابَةٍ
أَفْنِي كُلَّ يَوْمٍ فِيكَ وَجَدَ كَأَنَّهُ
أَحْمَلُ رِيحِ الهِنْدِ كُلِّ تَحِيَّةٍ
وَقَدْ طَالَمَا حَدَّثْتُ نَفْسِي وَعَاقِي
حَلَفْتُ بِمَا بَيْنَ الحَظِيمِ وَزَمْزَمِ
لَأَلْفَيْتُ عِنْدِي دَوْسَ مُشْتَجَرِ القَنَا
أَقْلُ بَقْلِي فِي المَوَاقِفِ هَيْبَةً

لَتَأْخُذْهُ فِي الحَقِّ لَوْمَةٌ لَوْمَ
لَغَيْرِكَ فِي العُلْيَاءِ صَدْرُ التَّقَدُّمِ
فَجَاءَتْ كَعَقْدٌ فِي ثَنَّاكَ مُنْظَمٌ
وَأَنَّكَ قَطْبٌ فِي يَراعٍ وَمُخْذَمٌ
إِلَى المَجْدِ إِرْعَافُ المَدَادِ مَعَ الدَّمِ
إِلَى مُحَمَّدٍ سَامٌ إِلَى المَجْدِ يَنْتَمِي
إِذَا لَبَلْتَ النِّيرَاتِ بِسَلْمٍ
لَأَفْصَحَ مِنْ عَهْدِ الزَّوْاسِي وَمُسْلَمٍ
لَأَعْظَمَ نَشْرًا مِنْ رِفَاتٍ وَأَعْظَمَ
يَدَانِيكَ فِيهِ لَا وَلَا مُتَقَدِّمٌ
بِمَنْجَدِهِمْ مِنْ كُلِّ حَيٍّ وَمُتَمِّمٌ
وَأَنْتَ عَمَّا ظَاظَ الشَّعْرِ بِلِ كُلِّ مَوْسَمٍ
حَظُوظُكَ مِنْهَا شَرْدٌ ذَيْرُ نَوْمٍ
وَلَمْ أَرَوْ مِنْ وَجَدِي بِهَا نَارَ مُضَرَمٍ
فَيَسْرِي الهَوَى بِالْقَوْلِ لِلْمُتَكَلِّمِ
طَوَى جَانِحًا مَنِي عَلَى نَارِ مَيْسَمِ
فَسَكَمَ مِنْ صَبَا مِنْهَا عَلَيْكَ مَسَمٌ
تَرَدَّدُهَا مَا بَيْنَ: أَقْدَمِ وَأُحْجِمِ
وَبِالرَّوْضَةِ الزَّهْرَاءِ أَلْيَةِ مُقْسَمِ
وَحَوْضِي فِي حَوْضِ مِنَ الطَّغْنِ مَفْعَمِ
وَأَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ المَقَامِ المَعْظَمِ

وهب أتى باز* قد انقض أشهب
ولكن لي من عفو مولاي سائراً
أحمود سامي إن يك الدهر خائناً
زالت الأيام بؤسا وأنما
ولولا الصدى ما طاب ورد ولا خلا
سي تعب الأقدار والهم ينجلي
أهديك في ذاك المقام تهاتنا
فهل يطمع البازي بلقيان ضيغم؟
فهاهنا منه به بت أحتمي
وطال عليك الزجر طائر أشأم
وحظ الشقا بالملك حظ التعم
لك الشهد إلا من مرارة علقم
وينصاح صبح السعد في ذيل مظلم
حبيرة مسد في ثناك وملحم

ثم كتب محمود سامي باشا إلى الأمير شكيب بهذه القصيدة :

أدي الرسالة يا عصفورة الوادي
ترقبى سنة الحراس وانطلقى
اجل نعمة ود منك شائقة
هو الهام الذي أحيانا بمنطقه
نلقى به أحنف الأخلاق مستديا
أخي وداداً وحسبي أنه نسب
أفادني أدبا من منطق شهدت
عذب الشريعة لو أن السحاب همي
ت بقلبي منه نشوة ملكت
يا ابن الكرام عدتني منك عادية
فأعذر أخاك فلولا مابه لجرى
وهاكها تحفة متى وإن صغرت

وباكرى الحي من قولي بإنشاد
بين الحماثل في لبنان وارتادى
تهز عطف شكيب كوكب النادى
لسان قوم أجادوا النطق بالضاد
وفي الكريهة عمراً وابن شداد
خالى الصحيفة من غل وأحقاد
بفضله الناس من قار ومن باد
بمثله لم يدع في الأرض من صاد
بحسبها مسمعي عن نعمة الشاد
كادت تسد على عيني بأسداد
في حلبة الشكر جري السابق العادى
فالدر وهو صغير حلي أجياد

(*) فيه لغتان أشهرهما أنه منقوص كالقاضي والثانية أنه كالإب اه مصححه
(١) أعتبه أزال عتبه أي أرضاه

فأجابه الأمير شكيب

هل تعلم العيس إذ يحدو بها الحاذى
وهل طعائن ذاك الركب عالمة
تحملوا فقوآدى منذ بينهم
يرتاد منزلهم فى كل قاصية
بين الجوانح ما لو أنت جائبه
وفى الفؤاد كشط الكف بادية
كم بت أنشد أحبابى وأنشدتهم
ولو أنا جى ضميرى كنت مسمعهم
من كان دون مراي العيس منزعه
دون الخضارم إن ضل الحبيب سرى
هوى بأروع لو ان الزمان دوى
سامي الأرملة فى أعراقه نسب
أرق من شمال الوادى شمائله
من معشر لو يقيس الناس شأوهم
يا من لنا رده من فائت عوض
ان يحجبوك فما ضرّ النجوم دجى
لا بأس ان طال نجز السعد موعده
عسى ليالىك قد سلّت ضعيتها
واستأنف الدهر سلما لا يكدرها
لو كان يسعد قوم قدر فضلهم

ان الشرى فوق أضلاع واكباد
ان النوى بين أرواح وأجساد
فى إثرهم نضو تأويب^(١) وإيساد^(٢)
وحجبه لو درى أخرى بمرتاد
أغناك عن لف أغوار بأنجاد
فى جنبها تيه موسى ليس بالباد
فى الهند ياشد ما أبعدت إنشادى
قولى كأنهم فى الغيب أشهادى
فلى هوى دون أمواج وأزباد
فان وجدى نعم القائف الهادى
لما أحل سواه الصدر بالنادى
فى المجد لا يشتكى من ضعف إسناد
وعند شد الليالى صخرة الوادى
الى العلا افتقروا فيه لأرصاد
يُمحى به وزر أحقاب وآماد
ولا زرى السيف يوما طي أغماد
فأعذب الماء شربا فى فم الصادى
وقد صفت كأسها من سور أحقاد
فالدهر قد يرتدى حالات أضداد
ما لاق مثلك أن يحظى باسعاد

وكتب محمود سامي إلى الأمير من جزيرة سيلان:

رَدَى التحية يا مهابة الأجرع
وترفتي بمتيم عقلت به
أرب الفؤاد يكاد يحمله الهوى
لا يستنيم إلى العزاء ولا يرى
ضمنت^(١) جوانحه إليك رسالة
فتى ييوح بما أجن ضميره
أصبحت بعدك في دياجر غربة
لا يمتدى فيها لرحل طارق
أرعى الكواكب في السماء كأنلى
زهر تآلق في السماء كأنها
وكانها حول الحجر حائم
وترى الثريا في السماء كأنها
بيضاء ناصعة كييض نعامة
وكانها أكر توتد نورها
والليل مرهوب الحية قائم
متوشح بالنيرات كباسل
حسب النجوم تخلفت عن أمره
مازلت أرقب فجره حتى انجلي

وَصِلِي بجبلك جبل من لم يقطع
نار الصبابة فهو ذاكي الأضلع
شوقا إليك مع البروق اللتمع
حقا لصوته اذا لم يجزع
عنوانها في الحد حمر الأدمع
إن كنت عنه بنجوة لم تسمعي
ما للصباح بليها من مطلع
ألا بآنة قلبي المتوجع
عند النجوم رهينة لم تدفع
حبب تردد في غدير مترع
بيض عكفن على جوانب مشرع
حلقات قرط بالجنان مرصع
في جوف أدحى^(٢) بأرض بلقع
بالكهرباء في سماوة مصنع
في مسحه كالراهب المتلفع
من نسل حام باللجين مدرع
فوحى لهن من الهلال بإصبع
عن مثل شادخة الكميت^(٣) الأتلع

(١) كذا في الاصل ولعلها ضمت من الضم ، وكتبه مصدحه

(٢) محل ييض النعام (٣) الكميت من الخيل ما خاط حمرته سواد : والأناع

الطويل : والشادخة الغرة

وترنحت فوق الأراك حمامة
تدعو الهديل (١) وما رأتها وتلك من
ريا المسالك حيث أمت صادفت
فاذا علت سكنت مظلة أيكه
أملت على قصيدة فجعلتها
هي من أهازيج الحمام وإنما
هو ذلك الشهم الذي بلغت به
نبراس داجية وعقلة شارد
صدق البيان أعرض جرول باسمه (٢)
لم يتخذ بدر المقتنع آية
أحيا رميم الشعر بعد هموده
كليم لها في السمع أطرب نعمة
كالزهر خامره الندى فتأرجت
يعنو لها الخصم الألد ويعتدى
هي نجمة الأدب التي من أمها
ملكته هوى نفس وأحيت خاطري
فاسلم شكيب ولا برحت بنعمة
فلأنت أجدر بالثناء لئنه
أرهفت حدى فهو غير مقلل
وبثقت لى من فيض بحرك جدولا

تصف الهوى بلسان صب مولع
شيم الحمام بدعة لم تسمع
ما تشتهي من مجثم أو مرتع
واذا هوت وردت قرارة منبع
لشكيب تحفة صادق لم يدع
ضميتها مدح الهمام الأروع
مشكاته حد السماك الأرفع
وخطيب أندية وفارس مجمع
وثقى جريرا بالجرير (٣) الأظوع
بل جاء خاطره بآية يوشع
وأعاد للأيام عصر الأصمعي
وبحجرة الاسرار أحسن موقع
أنفاسه بالعنبر المتضوع
بلبابها ذهن الخطيب المصقع
ألقي مراسيه بواد ممرع
وروت صدى قاي ولذت مسمعي
تحنو اليك بأبيكها المتفرع
أوليتها والبر أفضل ما رعى
ورعت عهدى فهو غير مضيع
غمر البحار بسيله المتدفق

(١) صوت الحمام ، والهديل هو ذكر الحمام أيضاً (٢) الجرول الأرض ذات
الحجارة وهو لقب الخطيئة (٣) حبل البعير

عذبت موارده فلو ألفت به
رزمت فرائده فصارت غرة
هو ذلك النظم الذي شهدت له
صرت منه أخا أياد خاطبا
حلمت أني في خمائل جنة
نخل رفعت به منار كرامة
تى أقوم بشكر ما أوليتنى
فاعذر إذا قصر الثناء فانى
لا زلت ترفل في هـ شاء سعادة

فأجابه الأمير

أُترى يحلُّ هواك بين الأضلع
وأبيت أشرك فيك في دين الهوى
وتظل تشرد بي لغيرك صبوة
وأسيم في روض الحسان موزعا
قلب عليك تحتمت أبوابه
إني طويت عن النسيم شغافه
وحجبت عن كل العواطف حجبه
وأبحت إلا في الغرام هوادة
أضحت تغاير في هواك جوارحي
وأغار من طرفي لغيرك ناظراً
ولو استطعت الشمس دُدت لعابها

ويحل لي بسواك ذرف الادمع
وأكون للتوحيد أول مدع
هي من يخوفك في المحل الأئمع
قلبا وهى بالحل غير موزع
ما نحوه لسواك طرفة مطمع
أن جاءني من غير تلك الأربع
إلا الحنين لبدر ذاك المطالع
ومنعت إلا أنة المتوجع
حتى ليغضب ناظري من مسمعي
لمحا ولو شيم البروق اللمع
عن وجنتيك ولو سعت في برقع

ولقد اغار لها جس من خاطر
يمشى اليك ولو بأعمق قلبه
درّعت حسنك بالكمال وفتية
في كلة تذر الضراغم عندها
ما للمطامع في الوصال ودونه
نفسى الفدا لمقنع (٢) هجرت له
تتهافت الاوهام عن حجراته
ذاك الحمى إلا على من أمه
أكنهت بالاقدام سر ضميره
هى زورة تحت الظلام وردتها
فنظرت من ذاك الهلال لنير
وأسغت في نهل الشفاه وعلها
بتنا. كأننا خطرة في خاطر
نبت بالأغزال هاجع حبها
وسقيتها كأس الهوى دهقا ولم
تميلين من العناق كأننا
أروي غريب حديث أحوال الجوى
وصل أعاد الشمل أي موصل
عاطيتها صرف الهوى وعفاننا
كانت مضاجعنا تنث كالنا

من سر مهجة راهب متورع
ويشير بالافكار لا بالاصبع
من حول خدرك حارين ودرع
من ذلة أمثال عُفر الأجرع (١)
حضر الشريعة والرماح الشرع
أجفانن شفار كل دقنع (٣)
ويرد خاطره الميم إذ يعى
منى بممتع الوجيب مشيع (٤)
وحملت بالأتدام قاب المصنع
فرداً بلا تضد، بلى قلبى معي !
وعلقت من ذاك الغزال بأتلع
ما ليس يعذب بعده من مكرع
أو وهلة حلت فؤاد مروّع
وحماها من غافلين وهجّع
يحلّ الهوى إلا بكأس مترع
قوس خيلا لزيادة من منزع
والراح ليس يطيب غير مشعشع
لكن أعاد القلب أى مقطع
طول التلازم لم يشب من موضع
لو كان يوجد منطق للمضجع

(١) الاجرع الرمل المستوي لا يثبت شيئا والاعفر الذي يعلو حمرة بياض.

(٢) أي ذات القناع (٣) الذي عليه بيضة الحديد (٤) القلب الشجاع

والليل يَكْتُم ما يَنْمُ بسرهِ
 يرى المجرَّة في السماء كأنها
 حتى إذا شق الدجَّة شوقهم
 رأيت أسراب النجوم تتابع
 كان أحوجا بذاك لآية
 حزحت عنها ساعدي وتركتها
 طلعت أعثر بالسيوف ولو درى
 يقول مهجتي الحكمة وما لهم
 ونرى تخون الخيل فارسها وذل
 أو من لهم مثلي إذا عبس الوشي
 وتشاجرت سمر القنا وتجاذبت
 ولقد بذتُ السابقين فمن لهم
 وبلغت من سامي الفخار وجاءني الـ
 خنذيذ (٤) هذا الدهر واحد أهله
 القائل الفصح التي عن مثاها
 لو جاء في العصر القديم لما روى
 قد قاد مملكة الكلام وحازها
 إن يعصه قول فلم يك لفتة

أرجُ النسيم سرى بمسك أضوع
 در تنائر من سماء مُضرع (٥)
 للقا ذكاء وشاب قود الأسفع
 بفرارها مَصْع (١) النعام الأضرع (٢)
 تأتي لنا في عكس آية يوشع
 دون الكرى من تحت عب مضلع
 أهل السيوف مقامتي لم أفزع
 نفرٌ سواي إذا اغتدوا في جمع
 يُردى الحسين على يد المتشيع؟
 وتضاحكت أنياب ثغر المضرع
 بدوائب والسيف شبه الأصلع
 بوقوف سير بالمكارم موضع (٣)
 قريظ من «محمود سامي» الأرفع
 مقدم حليته الأغر الأتبع
 يُثنى المقفع في بنات مقفع
 إلا قصائده لسان الأصمعي
 أخذ الأعزة للذليل الأضرع
 حتى يذل مستقيم الأخدع (٥)

(*) أي ذات ضرع (١) مر خفيفا (٢) المضرع من مزع

(٣) أوضع مُضرع (٤) الشاعر المعلق والخطيب المفوه والسيد الخليم والشجاع
 البهمة والرجل الجواد (٥) عرق في صفحة العنق يقال رجل شديد الأخدع أي
 ذو عتو وشدة

سهل البيان عصيته للمحتدى
 خلقت له عليا اللغات فلو هفا
 تغدو المعاني حوًّا ما حتى إذا
 ما زال يُبدع قائلًا حتى يرى
 إن أجدبت أرض الخلائق بالشنا
 أو حار قوم في الشعاب فانه
 أضحي بطارحنى القريض وهل ترى
 أُملى إلي قصيدة فأذاني
 يا ابن الغطارقة الاولى لم ينتموا
 لا غرو أن يُرتج علي بحضرة
 فلو أن سحبان الفصاحة قائمٌ
 فهناك ما بهر الخواطر هيةً
 كل العقائل في حماك وصائفٌ
 فاسلم رعاك الله سابغ نعمة
 واعذر إذا قصرت عن حق فلو

فلأنت منه بين عاص طيع
 نحو الركافة جاء كالمصنع
 سامين فكرته هبطان بموقع
 بدعًا على الايام إن لم يبدع
 فخلاه للحمد أجد مرتع
 رب المضى على المضى المبيع
 من أصبع يوما يقاس بأذرع
 خجلا وهية خاشع متصدع
 إلا بأزهر في الندى تميزع (١)
 إن قابلت شمس الضحى لم تسطع
 في بابها ما قال غير متع
 وزرى بعارضة الخطيب المصقع
 والمنشآت (٢) من الجواري الخضع
 وأعاد عيشك للزمان الأمرع
 أمليت أسود مقتلتي لم أقنع

(انتهى النقل عن مختارات الزهور)

و كنت سنة ١٩٠٨ شاتياً في طبرية عند ابن عمي الامير أمين المصطفى
 أرسلان حيث كان قائماً في تلك البلدة فأرسلت إلى محمود سامي باشا
 في مصر قصيدة ميمية من بحر الخفيف فقدت من بين أوراقى وكان

(١) السيد المكرم الموطأ الاكناف (٢) استخدم بديعي لان الجواري
 المنشآت هي السفن وقد نقلت هنا معنى الانشاء في الادب

د فقد إحدى كرائمه فكان موضوع القصيدة التعزية والتسلية واني
أتذكر منها بعض أبيات :

تخل كنت في الفجيجة فردا كلُّ تاب لجرح قلبك دام
ومنها في المديح

ن أزالوك عن رآسة حُكم لم تزل صدر دولة الافهام
ومما أتذكره من هذه القصيدة وصف طبرية وغورها

في ضفاف الأرذن يجري على الغو ر كساق يدير كأس المدام
وتباشير للريع أضاءت في عرار من زهره وبشام
ومنها

وسلامي على الخليل وشوق وعلى حافظ بديع النظام
الثريا التي تدمت عليها بضئيل السهى وشبه القتام

فأجاني محمود باشا سامي بهذه القصيدة :

و ادعُ باسمي تجبك ورق الحماة	حتى مغنى الهوى بوادى الشام
بين تلك السهول والآكام	هن يعرفنى بطول حنيني
وتناقلن ما حلا من هيامي	ولقد طالما هتفن بشدوى
أتقرئ ملاعب الآرام	ولكم سرت كالنسيم عيلا
بخيوط الدموع أيدي الغرام	في شعار من الضنى نسجته
باسما من خلال تلك الخيام	كلما شمت بارقا خلت ثغرا
ويغز الحليم بالاوهام	والهوى يجعل الخلاج يقينا
صور لا تزول كالأحلام	خطرات لها بمرآة قلبي
أذكرتى ما كان من أيامي	ما تجلت على الخيلة إلا

ذاك عصر خلا وأبقى حديثا
 كلما زحزحت بذاته فكري
 يا نسيم الصبا فديتك ببلغ
 واقض عني حق الزيارة واذكر
 أنا راض منهم بذكره ود
 هم أباحوا الهوى حريم قوادي
 آمنهم ودون التلاقي
 صائل الموج كالفحول تراغى (١)
 وترى السفن كالجبال تهادر
 تعلي تارة وتهبط أخرى
 هي كالدَّهم جاحات ولكن
 كل أرجوحة ترى القوم فيها
 لا يفيقون من دوار فهاو
 يستغيثون فالقلوب هواف
 في دعاء يحده بدعاء
 ذاك بحر يليه بر ترامي
 فسوادي بمصر ثاو وقاي
 أخدع النفس بالمنى وهى تأنى
 فمتى يسمح الزمان فألقى
 هو خل لبست منه خللا
 تتعاطاه بيننا كالمدام
 عنه ستر الخيال لاح أمامي
 أهل ذاك الحمى عير سلامي
 فرط وجدي بهم وطول سقامي
 أو كتاب إن لم أفز بلهام
 وأذلوا للعاذلين خطامي
 قذفات من لُج أخضر طام
 من هياج وترتمى باللغام
 خفافات البنود والاعلام
 في فضاء بين السها والرغام
 ليس يثنى جماحها بلجام
 خشعا بين ركع وقيام
 ليديه وراعف الانف دام
 حذر الموت والعيون سوام
 لجلال المهيمن العلام
 فيه خوص المطى مثل النعام
 فى أسار الهوى بأرض الشآم
 وخداغ المنى غذاء الانام
 بشكيب ما فاتنى من مرام
 عبقات كالنور فى الاكام

(١) أي تراغى أمواجه في صياها كالفحول اذا رغى واحد من هنا وواحد من هناك وحذفت احدى التائين للتخفيف

صادق الود لا يخيس بعهد
 جمعنا الآداب قبل التلاقي
 وبلغنا بالود ما لم ينله
 فلئن لم نكن بأرض فانا
 وائتلاف النفوس أصدق عهدا
 ألمعي له بداهة رأي
 وقرىض كما وشت نسمات
 هزني شعره فأيقظ مني
 سمتها القول بعد لأي فبضت
 فارض مني بما تيسر منها
 ولو اني أردت شرح ودادي
 أنا أهواك فطرة ليس فيها
 وإذا الحب لم يكن ذا دواع
 فتقبل شكري على حسن ود
 أتباهى به إذا كان غيري
 دمت في نعمة يرف حلاها

وقليل في الناس رعي الزمام
 بنسيم الارواح لا الاجسام
 بحنان القربى ذوو الأرحام
 لاتصال الهوى بدار مقام
 من لقاء لم يقترن بدوام
 تدرك الغيب من وراء لثام
 بضمير الأزهار إثر الغمام
 فكرة كان حظها في المنام
 ييسر لم يرو عود ثمام
 رب ثمذ فيه غنى عن جمام
 واشتياق لضاق وسع الكلام
 من مساع للنقض والابرام
 كان أرسى قواعداً من شمام
 رحت منه مقلداً بوسام
 يتباهى بزينة الأنعام
 فوق فرع من طيب أصلك نام

القسم الثاني

(في مساجلات شعرية ، ومفاكهات أدبية)

لما طبعت ديواني المسمى بالبا كورة وأنا اذ ذاك ابن سبع عشرة
سنة بعثت به من بيروت الى المرحوم عبدالله باشا فكري باشارة الاستاذ
الامام الشيخ محمد عبده وكان في بيروت : وذلك مع كتاب منى مصدر
بأبيات ما عدت أتذكرها جيداً وانما أذكر منها الآن ما يلي :

إذا مارمت من مهديك كفؤاً لقد أنفدت أولؤ كل بحر
فكيف يقوم عندك نزر شعر يذيب الرعب منه كل شطر ؟
ومنها :

جعلتُ القول في سيف ورمح وعفت النظم في قدّ وخصر
فاني عاشق غرر المعالي ولي نفس فداؤك نفس حر
إذا فكرتُ يوماً في كلام يكون بمدح (عبدالله فكري)
فأجاني على ذلك بما يلي وهي في (الآثار الفكرية)

أتت تختال في حَبْرٍ وحبر على العشاق لا كبر وكبر
منعمة الشبيبة لم يرعها مشيب في العذار أقام عذري
سعت نحوى على سحر تريني بدائع نظمها نفشات سحر
إلى أن صيرتني في هواها أسير القلب مبتهجاً بأسري
سرت لي من رُبى بيروت تهدي شذى لبنان معلنة بسري
تخبرني وقد ألفت خبيراً قريب العهد من خبر وخبر
بان ذوي هواي بها على ما عهدت مبرة وكال بر

ألا حيا رُبى بيروت غنى ولبنان الحيا منهلٌ قطار
 بدرٌ يملأ الأرجاء دُرا ويمزج تُرب أرضيهما بتبر
 وحيا من بها رُبى وحيا زماناً تمر فيها غير مُمر
 وحيا حي وافدة أتنى بريها توضع بنفح عطر
 وسرّت بالتحية من سري حرى بالوداد على قدر
 سليل كرامة وريب عز ونسل صيانة ورضيع طهر
 وفرع نجابة من عود مجد أثيل الأصل من أثلات فخر
 كهي من سلالة أرسلان^(١) ذؤابة قومه الأسد الهزبر
 فقى خطب العلا وصبا اليها فكان لها صباه خير مهر
 ومن خطب الحسان فلا شفيح لمن سوى الصبا مقبول أمر
 تعلق قلبه من عهد مهدي بكسب المجد مجتنباً لخسر
 وأولع بالمعالي والمعاني ونظم الشعر لا لطلاب وفر^(٢)
 ولا لصبابة في ورد خد ولا لصبابة^(٣) من خمر ثغر
 ولا مستبطناً وعداً لدعد ولا مستبطناً أمراً لعمر
 ولكن لاقتناص شروء معنى يعن وحكمة تبدو وسر
 وإن يلعب فما لعب بعيب لعهد صبا وشرخ شباب عمر
 ولكن تأنف الهمم العوالي على رغم الصبا سفساف أمر
 تحرم قرب أمر فيه إمر وتوجب هجر كل مقال هجر*

(١) يشير إلى معنى أرسلان وهو الأسد وهي لفظة صار يسمي بها العرب مثل العجم
 (٢) أي عانى الشعر تأدياً لانكسباً (٣) الصبابة بالفتح الشوق وبالضم البقية من الماء
 (* الامر بالفتح الشأن وبالكسر المنكر . والهجر بالفتح مصدر هجر وبالضم

وكتبت للشاعر المشهور المرحوم اسماعيل باشا صبري يوم كان
محافظا لثغر الاسكندرية . وهذا منذ ٤٠ سنة

دع عنك ما قال العذول ولا كا
قالوا لك اختار السلو وإنما
أما هواك فذاك غير مفارقي
في كل يوم لوعة قد غادرت
وحنين نفس لا هناء لها سوى
تهفو لتعتق النسيم لعله
وتود من فرط الغرام جوانحي
قد حل حبك في القواد فما جلا
ويلومني العذال فيك ولو رأوا
بل لو رأى النساك في قراتهم
يكفيهم منك المحيا طلعة
قسما بمن برا الحسان ومن برا
إني لأحيا أن تجود بطلعة
وأيت أرعى البدر في غسق الدجى
لا تحسن البعد مال بصبوتي
والله لا يدرى البعاد ولا النوى
كم ليلة حيران أرقب نجمها
أحييتها حتى إذا رق الدجى
ذعرت نفور الآبدات كأنما

هيهات أصبو عن حني ولا كا
أسلو إذا كان الحبيب سواكا
ونعيم روجي أن تكون فداكا
جسمي لقا دنفا لأجل لقاكا
تذكر شخصك أو شذى ذكراكا
قد مر من جهة بها مشواكا
لو كن أجنحة إلى مرآكا
عنه فلا ملك سواك هناكا
ما قد رأيت تميموا بهواكا
تلك الشائل ما اغتدوا نساكا
البدر فيها لو سفرت وراكا
عقد القلوب على الحسان ركاكا
متبذلا وأموت عند حياكا
إن لم أصبك فقد أصبت أخاكا
بل زاد في التمزيب بُعد مداكا
الا الذى قد ذاق مر نواكا
ترد المجرة في السماء عراقا (١)
باتت تهاوى في الصفيح دراكا
نصب الصباح لصيدهن شباكا

ليلى : أما للشهب عندك مريب
 كن لي وحقك في المواقف شاهدا
 جهلوا السريرة جملة وتحذثوا
 من لم يذق بُعد الأجرة لم يزل
 فسقى الأجرة والذي حلوا به
 وسقى عهودهم العهد وهز في
 ورعى بوادى النيل غني عصبة
 لا أنس أيامى بأنس لقائهم
 يا حبذا واديك من مترج
 ورعى بأرضك سيداً اضحت به
 شهم لعمرى ما أفضت بلاغة
 كالبحر من كل الجهات أتيته
 وال توشح بالكمال فقل له
 أسرت محبته القلوب فقيدت
 قل للمطاول مثل غاية فضله
 من يرعه في لطفه ووقاره
 مهلاً أيا اسماعيل في طرق العلا
 لله ما أهدى فعالك للثنا
 حسب المزاحم من علاك مناصبا
 تاهت بك الاسكندرية بهجة
 لم تدر مثلك في الولاية ولا درت
 وإليك يا ملك القريض قصيدة
 قدمت على اسماعيل وهي عريقة
 كي لا تفر إذا الصباح أتاكا؟
 فلطالما أحيت من أحيكا
 ولأنت أعلم يا ظلام بذاكا
 أولى العجائب أن يخاف هلاكا
 غيث همى لا يعرف الامساكا
 وادي الاجبة أيكه وأراكا
 أضحى لهم حفظ الوداد ملاكا
 كلا ولا يا نيل طيب هواكا
 زاه ونعم الحوم حول حماكا
 الاسكندرية ثغرك الضحاكا
 عنه قصرت عن المدى إدراكا
 لترى الحقيقة جاء ملء حجاكا
 سبحان من ولاك بل أولاك
 فيها ولكن لا تريد فكاكا
 هيهات تظفر بالنجوم يداكا
 ياقى الملائك فيه والأملاك
 واستبق فيها فضلة لسواكا
 وأضلّ في ليل المريب سراكا
 ان يستظل بظل فضل رداكا
 بلغت نهاية حظها بنهاكا
 تلك المنار الغر مثل هداكا
 وقفت على خجل يباب علاكا
 في لحم طامعة بنيل رضاكا

بينما أنا ذاهب من سورية الى الاستانة مبعوثا عن حوران في أيام الحرب العامة
نزلت ضيفا في طرسوس على سعادة الشهم الأمثل محمد بك راسم من كبار أعيان
مصر المقيم هناك ، وكانت حصصات حادثة على فتاة حسناء تشغل في معمله القطني ،
وضويقت الفتاة لاجل جمالها ، واليك المشار اليه لا يعلم بالواقع فلما بلغه الخبر امتعض
ومنع من التعرض لها وجعلها في مأمن من سطوة العاشق ، وصادف وجودي
هناك فقلت على سبيل المداعبة:

أقسمتُ إذ طلعت عليَّ شمسها	وزهت بها الأرجاء وهي عروسها
أعلى محل في الجمال محلها	وبها فأجمل بلدة طرسوسها
لم أحسد العشاق إلا واحدا	أحظاه رب العرش فهو جليسها
في مجلس يدع الحليم مرئيا	سيان فيه لحاظها وكؤوسها
ما إن رأتها مهجة إلا فدت	ذاك المحيا نفسها ونفيسها
ومن العجائب وهي ريمة رامة	تغنوها غلب الرجال وشوسها
هي جؤذر ولكم سبت من ضيغم	لا يستبيه من الجيوش خميسها
جارت عليها وهي بعد طيبية	نكباء تصطمم الأسود ضروسها
فعدا عليها مذ نعومة ظفرها	خبيا نعيم الحادثات وبوسها
بعد القصور العاليات رأيتها	في كسر بيت تصرها ناموسها
بعد الثراء الجم حلة صانع	ولكل حال في الزمان لبوسها
تمضى لها في الغزل بيض أنامل	ظلم الذي هو بالحرير يقيسها
القطان يهزأ بالدمقس بكفها	والخز ودّ لو انه ملهوسها
في الغزل أصبح شغلها ولنا به	متحركا قطع تضيق طروسها
يرجو المملوك نظيرها لبنهم	فيعود رب الملك وهو يئسها
أحبت عيسى والصليب لأجلها	حتى يكاد يؤم بي قسيسها
وأخالف الشيخ التيمي الذي	ما كان يطرب سمعه ناقوسها

و كان شاهد وجهها وعفاها
مع حسنها ما آده تقديسها
بطشات أنور بالعدة يدوسها
أبدأ يضيء من الوجوه عبوسها
من بعد ما عم البسيط ييسها
فبها تغيب عن الديار نحوسها
مخفوضة بذرى علاه رعوسها
أراه كل الكاشحين أذلة

و كانت صورة هذه القصيدة وصلت إلى الشام فبعث إلي الأديب الكبير خليل
ك مردم بك من سراة دمشق بالآيات التالية على سبيل المداعبة :

ما للصباية منك هاج رسيسها
ولنار قلبك عاد فيه حسيسها
عهندي بقلبك والأوانس والدثمي
لا تستويه سعادها وليميسها
شمست عن التهميم نفسك يافعا
هل ريض بعد الأربعين شمسها
لله فاتنة تملك قلب من
تحنى لديه من الرجال رعوسها
فعلت به الحاظها ما قصرت
عن فعله أقداحها وكؤوسها
نا من سُحرت بقوله هل ذاك من
تأثير عينها وأنت جليسها؟
إن كنت أحببت الصليب لأجلها
وشجا فؤادك قارعا ناقوسها
والروح والانجيل حلقة صادق
ويمين حق لا يرد غموسها
إني لهجت بذكر يوحنا ومر
قس وازدهى في ناظري جزجيسها
وشريت تكريس البتول ويوسف
وحفظت ما قد قاله قديسها
هكذا ولولا حب دين محمد
« من دون كاد » لأَمَني قسيسها
هامت بها نفسي لوصفك حسنها
حتى كأن موهُومها محسوسها

فأجبت بما يلي وهو أيضاً من باب المفاخرة :

والله مذ طلعت علي شمسها
ريضت لها نفسي وزال شمسها

والشمس ما طلعت علت أنوارها
ألقت على قلبي المتيم لحظة
رق الفؤاد لها فصار رقيقها
تدعى الأسيرة غير أن غزاتها
قد غيبتها في السجون فلم يطل
خلصت تجرر منه ذيل صيانة
وكذا الجمال اذا سرت أجناده
مذ صوّبت نحوي سهام لحاظها
نفذت لها بين الجوانح نظرة
باتت تقلب في ضعيف بناتها
هيات أطمع بالثبات أمامها
من ذا يعارضها بملك عبيدها
شاهدت منها منظرا تحيا به
وسرقت نظما من مباسم ثغرها
قل للخليل يتيه في فيحائه
ويروود مرجتها عشية سبتها^(١)
ويصيد غفر ظبائها في كنسها
أظننت شطر الحب خصك مفردا
وحسبت ما في الركب غير «خليلها»
وعرا الكواكب والبدور خنوسها
خضعت لها روجي ولان شريسها
وحنى لها رأس العلو رئيسها
عادت لها أسرى تذوب نفوسها
أن صار رب الحبس وهو حيسها
هي منه في لمعانه طاووسها
سالت بأودية القلوب تجوسها
وهنت دروع مفاصلي وتروسها
فيها يضل الطب جالينوسها
أسدا تضيق به الاسود وخيسها
بل يجذب الصوان مغناطيسها
مذ فوق عرش الحسن كان جلوسها؟
روح ولو بلغ الفصال نيسها
دررا يعز بمثلها قاموسها
ويروض كل كريمة ويسوسها
وله بكل محطة جاسوسها
واليه تجي جوبر وكنيسها^(٢)
وسواك في اقسامه مبخوسها؟
و«أديب»^(٣) ذلك وحده نقريسها

(١) في دمشق عادة هي خروج الناس الى المرجة للأنزهة عصر السبت

(٢) جوبر قرية من قرى القوطة لخليل بك فيها بساتين كان يدعونا للأنزهة

فيها . وفي جوبر كنيس لليهود قديم جداً (٣) الحاج اديب خير من اخواننا

أَوَإِنْ قَطَعْتُ الْأَرْبَعِينَ أَيْنَبِي
أَوْ مَا عَلِمْتُ الْأَرْبَعِينَ رَجَالَهَا
وَهُمُ الْجَهَّادَةُ الْأَسَاتِذَةُ الْأَلَى
وَهُمُ إِذَا ضَمَّتْهُمْ أَعْرَاسُهَا
أَيَكُونُ مِثْلِي شَاعِرًا وَأَكُونُ مِنْ
مَازَالَ سُلْطَانِ الْجَمَالِ مَحْكَمًا
أَنْ تَسْتَوِي غَزْلَانِهَا وَتَيُوسُهَا ؟
نَعَمْ الْفَوَارِسُ إِذِ الْفُورُ وَطِيسُهَا
لَيْسُوا أَصِييَةً تَعَادُ دُرُوسُهَا
مِثْلُ الضَّرَاغِمِ ضَمُّهَا عَرِيْسُهَا*
لَمْ يَحْتَذِبْهُ مِنْ الْوُجُوهِ أُنَيْسُهَا ؟
تَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ الْقُلُوبِ مَكُوسُهَا

وَبَعَثَ لِي سَنَةَ ١٣٣٤ سَعَادَةُ خَلِيلُ مَرْدَمُ بَكِ الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ مِنْ
عَيُونِ أَعْيَانِ الشَّامِ قَصِيدَةً رَائِيَةً مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ يَلْتَمِسُ مِنِّي فِيهَا أَنْ
أَجِيزَهُ فَأَجَبْتُهُ بِالْقَصِيدَةِ الْآتِيَةِ :

أَرَى جَمْلَةً فِي صَفْحَةِ الْكُونِ لَا تُسْقَرَا
وَنَارًا بِأَحْنَاءِ الْأَضَالَعِ كُلِّهَا
هِيَ النَّارُ فِي الْأَحْشَاءِ لَكِنَّهَا هَدَى
عَلَى ضَوْئِهَا سَارَ الْأَئِمَّةُ قَبْلُنَا
وَكَمْ شَاهَدُوهَا بِالْحِجَازِ وَنُورِهَا
وَلَوْلَا سَنَاهَا مَا دَرَى ذُو بَصِيرَةٍ
وَلَوْلَا هِ لَمْ تَعْرِفْ عَنِ الرُّوحِ سِيرَةٍ
لَقَدْ غَابَ عَنْهَا كُنْهَهَا وَمَكَانُهَا
لَهَا كُلُّ آتٍ فِي الْبَرِيَّةِ مَظْهَرُ
يَقُولُونَ خَلَقَ كُلُّ مَا فِيهِ آيَةٌ
دِخَانُ بَلَا عُودٍ وَعَرَفَ بَلَا كِبَا
وَعَاطِفَةٌ فِي النَّفْسِ تَدْرِي وَلَا تُدْرَى
تَخْلَلُهَا بَرْدُ الْيَقِينِ ذَكَتْ جَمْرَا
لِمَنْ كَانَ لَا يَرْضَى بِإِيمَانِهِ الْكُفْرَا
وَهَزُّوا عَلَى الْأَمْلَاقِ أَلْوِيَةَ حَمْرَا
يُضِيءُ بِأَغْنَاكِ الْيَانِقُ مِنْ بُصْرَى
أَقْلَبَا حَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ أُمَّ صَخْرَا
وَلَا أَثَرَا عَنْهَا قِصَصُنَا وَلَا إِثْرَا
وَلَكِنْ عَلَى الْإِكْوَانِ آثَارَهَا تَتْرَى
يُخْبِرُ أَنَّ اللَّهَ أَوْدَعَهَا سِرَا
أَجَلَ أَنْمَا سَرَّ الْهَوَى الْآيَةَ الْكُبْرَى
وَبَرَقَ بَلَا سَلَكٍ وَسَرَى بَلَا إِسْرَا

فمن يتأمل في البعيد يجد لدى
ومن يتروى في دموع يسيلها
رأيت على طرس الوجود صحائفها
منظمة حبا مشتتة قلى
جنود من الارواح قد أصبح الهوى
لها في صابات القلوب مذاهب
كما هام قاي بالخليل بن مردم
أجل سرة الشام بيتا وانه
وأرحبهم ذرعا وأطولهم يدا
وأقسم إنى ما رأيت نظيره
ولألا نور المصطفى في نجاره (١)
أتانى قصيد منه يبغى إجازتي
وكيف يحيز المرء من بان شأوه
وجاد بشعر كدت عند نشيده
يساجنى حر القريض وهل ترى
إجازة مثلي مثله خالص الدعا
وانى أرى فيه مذ اليوم مفردا
شهدت به في الحسن بدرا وفي التقى

أما قصيدة خليل بك مردم بك* فهي هذه وهي من أوائل شعره:
أحسن بشيء في الحشا يشبه الجبرا أهذا غرام هيجته لي الذكرى؟
أبيت وجنبى لا يلائم مضجعا ودمعى لا يرقى وطرفى لا يكرى
(١) النجار بالكسر الحسب اشير الى ان والده خليل بك من آل حمزة السادة المشهورين

فأنثره طورا وأنظمه أخرى
وأخت الظبا طرفا كقلبي وأنحرا
تقربني فالحب جرّ لي الهجرا
وآخره والله أنت اذا أكرى
فألثمه إذ قلبها يشبه الصخرا
ولكنها يصبو الحليم لها قسرا
ولكن سقتني في نواظرها بخرا
اذاها ما وجدنا أو شعور الشجى المغرى
هم أولياء الشعر عرفتها الشعرا
أراني لم أسلك به مسلكا وعرا
قرونا فاضحى غصنه بك مخضرا
فبوركت يا عصر القريض به عصرا
وأحمد والطائي الالى نظموا الدرا
وميمار من كانوا لأعصرهم فخرا
فقروا عيوننا فالقريض لقد قرا

اصيخ لما يوحى الغرام لمسمعي
أأخت الدمى قلبا خلا ونعومة
أتدريين فوق الحب منزلة لكم
عند هبوني أنت أول خاطر
مر على الصخر الاصم تعلة
ما كنت ممن يعجم الحب عوده
وما أنا ممن تأسر الخمر ليه
فتور كشعر الصب بالهجر رقة
فلو كان لي شيء من الشعر بين من
أجزني أمير الشعر بالشعر إني
رددت عليه حسنه بعد ما زوى
أعدت لنا عصر الزواجر ومسلم
فن مبلغ شيخ المعزة شيخنا
وشيوخ القريض البحري مع الرضى
بأننا رأيناهم جميعا بشخصه

رئاسة كل فاعلمنّ اذا شكرا
لقد كنت والرحمن في صونها أخرى
كرام خصال تد تجاوزت الحصر
ومجد تسامى رد عين العلا حسرى
اجازة شعر منكم أبتغى مهرا

إليك أمير السيف والقلم انتهت
بأكتافك العليا تلوذ صيانة
لك الله من شهم قد اجتمعت به
« عفاف واقدام وحزم » ومنعة
إلى ظلك العالى زففت خريدة

حادثة سياسية

استحالت فكاهة أدبية

وفي أيام السلطان عبد الحميد وشي واش بالاستاذ العلامة محمد أفندي كرد علي في دمشق فارسى الوالى ناظم باشا فكبس منزله وعثر على بعض أوراق يعد حفظها يومئذ من الجرائم فجاء من أخبرني بالقصة وأن الكرد علي قر وتوارى في الغوطة فذهبت في الحال الى ناظم باشا وأبدت وأعدت حتى غص النظر عن هذه المسئلة وأبلغت الاستاذ أن يعود آمناً: فعاد الى داره وبعدها جاء هو والاستاذ الكبير الشيخ طاهر الجزائرى لشكرانى على ماقلت به من تقرير هذه الازمة عن الكرد علي فصرت أداعبه ببعض أبيات ارتجالية في الموضوع فطرب لها الشيخ طاهر واقترح اكلها قصيدة فأكماتها ثاني يوم وانتشرت في كل نادوهى في كتاب خطط الشام تأليف الاستاذ الكرد علي

الأقل لمن في الدجى لم ينم	طلاب المعالى سمير الالم
ومن أرقته دواعي الهوى	فدون الذى أرقته الحكم
فكم فى الزوايا تخبأ قى	طريد الكتاب شريد القلم
يرى الارض ضيقاً كشق البراع	وبهوى على ذا الوجود العدم
وكم ذا بحسرين (١) من ليلة	على مثل جمر الغضا في الضرم
تمنى الاديب بها ندحة	ولوبات يرعى هناك الغنم
وكم سرورة تحت جنح الظلام	كسر بصدر الاديب انكتم

(١) قرية في الغوطة للكرد علي بها ملك

يخاف بها حركات الغصون ويخشى النسيم اذا مانسم
 وان تشد ورقاء في ايكه تورقه في صوتها والنغم
 وكم بات للنجم يرعى اذا اديم السما بالنجوم اتسم
 وطال به الليل حتى غدا يظن عمود الصباح انحطم
 ومن دُعره خال ان النجوم لتهدى الى مسكه عن أمم
 اذا ما السماك بدا راحا توهمه نحوه قد هجم
 ولولا الدجى لم يتم النجا وقد امكن الظلم لولا الظلم
 والله در القرى اذ خفته (١) فما بالسهولة يخفى العلم
 فجسرين زبدین والاشعری (٢) ديار بها قد أوى واعتصم
 ونحو المايحة (٣) رام الخفا وكم بالمايحة من متهم
 ديار أبى أهلها غدره وآواه منها الوفا والكرم
 ولا شك رقوا لأحواله طريداً يعاني الجوى والسقم
 ليالى كانون في الاربعين وبرد العشيات أغلى الفحم
 بأرض ثراها سماء وماء ففوق السواقي وتحت الدائم
 يجول وقد صار مثل الخيال ودق فلولا ح لم يقتحم
 وفوق الحدود كلون البهار وتحت المآقي كلون الغنم
 وفي كل يوم سؤال وبحث وانى تولى وأين انهزم ؟
 وقد كان فى كبسهم بيته بخلق قال وقيل عمم
 فكانت على كتبه غارة كغارات عرب الصفا (٤) بالنعم
 وقالوا سينفى الى رودس وقالوا سيجزى بما قد جرم

(١) خفاء مثل اخفاء (٢) أسماء قرى (٣) قرية أيضا كان منها عبد الوهاب
 الانكليزي رحمه الله وكان متهماً بمناوأة الحكومة (٤) عرب الصفا مشهورون بالنهب

وقالوا سيحمله ادهم
 وبعض بسجن عليه قضى
 وكرد علي غدا عبرة
 فيا كرد لا تحزنك الخطوب
 ومن رام ان يتعاطى اليبا
 فدى حرفة القول حريفة
 وكم كتبة أعقبت نكبة
 ومن بالكتابة ابدى هوى
 فيا كرد صبراً على محنة
 وصبرا على ورقات لها
 وواهاً لباقات زهر غدوت
 ازاهر تسهر في جمعها
 وما نم الابشر ذكى
 فقولوا لو اش بكرد علي
 فما كان كرد سوى صادق
 وما وجدوا عنده رية
 فهل يطفئون بأفواههم
 ومادام ناظم في شامنا
 ولولا العناية من ناظم
 وقانا دسائس أهل النفا
 وقد اضحت الشام في عهده
 ويات من الزور في مأمن
 بمرقاه لا تستريح القدم
 وبعض بضرب عليه حكم
 فغات ومنه الرجاء انصرم
 فان الهموم بقدر الهمم
 ن توقع ان يبتلى بالنقم
 وكم أدركت من لبيب وكم
 وكم من كلام اقلب كلم
 فان النكابة منه القسم
 فكم محنة شديت من لم
 عيون المعاني يبكين دم
 لها جامعا يا أخي من قدم
 فلا غرو أن فاح عرف فتم
 وطيب يفوق عرار الاكم
 نشرت الثناحين حاولت ذم
 لدولته طالما قد خدم
 تعد ولو في صغار اللحم
 من النور ما قد رآه الامم
 فما نستضام ولا نهتضم
 لما كان شمل لنا منتظم
 ق ورد الوشاة وجلى الغمم
 يصوب عليها . . عهاد النعم
 وحق الامان يباب الحرم

وأطلعني في مرسين صديقي المجاهد الأكبر السيد أحمد الشريف
السنوسي على قصيدة همزية قيات في عمه السيد محمد المهدي رضي الله
عنهما فعارضتها قائلا من البحر والقافية :

هل ترى ينتهي عليه الثناء سيد ينتهي إليه السناء
وتؤدى له البلاغة حقا ويوفي أخباره الانشاء
ويجلي القريض صورة معنا ه ولو بالشعري أنى الشعراء
قد كفانا من وصفه أنه الـ مهدي مذ قد تجلت الاسماء
نجل قطب قد كان في الشمس سرق والغرب سراجا بنوره يستضاء

هو بحر الشريعة ابن السنوسي الذي عنه سارت الانباء
لم يدع في العلوم علما ولم يجمع العلم والولاية فاءتم
استفاض لديه نورا على نو فيه لاقى العلم اللدني علما
لا يرى العلم في سوى العمل الصا لم هذا ترى الطريق السنو
بات فعلا هدى مرید السنو كلهم عامل لذلك فيهم
كم تولى بالكف سكة حرث حققوا سنة المعلم للخير
بث ما بين مطلع الشمس والمغرب بث ما بين مغرب ونجد
وزوايا في كل غور ونجد

الذي عنه سارت الانباء تله والعلم قتله إحياء
به العالمون والاولياء ر وكل على الوري لألاء
سهر الليل أصله والعناء لح فالعلم آلة ووعاء
تي على النعل قام منه البناء ي وأن ليس بالكلام اكتفاء
تتبارى العقول والاعضاء حبر علم حفت به القراء
الرسول الذي به الاقتداء رشدا ضاءت به الارضاء
ليس يستطيع حصرها الاحصاء

وبدا بالبناء في الجبل الاخضر
 في ذرى السيد الجليل الصحابي
 حيث قد لاح ذلك السيد المم
 أي فرع لا تأتي أصل لعمرى
 لا بل الابن جاء أوفى علوا
 الهام المهدى والسيد الصا
 أزهر الوجه ناصع اللون لم تن
 أكل الطرف مستدير الحيا
 أبيض الخد والثاء وفي أي
 أروعي صلت الجبين إذا قابلا
 ربعة قدته قوى عريض
 واسع الشجر باسم عنه درأ
 شن كف لكن أيديه الشة
 هاشمي أشم أنف كذا مع
 يتجلى كماله في عيون
 يملأ العين هية وجلالا
 مز رآه يقول هذا هو المم
 أشبه الناس بالنبي ومن يش
 نشر الدين في بلاد السوا
 وباسيافه طراباس الغرب
 حيث البنية البيضاء (١)
 سيدي رافع عليه الرضاء
 دئي بدرأ ضاءت به الظلماء
 قد تحاكي الآباء والأبناء
 ولئن فاق من أبيه العلاء
 دع بالحق والسحاب الرواء
 جب بأبهي من شخصه الزهراء
 لاح فيه الهدى وجال الحياء
 من خديه شامة سمراء
 ته قلت كوكب وضاء
 منكباه وأذرع فتلاء
 والثايا في ثغره فليجاء
 نة بالجود سبطة سمحاء
 شم الانقب همة شماء
 زينتها حواجب وطفاء
 وهو مع ذاك لحظه اغضاء
 دتي حقاً والهدى سيماء
 به أباه فليس منه اعتداء
 دين جميعا فعمها الاهتداء
 أجبرت وبرقة الحمراء

(١) زاوية البراعصة المسماة بالبيضاء وفيها ولد السيد المهدي وبقرها مقام

سوف يدري الطليان أن في السويداء رجال حروبهم سوداء
في مجال الطعان أسد محارب ولكن عند المحارب شاء
ينصرون الاسلام بالسيف والمصحف فالقوتان فيهم سواء
يعمرون الأرض التي أورش الله عبداً له هم الصالحاء
لم يحتوا قفراً من الأرض إلا اهتز منه حديقة غناء
فاسأل القرو والجبابير والكفرة*) ينطق عمرانها والتماء
واسأل الواح كلها كيف عاشت بالسوسى تلکم الصحراء
ليس يخشى الا فرنج مثل السوسى وما هم في خوفهم أغنياء
عرفوا قدره وبعد مراميه فأشهاد فضله الأعداء
كم غدت من سطاء ترجف رعباً دولة ملء أنفها الكبرياء
رد از الاسلام صلباً سويا بعد أن كان شفه الانحاء
وأعاد الاسلام غصناً كما كان عليه الأسلاف والقدماء
لم يقم مثله لإرشاد خلق ذلك الحق ليس فيه مرأ

﴿مدحتي لسمو الخديو توفيق باشا﴾

أول مرة خرجت فيها من سورية كانت رحلتى الى مصر : وكنت
في الواحدة والعشرين من العمر، وأقيمت بالقاهرة أكثر من شهرين وأنا
ملازم أستاذنا الامام الشيخ محمد عبده وتلك الحلقة التي كانت تجتمع
بالقرب من قصر عابدين في بيت المرحوم سعد افندى زغلول الذي
صار فيما بعد زعيم مصر، ثم برحت مصر قاصداً الاستانة ومررت على
الاسكندرية وذهبت الى سراي رأس التين حيث أكرم في الجانب الخديوي

(*) القرو واحدة في الصحراء ومثلها الكفرة ومثلها الجفوب وقد عمرها كلها
السادة السنوسية

يومئذ محمد توفيق باشا بمقابلته، وكنت هيأت قصيدة لسموه لكسني لم أقرأها
بحضرته بل سلتها عند خروجي منها لرجال المعية السنية، ففي اليوم التالي
نشرت المعية في جريدة الوقائع المصرية وكان محرر الوقائع المرحوم الشيخ
عبد الكريم سلمان فكتب فوقها تقریظا جميلا . وليست جريدة الوقائع
الآن تحت يدي لأنقل القصيدة برمتها وإنما أتذكر منها الايات التالية :

أقول لنطقي اليوم إن كنت مسعدي إذا أرق أسباب السماء بمصعد
وانظم من القول النفيس فرائدا تنزل شعري الأفق في شعر منشد
إذا أنا لم أوف المكارم حقها من الشكر في سلك القريض المنضد
فلا شغفت لي بالمكارم مهجة ولا عز آبائي ولا طاب محتدي
ولا بلغت بي رتبة من مكانة أنال بها لقيا العزيز محمد
وأذكر عليه وذكر محمد أذ كلام قيل بعد التشهد
عزيز حمدت الدهر عند لقائه ومن لقي التوفيق للسير يحمد
ولا غرو أن حنت لتقيل كفه على البعد نفس تلس النجم باليد
وشاقت له رب الرقائق طلعة لعمر ك تذكي الشوق في قلب جليل

ومنها :

فدونكها يا غرة الملك غادة تميم كغصن البانة المتأود
وإني اذا أهدي العزيز مدائحى أبوء بصدق القول غير مفئد
ومن رام من إدراك كنهك غاية يجد غاية ما تُدِن للوصل تُبعد
وإلا فما حاولت إدراك غاية بشعري ولا نظم القصائد مقصدي

ولي من عبث الشباب تقليدا للشعراء :

أرى في غزال الدو منه شمائلًا فأهفو إليه كلما مر سائحه
وتخطر قضبان العذيب فتنتني معاطفه في خاطري وجوانحه
أكاد لمراى كل غصن أراكه أعانقه من أجله وأصاخه
وأعشق نور البدر ليلة تمه لأن قد بدت منه عليه ملاحه
يقول عدولي شف مسكتك الهوى فأنت لعمري ذاهب الفكر سائحه
فقلت جميع الرشد في سبل حبه إذا لاح لي من ذلك الوجه لائحه
وقالوا أضعت العمر في حب أغيد ومن علق الغزلان ضاعت مصالحه
فقلت لهم يا حبذا ما أضعته بمن حبه كنز تنوء مفاتحه
فدا كل ظبي بين سلع وحاجر لمهجة ظبي في الفؤاد مسارحه
ومهما يعذبني فعذب مذاقه ومهما يورقني فاني مسامحه
وما أسعد الليل الذي أنا ساهر وما أقدس الدمع الذي أنا سافحه
وقالوا قطعت الأربعين فما الهوى وقد صاح في فوديك للشيب صائحه
ولم يعلموا ان المهار وإن زكت لتعجز عما طال في الجري قارحه
بلى أنا سلطان الغرام وهذه صحائفه في راحتي وصفائحه
إذا في كتاب الحب طالع مغرم فقلبي عمليه ودمعي شارحه
أنا الصب متبولاً بذكر حبيبه وشرط المعنى أن تغيب جوارحه
خلي إذا رام الصلاة تداخلت تحياته مع ذكره وفواتحه

وامتدحني بعض الشعراء المفاقيين في جريدة الفتح فأجبتهم بالآيات الآتية:

يقرّظني قومي بأني مدحتهم	كما يُمدح الروض الذكي على النفع
ولو أنهم قد أنصفوني لما رأوا	بمعرفتي الحق عارفة المنع
إذا لرأوا آثارهم شاهدا لهم	يكاد لديها الطير يهتف بالصدح
شهدتُ بما شاهدت مامن علاقة	ولا صلة توهم الشهادة بالجرح
ولكن من شأن الفصاحة أنها	إذ بهرت تعطو إلى خلق سمح
سيوف نضاها الله إذ حمس الوغى	ونادى منادي الدين للرمي والنضح
تواصل في جيش الضلال قراءها	فما برحت تشفي الصدور من البرح
تلاّلا في قطع من الليل مظلم	سناها فكان الليل أضوا من الصبح
فلا تأخذنكم في الغواة هوادة	وفلّوا جموع الشر بالضرب والطرح
لقد خرّضوا في الدين والعرض جهرة	ولجوا فعاد القرع ينكأ بالقرح
فليس بغير الكسر حسم لدائهم	وغير العصا والجوز يؤكل بالشفح
وكل ذنوب العالمين مصيرها	إلى العفو إلا الشرك تمتع الصفح
سينصركم من تنصرون كتابه	ويؤتيكم الفتح القريب من الفتح

ولي هذه الآيات السينية المنشورة في جريدة الفتح عدد ٢٥٨ وقد
قدّمت عليها هذه الجملة :

إلى الشاعر المفلّق النجمي زاده الله أبداعا

قرأت أيها الاخ أياتك السينية فهاجت بي خاطر الشعر برغم كل
هذه الشواهد وهذه العوادي ، فأخذت القلم وسالت القريحة بالآيات
الآتية والله يشهد أنها وليدة بضع دقائق ، إلا أنني لا أخالني إذا أطرقت
ونمقت آتي بأحسن منها فخذها على علاتها :

ما أدهشتنا من النجمي قافية كأنها الغادة الحسناء في العرّس

لها سوابق قد جاءت سلسلة
قل في حبيب وبشار ورهطهما
هيئات أفرق إعجابي بأيهما
شعوا به تسكر الالباب سائحة
لا يعرف السامع الوهان نشوته
رويه العذب في تحكيم موقعه
لا يحرم الله حزب الحق طائفة
قد آن للظلم أن ينجاب عن فرج
على اطراد كهوب الذبل الدُّعس
والبحترى ولا تضن به وقس
من تلكم النفس أم من ذلك النفس
كما تسافر بنت الحان بالجلوس
من سبكه الجزل أم من نسجه السلس
من أول الشطر يدرى غير ملتبس
إن تنصليت في مجال المكر تفرس
لم يبرح الفجر مشتقا من الغاس
﴿ تاريخ مولود عزيز ﴾

و كنت في أوائل سنة ١٩٢٠ مسيحية في جبل سان مورتز
بسويسرة وكان هناك الشهم المفضل عزيز عزت باشا من عيون أعيان
المصريين وصهره الامير محمد علي حسن من العائلة الملكية المصرية
فولد للأمر مولود سماه عزت حسن (فنظمت له التاريخ الآتي : . .

قل للعزيز أدام الله بهجته
اهناً بسبط به من الآله ولا
وليها أن الامير الشهم والده
لما تطايرت البشرية بمولده
أهدى محبك تاريخاً وقال به
وبات يخدم سامي بابه الزمن
زالت تلازمك الآلاء والمن
أنعم بغصن نصير جاءه غصن
وقرت العين مما تسمع الاذن
بعزة قد تجلى وجهه الحسن

تاريخ لزفاف محمد بك ناجي نجل صديقنا المرحوم حنفى بك ناجي
من أعيان مصر :

يا أيها الحنفى الذى لو أننى كاتبته بسواد عيني ما كفى

هيات أقدر أن أوفي واجبا لثناك ياسلطان أرباب الوفا
مازلت أضرب في البلاد ولم يزل بحشاك قلب أخ علي مرفرفا
أهديت لي البشرى بعقد محمد تلك البشارة ما ألد وألطفها
أسعد بها من ليلة فيها جرى ذاك الزفاف على سمي المصطفى
يا أيها الخل الذي شوق له بعد البعاد أجل من أن يوصفا
يدعو لك اليوم المؤرخ شاعرا لزفاف نجلك بالبنين وبالرفا
٥٧٢ ١٩٨ ١٠٣ ١٤٥ ٣٢٠

﴿ جواب عالم في بوسنة ﴾

وكتبت إلى حضرة الفاضل شاكر افندي مسيحو قتش الهرسكي من أعضاء
مجلس العلماء بسراري بوسنة وذلك في جواب كتاب منه

لما حملتُ بأرض بوسنا وانجلت تلك المنائر
أيقنت اني وسط ربع بات بالاسلام عامر
ولقيت من الطافكم ما تستبين به السرائر
مانال ما فد نلت منكم لدمري أي زائر
فأنا الحقيق بأن آتبه ه اذا أردت وأن أفخر
قد كنت طول إقامتي ضيفا تحف به الجماهر
ألقي الخنز على الوجوه علي مثل الشمس ظاهر
ان الوجوه من الرجال لنعم عذران الضمائر
ورأيت وجهك كيفما أقبلت ينظر وهو سافر
والعطف إن حل الفؤاد غدت تؤكده النواظر
فأنا محبك ما حييت وشاكر أبدا لشاكر

﴿ ذكرى شاعر الألمان الحكيم ﴾

ولما زرت في فرانكفورت بيت غوته شاعر ألمانيا الأكبر وقدموا لي دفتر المعتاد أن تكتب فيه أسماء الزائرين كتبت الآيات الآتية
ارتجالاً مع تضمين البيت الأخير :

مذ قيل هذا بيت (غوته) زرتة	إذ كان للشعراء كعبة قاصد
هذا أمير الشعر عند قبيله	منه لجيد الدهر عقد فرائد
طأ طأت رأس قريحتي في بابه	ولكم رأيت عتباته من ساجد
إن لم يكن من أمتي وعشيرتي	فالناس في الآداب أمة واحد
(أو فاتنا نسب ، يؤلف بيتنا)	أدب أقناه مقام الوالد)

وبعد أن ذهبت من فرانكفورت استدعت البلدية الاستاذ المستشرق هوروفيتس الذي كان يدرس العربية نفسها في كلية عليكر في الهند وله ترجمة إلى الألمانية لديوان الكميت فيما أتذكر وغيره فترجم هذه الآيات ونشر الترجمة في جرائد ألمانيا ومهد لها بمقدمة جاء فيها بالاطراء الزائد وقال : هذا إكرام شاعر الشرق لشاعر الغرب

﴿ زيارة قبر سيف الله ورسوله وقائد جيوش العرب والإسلام الأكبر ﴾

ولما زرت مقام سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه في مدينة حمص وذلك منذ ثلاثين سنة فأكثر كتبت على حائط المقام هذين البيتين :
مغيبك سيف الله في غمدك الثرى دليل بأن الله لا شك واحد
فلو أن فذًا خادته فتوحه لما كان في الاقوام إلّاك خالد

﴿ ما أنشد في حفلات تكريم كبار الشعراء ﴾

منذ نحو من ثلاثين سنة قام بعض أدباء مصر بحفلة تكريمية لحافظ
ابراهيم الشاعر المشهور، وكتب لي بعض الاخوان من مصر الى سورية
يقترحون علي إرسال بعض أبيات لتقرأ في الحفل، ومن جملة ما ذكروا لي
من محاسن حافظ انه يحب السوريين، وكان ذلك قبيل عيد الأضحى، فأرسلت
أبياتا ليست عندي نسختها الآن وإنما انا أُملي منها ما أتذكره وهو:

ورحط دَعَوني أن أجيب نداءهم فلها دَعَوني لم يروني بِقُعْدُ
أخواننا الداعين بي لأجيبهم اليكم تروا منى اهتزاز المهتد
حلفتُ بما بين الحطيم وزمزم وأقسمت بالبيت العتيق المشيد
وبالطائفين (٢) العاكفين بهذه الليالي تراهم من ركوع وتجد
يؤمنون مشوى للخليل ومرقدا تلاًّلاً نورا بالنبي محمد
مشاة وركبانا على كل ضامر ومن فوق قضبان الحديد الممدد
فما في حديث الحج لين وقد غدا يجيء على شرط البخارى بمسد
لعمري لقد أحييت قريحته «حافظ» عهود أغان للسريج ومعبد (٣)
يقولون لي شيد عن الشام ذكره ألم يك وتى الشام شطر التودد ؟
فقلت لهم أُنْتِ عليه بصالح عن العرب طرّاً ذاك أصلى ومحتدى
وما عربيٌّ بيّن الضاد نطقه بشامى ولا مصري ولا متبغدد

(١) الفعدد الجبان (٢) اختلف في جوار القسم بغير الله تعالى، ونقل بعضهم عن
ابن عباس جوازه، وانه استشهد على ذلك بقوله تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم
بعمهون) في سورة الحجر (٣) ابن سريج ومعبد مغنيان مشهوران ترجمها صاحب الأغاني

ومنها خطابا لحافظ :

وقبلى قد أولاك «سامى» (١) شهادة ومثلى بمحمود السجية يقتدى
فأنت إمام النثر غير مدافع وأنت أمير الشعر من بعد أحمد (٢)

وأقيمت حفلة لشاعر القطرين خليل بك المطران فأرسلت إلى الحفلة
بالآيات الآتية . وذلك سنة ١٩١٢

لك يا خليل من القابو مكان هو فوق ما بسمائه كيوان
لم يختلف أحد عليك كأنما لك كل أرباب الأنهى خلان
كل الخواطر فى ولائك خاطر وجميع السن عارفك لسان
ويرى التسكف فى سواك وإنما شرع عليك السر والاعلان
يكفيك ما بين العناصر أنك لا وطنى لا بفض ولا شنان
عجبا له جمع القلوب على الولا قلم بكفك ساحر فتان
وإذا تجرد للنضال فانه لاعز ما نصرت به الاوطان
هيات يبلغ شأو فتكك بالدى من فى يديه صارم وسان
قد زين الادب الذى أوتيته جما أن الاخلاق فىك حسان
ووفاء طبع ما تخلف عن أخ وزماتنا إخوانه خوان
تالله فى الاجياد منك قلائد غر وفى الآذان منك جمان
لوجئت فى عصر القريض لما عات يوما بنابغة لها ذيان
ولئن عداك موازنوك فكم فى مد خف عنك علا به الميزان
أو كانت الدنيا قسوس فصاحة بحذا عكاظ فانك المطران

(١) أي محمود باشا سامي البارودي الذي قرظ حافظا في تلك الحفلة
(٢) من شاء يفهم أن حافظا هو أمير الشعراء بعد المتنبى، ومن شاء يفهم أنه ثان لشوقي

القصيدة التي بعثت بها من امريكا إلى المهرجان الذي أقيم لأحمد شوقي أمير الشعراء سنة ١٩٢٧ مسيحية وتلاها في المحفل شاعر القطرين خليل المطران ، وكان نظمي هذه القصيدة في البحر قبل وصولي إلى نيويورك : —

ناد القريحة ما استطعت أداءها	إنَّ الحقوق لتقتضيك أداءها
مهما ينل منها الجمودُ فإن من	عجاز أحد ما يفجر ماءها
مهما تراكت الغيوم بأفقها	فاليوم عندك ما يعيد جلاءها
لا نعتذر عنها بـ بكر نواب	سَدَّت عليها نهجها وسواءها
فأهم ما همت السحاب إذا مرّت	هوجُ العواصف دَرَّها وسخاءها
والحكُّ يستوري الزناد وانا	تُرْبِي الصوارم بالصقال مضاءها
والريح يكسب بالشفق متانةً	والخيل يُظهر عدوُّها خيلاءها
حاشا الفرائح أن تضنَّ برُدِّها	ما دام شوقي ك افلاً أنواءها
الشعر الفذ نسي كلماته	ضمنَ الذبوعُ على الزمان بقاءها
أنست فصاحته أو تَلَّ رائل	وغدت هوازن مع ثقيف فداءها
في كل كائنة يزفُ قصيدةً	توتي جميع الكائنات بهاءها
غدت المعاني كما مذسكا له	فأصاب منها كل بكر شاءها
وكس اللسان العجيب مزارفاً	هيهات ينتظر الزمان فناءها
ستخلد الاوطان من تكميمه	ذكرى تطبق أرضها وسماها
لو أنصفت لغة الاعراب ندره	صَلَّت عليه صباحها ومساءها
من كل موضوع أصاب شواكلا	باحث بمقتلها الصدورُ شفاءها
يكنى « شكسبير » على أمثالها	ويديت « غوته » حاسداً عليها

ولو أن آلهة الفصاحة عندهم
صناعة الشرق الذي تبراته
في كل حرف من حروف يراعه
ما حل بالاسلام بأس مله
يبدى فضاءتها ويوسع هوذا
كانت قصائده لبعث بلاده
وأرى الليالي لا تعزز أمة
كم أثبت التاريخ في صفحاته
ضلت لعمرى في الحياة قبيلة
والعرب لا تبدأ بجمع جموعها
أكرم بأحمد شاعراً وافي لنا
أتلو قصائده فتملاً مهجتي
وأضل مفتخرًا بها فكأن لي
نخدت له نفسى مودة وامق
نعزو إلى لحم متانة أصابها
لا ترتجي منها النائم ثلثة
ناشدت شعري أن يفني بمودتي
قد صار عهدي بالقرىض كأنه

أدركن شوقى خففت غلواءها
تجلو المشارق عندها غمائها
وترّ يشير سرورها وبكاءها
إلا ورجع شعره أصداءها
وصفاً ويذكر داءها ودواءها
صوراً أراد من البلى إحياءها
إن لم يكن سواسها شعراءها
أئماً غدا انشادها انشاءها
لم تصطبج أفعالها أسماها
إلا سمعت نشيدها وحداءها
في روح أحمد^(٢) حاملاً سماءها
فرحاً يزيل همومها وعناءها
دون الانام ثناءها وسناءها
وفي عهد^(٣) عهودها إناءها
وتمزّ من ماء السماء صفاءها^(٤)
كلا ولا توهى الهنات بناءها
وأراه يعجز أن يجيء كفاءها
دمن^(٥) تقاضتها الرياح عفاءها

(١) كررت هذا المعنى في رثائه رحمه الله :

بعثت به روح الحياة كأنها هي صور اسرافيل في زعقانه

(٢) أحمد بن الحسين المتنبى

(٣) العهد أول مطر الوسمي

(٤) إشارة إلى القبيلة التي ننتمي إليها وهي لحم وآل ماء السماء ومز الماء رشفه

أدعو فلا يأتي الذي أَرْضَى به
والشعر ما رسم الضمائر نائلاً
والشعر ما ترك المعاني مُثَلاً
والشعر حيث يقال من ذا قالها
وهناك نفس مرّة ما تأتي
إن لم تجدني في العجاجة أو لا
وفرت يا شوق السباق على الوري
تقطع الأعناق عن غاياتها
تالله أعطيت الرياسة حتمها
وبذدت أهل العبقرية كلهم
لما رأيته قد نزحت قلبها
فأسعد بعرش إمارة الشعر التي
وتنّ وابق لأمة عربية
والشعر أن تجد النفوس رضاءها
منها الكنائن نافجاً أحناءها
فتكاد تلمس بالأفكف هباءها
ما الشعر حيث يقال من ذا قالها
تملي عليّ من العلا أهواءها
نكرت علي ثلاثها وزاءها
برياسة بات السباق وراءها
حتى الأماني لا تحوم حذاءها
وعقدت حبوتها^(١) ونلت حبهها
وبزرت^(٢) جنة عبقر أشيائها
ألقيت غنى دلوها ورشائها
ألقت إليك لواءها وولاءها
لا زلت قرة عينها وضيائها

وَأقيمت حفلة عيد الخمسين سنة لأستاذنا اللغوي العلامة الشيخ
عبد الله البستاني^(٣) طاب ذكره وذلك في بيروت فنظمت هذه القصيدة
وبعثت بها من برلين

(١) ما يحتج به المرء من عمامة أو ثوب (٢) يذه بالذال غلبه وبزه بالرأى سلبه
(٣) كانت وفاة الأستاذ عبد الله البستاني شيخنا منذ بضع سنوات وقبل وفاته بيومين
سأله الأديب الشيخ خليل تقي الدين بعض أسئلة منها قوله له : أي تلاميذك
أحب إليك ؟ فأجابته : أحب تلاميذي إلى الأمير شكيب أرسلان. ثم ذكر أشياء
لا حاجة إلى نقلها هنا وإنما نقل قوله : وهو لم ينسني مع طول الغربة وأرسل تلك
القصيدة التي أرسلها بمناسبة عيد الخمسين سنة لتقدمتي اللغة العربية .

أحقُّ الأيادي أن تُجَلَّ وتُعظَّمَا
وتلبسها الأيام حليًّا وكسوة
أيادي الأولى كانوا مصاييح عصرهم
ومن أوضحوا للحائرين محجة
لعمري إذا الأعلام قيسست جهودها
وجاء الكرام الكتّابون فقميدوا
فمن مثل عبدالله في الشرق عالم
تلاميذه عدُّ الحصى وتراجم
أفاض على الإرجاء عيلم عليه
وبث لسان العرب خمسين حجة
وسل سيوفا من قراب دماغه
ومن يتنذل في خدمة العلم نفسه
رقى من ذرى التحقيق في النخوذوة
فلو كان لاقى سيويه ورهطه
ولم يك ذياك الكتاب مرتجيا
ولو كان في العصر القديم مجيئه
وأصبح معه الفارسي وابن فارس
لباتت بأحشاء المبرد غلة
وصار ابن عصفور مهيضا جناحه
ولو ناظروه في الفرائد مرة
وأصبح معه المجد قد قل مجده

فُسِّلِكَ في الأعناق سبطا وتنظما
وتسني لها الأحقاب عيداً وموسما
لمُدَّرع ليلا من الجهل مظلمها
فساروا بهم في العيش نهجاً مقوما
وكل أتى عما فراه مترجما
لنكل عصامي حساباً مرقما
له مثل من ربّي ورقى وعلما
بدوراً بآفاق البلاد وأنجما
ففعج ومن للبحر كفوا إذا طمى
يقوم مناداً ويوضح مبهما
فقلّ بها للحن جيشاً عرمرما
فأجدر بأن يغدو عزيزاً مكرماً
يقصّر عنها من مضى وتقدما
لعاد لعمري سيويه ابن أعجما
ورائحة التفاح لم تك مغنما
لفت بعين الجاحظ العين حصرما
وقد برئت تلك الفراسة منهما
وكاد ابن جنى يُجنّ تألما
ولو كان قبل اليوم طار إلى السما
رأوا من علاه ما يفوق التوهما
وآب صحاح الجوهرتى مثلما

ولو كان جار الله جارا^١ بذه
لقد سعدت منه العروبة بالذي
وئارت له في نصر أمة يعرب
قضى عمره سيفاً يقدر عداتها
يبلج من أنوارها كل ساطع
ويكشف عن أسرارها كل غامض
فما عَن في يوم شعوبى فرقة
وما لاح قرن القرن إلا انبرى له
فلو شاءت الفصحى وفاء جهاده
فن للألى مثلي ارتووا من معينه
عرفنا له فضلا علينا ومنة
وما أنا إلا من تلقى بضاعة
وما الفضل إلا للقسامى^(٢) عندما
وما هو إلا بعض مرجوع صوته
حنانيك أستاذ الاسايد إنسا
ولو أنصفتك العرب لم يبق معرب
ولو كان لبنان يوفيك شكره
تقبّل ثناء لو غدا رمل عاجل
وقابل بغض الطرف ميسور واما

وما افتخرت منه زخشر بانتما^(١)
توله فيها مستهما متيا
عزائم شوق خالط اللحم والدم
فيرمى بهم شلوا فشلوا مقسما
وقد ينكر الأنوار من رزق العمى
عليه حجاب الجهل كان خيما
للمقصّة إلا وخلاء ملجأ
برمي الذي يصمي لعمرى إذا رمى
لنصت له فوق السما كين مجثما
بأن ينقعو من ذكر معروفه الظما
ولم يك ما نرعاه عهدا مذما
فتمق منها جهد معي ونمنا
يراني الورى دبجت بردا مسهما
وتقليد ما قد كان جاد وأنما
جميعا نحى فيك من شرف الحمى
على سطحها إلا أتاك مسما
لأوشك فيه الصخر أن يتكلما
بكثرت له نوف حقّا محتما
قصارى مناه أن تعيش وتسما

(١) أي وما افتخرت بلدة زخشر بانتمائه اليها، مصححه

(٢) الذي يطوي الثياب الطيبة الاولى فتتكسر على طيه

﴿ قصيدة حفلة عبد الحميد بك الرافعي ﴾

واحتفل أدياء الشام بعيد الخمسين سنة للشاعر الكبير المرحوم السيد عبد الحميد الرافعي.
في طرابلس الشام فاقترحوا علي إرسال شئ. وكنت في براين وذلك سنة ١٢٩٩ مسيحية
فبعثت إلى طرابلس بهذه الأبيات وتليت في الحفل ونشرت في جريدة الشورى

إياك في الشرق أن تعدو طرابلسا	إن كنت تبغي كرام الانس والانسا
وحج منها لقصاد الهدى حرما	أمننا وجاور لأرباب النهى قدسا
مدينة جادها الباري برحمته	من الحصر نصر ما عن غيرها حبسا
لم يكفها بحرهما العجاج بل جمعت	من أدامها أبحرا في شطه جلّسا
أكارم بهم باتت طرابلس	مصرأ يقصر عنها كل ما يبسا
ناهيك بالرافعيين الذين لهم	من المآثر ما يستنطق الخرسا
الرافعين من الاعلام أرفعها	والخافضين من الاعداء مارأسا
لقد رعوا تلعات المجد أجمعها	وجددوا من دروس العلم ما درسا
وآثروا من أيادي الفضل ما قربت	ثمارة ومن العايات ما قعسا
ساروا على أثر الفاروق جدهم	ولن يضل الذي من نوره اقتبسا
مثل السيوف المواضي في ضرائبها	صفاً أقيمت لشرع المصطفى حرسا
وكل ذى أدب يبغي الكمال فمن	عبد الحميد يروم الاذن ملتصسا
الشاعر الفذ لو جاءت قريحته	تعارض المعارض الهطال ما انجسا
تغدو عذارى المعاني قيد خاطره	وطالما امتنعت عن غيره شمسا
من معدن كله صاف ولا عجب	من تلكم النفس تلقى ذلك النفسا
إني أقول وخير القول بمجمله	لو جاء في عصره الكندى ما نبسا
هذه طرابلس الفيحاء حافلة	تختال في حلل من عيد وكسا
عيد الخمسين حولا قد تنجزها	في خدمة اللغة الفصحى صباح مسا
وقد أبت غربتي أنى أرى وطني	وأن أشاهد فيه ذلك العرسا

القسم الثالث

﴿ في مرآتي العلماء والأدباء والكبراء ﴾

﴿ رثاء إمام اللغة وفارس ميدان الانشاء الشيخ أحمد فارس الشدياق ﴾

لما توفي إمام اللغة وفارس ميدان الانشاء الشيخ أحمد فارس الشدياق كنت لا أزال في السابعة عشرة من العمر وكنت معجباً بأسلوبه فضلاً عن صداقة قديمة بيننا الارسلانيين وبين آل الشدياق فلما جاءوا بتجاليده من الاستانة إلى يروت وصلى عليه في الجامع العمري الكبير تليت عليه مرات متعددة لشعراء الوقت ومنها مرثية لي . لم تذكر في ديواني الأول المسمى بالبأكورة ، لأن البأكورة كانت قد طبعت قبل وفاة أحمد فارس رحمه الله . وقد فقدت من بين أوراق هذه المرثية إلى أن عثرت عليها هذه السنة في رسالة نشرها الفاضل الدكتور فيليب الشدياق تتضمن ترجمة أحمد فارس وهي هذه : —

تمادت علينا بالخطوب الدوامس	ليال لها بالمجد عصف الروامس ^(١)
وأصممت رجالاً للزمان وانهم	لنعم رجال الدهر شم المعاطس
أحقا عباد الله ذا اليوم أنه	وجو ما قد اسودت وجوه المدارس
وأصبح مضمار البلاغة خاليا	لن غاب عنه اليوم « أحمد فارس »
هو الفارس السباق في كل حلبة	تجمع فيها كل قرن عمارس
أجل مجلّ في رهان براعة	وأبتع ^(٢) فرسان البيان المداعس

(١) الرياح التي تدفن الآثار (٢) الفارس الآتبع القوي

إذا صال لم يترك مصالا لفارس
أقام مناراً هاديا كل حائر
غدا ذكره ملء الزمان ولم تكن
وشيد للفصيحى قصورا شواها
لقد جابت الدنيا جوائبه (١) التى
تبلغ نور الشرق عن وجهه سافر
فن لفصول كان يكسويها
وآيات فضل كان يحو بنورها
فما كل من رام العلا أدرك العلا
ولا كل من يعلو السروج بفارس
على عفوها تيك الرسوم الطوامس
بانشائه كانت طراز المجالس
بها وتثنى العصر عن عطف مائس
من الوشى والدياج أبهى الملابس
دجى الشك محو الصبح ليل الخنادس
وإن قال لم يترك مقالا لنابس
وأوقد ناراً أمها كل قابس
لآثاره الأيام غير فهارس
بانشائه كانت طراز المجالس
بها وتثنى العصر عن عطف مائس
من الوشى والدياج أبهى الملابس
دجى الشك محو الصبح ليل الخنادس
ولا كل من يعلو السروج بفارس

وقلت أرثي المرحوم محمود بك نجل المرحوم ابراهيم فخري بك
وشقيق صاحب السمو أحمد نامى بك

يا عين مهما كنت ذات جمود
ولامطرئك من الدموع سحابا
ولأنت يا كبدي فمن نار الأسى
ما كنت يا قلب الحديد فان تكن
أتعز في محمود دمة ناظر
من بعد ما ملاء النواظر قرة
ما كنت أحسب أن مثل جبينه
فلا بكينك دما على محمود
تروينها عن كفه في الجود
ذوبى ويانار الضلوع فزيدي
فالنار قد تلوي (٢) بكل حديد
لو كان فيه قسوة الجلود
وغدا مسرة قلب كل ودود
شرح الشباب يعود طعم الدود

(١) الجواب الاخبار الطارئة وبها سمي احمد فارس جريدته التى كانت تصدر
في الاستانة وكانت أحسن جريدة عربية في وقتها (٢) ألوى به ذهب

ما كنت آمل أن شُعلة ذهنه
 ما كنت آمل أن نكباء الردى
 وبكل نفس من أمانر نبلة
 سهر الليالي في وصال حقائق
 ما غره زهو ولا حسب العلا
 نظمت به زهر الخلال كأنها
 ما كان من يمضى وهذا شأوه
 ماراع مثل القصف في شرخ الصبا
 يوم غدا في كل دار مآتما
 لبس النهار به دجنة غاسق
 ولّى وخلف في ذويه من الأسى
 لو كان ينظر للحقيقة ناظر
 هذا يموت بكل يوم حسرة
 يا أيها المحمود رفقا بالآلى
 قد كنت سباقا إلى حوض العلا
 والكل ركب سائرون وإنما
 رفقا بوالدك الكريم فقد وفى
 غادرت بعدك كل باك جفته
 ومضيت قاصد جنة وتركتنا
 قد عز فيك الصبر لولا أنه

تعدو عليها اليوم كف خمود
 تودي بغصن شبابه الأملود
 إيماض بارقة ولمح شهود
 والغير يسهر في وصال الغيد
 الا بمجمع طارف وتليد
 في الخود عقد اللؤلؤ المنضود
 في الست والعشرين غير شهيد
 والقطف قبل حلاوة العنقود (١)
 فينا وفي الفردوس يوم العيد
 ولقد يكون ضيا الليالي السود
 حالا أشق من الحمام المودي
 فالموت للوجود لا المفقود
 إذ ذاك راح بيومه الموعود
 دفنوك بين جوانح وكمبود
 فسبقت نحو المورد المورد
 أهل النباهة فوق خيل بريد
 شجو الفقيده بفرحة المولود
 يمتاح من بحر البكا بمديد
 من حزننا في النار ذات وقود
 فرض وان الحزن غير مفيد

(١) أخذت هذا من قول عامي كان يقول أمامي لعامي آخر مات أبوه: والدك
 قد حلا عنقوده . يريد أنه آن أو ان موته

قد كنت تفدي في مقام كريمة
الموت حتم والمسافة بيننا
يتخيل الانسان أبعد مطمع
لا تستحق من الهموم حياتنا
ما كان سفاح الدموع لفاجع
لكن حق الطبع محكوم به
يا تأكل المحمود صبراً بعده
إن جل خطبك بالذي أكلته
ومن الاله على الفقيد تحية
مهما تعاظمت الخطوب على الفتى

لو أن ثمة موقفاً لجنود
نزر وما من قادم بعيد
والموت منه مثل حبل ويريد
لو أنصف الأقسام غير زهيد
رأيا بمهدي ولا برشيد
والعقل مرتبط ببعض قيود
فبقاء أحمد ساوة المفئود
فالركن باق ليس بالمهدود
وفراق عاجلة لدار خلود
فعزاؤه في العدل والتوحيد



وتوفيت والدته نعم باشا متصرف جبل لبنان وكان صديقاً لنا
فرثيتها وعزيت ابنها بالقصة —يدة التالية وقد مضى عليها أكثر من
أربعين سنة :

ألا هل لجنفٍ ساهر الليل ساهدٍ
وهل لشؤون أن يؤمل غيضا
وهل لفؤادٍ أن يرجى شفاؤه
وهل لشجي من سلوٍ وقد ذكت
تبيت إذا دب أسود ليله
وهل لرعاة النجم في مهمه الدجى
تحدّر سيل الدمع طلقاً عنانه

تألف غمض منذ بينك شاردٍ؟
ومن دونها ما فاض صمّ الجلامد؟
بغير لغام الزفرة المتصاعد؟
من الوجد في جنبيه نار المواقد؟
حشاياه من أنياب رقص الاسود
من الود إلا صحبة للفراقد؟
وألقت قلوبٌ للأسى بالمقاود

يشفُ وذى آثاره في الجوامد
لديه فما باق به غير بائد
يصاب وما يرمى بكف وساعد
وما الناس إلا بين بك وواجد
بأسرهم من فيلسوف وزاهد
سوى جلّمي^(١) أعمارنا عندنا قد
ولا الليل إلا للفناء بقائد
وما تذكّم الأسياف غير حدائد
لزعزح منه كل راسى القواعد
من الصبر جيش مرصد للشدائد
وقد فتّ في عضد التقي والمحامد
مصاب يتيم قد خلا من مساعد
إذا أظلم الوسمي أرض المعاهد
ولا احتملت إصرًا يجوز لعابد
سواك كفهاها ذاك دون زوائد
وإن تك ضمت كل فضل لواحد
لعمرك من مولاه أسنى المقاصد
له شـعفات لا تذلل لما هد
أعادته أعنى من وليد لوالد
باقرار من يشنوك أصفى الموارد

وكيف يقاوى الدهر قلب مهمل
أباد الخوالي والبواقي رهائن
ولم يُبق قلبًا لم يصبه ولم يكن
تأمل فما في العمر غير مصائب
ولو سبر الناس الأمور لأصبحوا
وايس الجديدان اللذان تعاقبا
وما اليوم إلا ما نيم على الورى
أهلتة الأسياف في كل مفرق
وخطب لعمري لو أناخ ببذل
أناخ بأكناف الوزير فصدّه
وما كان مرزوءًا بذلك وحده
أصبيت بأمّ برة فصاها
وقد كان يستسقى العهاد بذكرها
مضت لم يرتق من صفها كدورة
ولو لم يكن والله من حسناتها
ولم يك فضل قد حوته بواحد
لمستوزر من رهط عثمان بالغ
توليت من لبنان خطة شاخ
فأنهجه من عدل حكمك شرعة
وأوردته من عفة ونزاهة

(١). الجمل محرّكة المفراض

فلو كلفوه أن يبتك شكره ليأك من أغصانه كل مائد
لك اليقظة العظمى التي باتباعها حلت محل النوم من جفن رائد
فإن كان لبنان يشاطرك الأسى فكم من سرور نحوه بك وافد
تعزفكم من موقف لك صالح وكم من جميل عن سليلك ذائد
رأيناك تأتي في أمورك كلها من القصد ما يُعي على كل قاصد
فعال امرئ يخشى الاله بخلقه ويعلم أن المرء ليس بخالد
فلا زلت محروسا من سوء راقيا مراقي تُلقى الشمس بين الحواسد
ولا زلت في كل الشؤون مسددا لخدمة سلطان البلاد المجاهد
مقامك منه ما أردت ولا تزال رجا لصديق أو شجا لمعاند
وذكرك في الغبراء أسرى من الضيا وأسير في آفاقها من قصائدى

عند ما توفي المرحوم عبد الله باشا فكري الشهير كنت في مصر،
وكانت وفاته يوم عيد الأضحى سنة ١٣٠٧ وهو صديق وفي للأستاذ
الامام، وكانت سبقت بينى وبينه مراسلة شعرية ذكرت في هذا الديوان،
فرثيته بقصيدة نشرتها جريدة المؤيد ولكنى فقدتها أيضا من بين أوراقى
ثم وجدتتها في كتاب الآثار الفكرية، وهي هذه:

إلى مثل هذا في الخطوب العظام أرى منتهى بطش الليالي الغواشم
وهل بعد هذا الخطب خطب نعه مصابا بعلم أو بلاء بعالم؟
مصاب لما قد فات أنسى، وماتم به ختمت آلام سود المآتم
ولا غرو فيه فاجعا عم رزؤه فموت رجال العلم موت العوالم
مصايح في الدنيا إذا هي أطفئت دجى الناس في ليل من الجهل قاتم
وأعلام رشد في البرية يهتدى بها كل سار في المجاهل هائم

ولكنها الدنيا لعمرى أولعت
يرجى التهاب النار بالماء عندها
أحقا عباد الله ذا اليوم قد خبا
وأن المعالي والمعاني فجعت
وما لشئون العلم سالت شئونها
أجل مات من قد كان للفضل سيذا
قضى اليوم عبد الله فكري الذي سعى
وخلفت الأقلام والصحف بعده
وأضحى به أضحى وقد كان يومه
وباتت تغور ~~كن~~ فيه بواسما
نعي سرى ملء المسامع وقعه
كذا فليكن غور الكواكب في الثرى
مصيبة مجد أسكرت بسماعها
فقدنا أميرا كان غرة عصرنا
فقدنا أمير النظم والنثر راقيا
فوها لأقوال له قد أعارها
ورقة ألفاظ صحاح أعارب
نظام مبان يخجل الروض بهجة
محاسن روح ما ابتغت في زمانها
ولا وردت غير الشهامة موردا
خلائق أمثال الرياض نواضر
وقد كان أذكى من سنا النار بها

يتكب العلى من عهدها المتقادم
وليس يرجى صفوها كل حازم
شهاب العلى واندك طود المكارم
بخطاب لسمر الخط والبيض ثالم
على جنات الفضل سح الغمام
بفاجيء خطب داهم أى داهم
لنيل المعالي منذ نوط التأمم
يحزن إلي يوم القيامة دائم
ولذاته قد نغصت بالعلاقم
وغادرها ذا النعي غير بواسم
إذا لصحا من غفلة كل نائم
كذا فليكن غيض البحار الخضارم
نهمى الناس حتى أتعدت كل قائم
وحلية أجياد العلا والمعاصم
من الامر أعلاما ارتجت نفس رائم
سلاسته واللفظ مر النسائم
كساها بتفويف طراز الاعاجم
وصيد معان في شرود النعائم
سوى الخير والمعروف يوما لآدمى
ولا عرفت من أين باب المآثم
تضوع منها عرف زهر الكهائم
وأقطع رأيا من شفار الصوارم

فلما ثوى تحت الرغام وذلكت
بكته عيون المكرمات وأعلنت
ولم أر خطبا مثله أو هن القوى
سأندبه لا زاخرا در مدمع
ولا أنس عندي من نفائس لفظه
وكنت مللت الشعر حتى كرهته
إلى أن قضت أوصافه برثائه
على اتى إن لم أكن قبل ناظما
فمن وصفه در المحامد والشنا
أياراحلا عنا إلى الملك الذى
لعمرك هذه غاية الخلق كلهم
حباك إلهي كل رّوح وراحة
وان لنا في نجلك اليوم سلوة
يدوم لنا الشهم الامين مؤيدا

بمصرعه للعلم شم المراغم
عليه المعالى كيف نوح الجائم
به وقد انحلت عقود العزائم
ولا سامعا في الحزن لومة لائم
قلائد أغلى من لآلى العيالم
وأصبح عندي في عداد المحارم
فأصبح عندي اليوم ضربة لازم
أعد ولنطق فيه مهجة ناظم
ومن نوحه در الدموع السواجم
دعاه إلى عيش من الخلد ناعم
ولو عمر المخلوق عمر القشاعم
وجادت ثرى مشواك سحب المراحم
وتعزية يؤسى بها قلب واجم
ونسأل رب العرش حسن الخواتم

ثم رثيت صديق المرحوم أمين بك فكري نجل العلامة المرحوم
عبد الله باشا فكري بهذه القصيدة وكانت وفاته سنة ١٣١٦هـ

(فسيحان الحي الذى لا يموت)

بقية مجد ودعت يوم ودعا
ولم تنعه الأيام إلا وأدجت
لقد جادنا نوء الزمان مصائباً
وآمال عز آن أن تتقطعا
من الشرق شطراً في منيته معاً
يلوح لنا أن مزنها ليس مقلعاً

وسبحان من ساق الردى بوجوهه
 اذا شن جيش النحس في القوم غارة
 وما كنت حتى اليوم أحسب دهرنا
 ألم يكفه ما غال من كل غاية
 وضيق أرجاء الرجاء فسدها
 كذا فليجل الخطب وليفدح الأسى
 أجل ويُجَلِّي الدهر للناس شأوه
 حلفت فلا تمرى النوادب عبرتي
 فبهات ما إن أستطار لفاجع
 أحبتنا إن قيل في الصبر رُجُلَةٌ
 تركت لكم فضل التصبر صبرة
 وشعشع كؤوس الدمع بالدم ساقياً
 واعتدتها نحو الأمين خيانة
 فما كان ودي للأعزة ضائعاً
 حملت له بين الضلوع أمانة
 وأصفيته مني إخاء لو أنه
 وما زلت أرعاه على البعد صاحباً
 فان يك هذا الترب غرب بدره
 ولا لمعت تلك البروق وقد خبت
 أما في دجى الخطب المخيم حاجبٌ

فلقى لعمرى الجمع والفرد مضراً
 فما أجدر الأرزاء أن تتنوعاً
 إذا ساء لا يرتاد للعذر موضعاً
 وأفسد من معنى وعطل مرجعاً
 وراخا مجالات المراثي وأوسعاً
 وتنقلب العليا بمارن أجدعاً
 إذا شاء فيهم أن يصيب ويفجعاً
 على فائت وُلِينَع دهرُك من نعي
 إذا كان من أودى الأمين المشيعاً
 فاني قى أبغي أنوح واجزعا
 وقلت لطر في اليوم لا تال مدمعاً
 فكل شراب زينه أن يُشعشعا
 إذا أنا لم أشتف كاسك مترعا
 وما كان قلبي من أخي الود بلقعا
 لو احتملتها الشم مالت تصدعا
 أعار الليالى صفوه رُقْن مَشْرعا
 وقبلي نجوم الافق مثلي من رعى
 فلا زهرت تلك الكواكب مطالعا
 بروق أمان كن بالأمس لَمْعاً
 لكل منير أن يضىء ويسطعا

قضى اليوم من راع البرية رزؤه
ولم يأت فيه الموت مصرع واحد
أصاب الحجي والعلم والحزم والمضا
وما بقيت في المكرمات سجية
فلو نفعت عند المنون شفاعه
ودافع عن حوائثه طيبُ الشنا
ولكن داعي الموت لا يقبل الرثى
تصيده عن ساعد الغدر فجأة
مصاب له الأقطار إذ شاع زلزلت
أذلَّ إباء الدمع من كل جامد
ولم أر في الارزاء أبعد غارة
عشية لا في الناس مالكُ عبرة
عشية آب الناس سكري وانما
عشية لم تُبق الفجيعة مُسكة
عشية وارى الناس شمسا وأظلمت
وقيل أمين المجد فاجأه الردى
فكم من يد أضحت تدقُّ بأختها
فان يك وادي النيل أشعر فقدَه
كريم به لفظ الكريم مقصر
توَّخى طريق الخير محضا كأنه
وليس يُراعُ الناس إلا لأروعا
ولكنه كان المصارع أجمعنا
وصدق المبادي والذمام الممنعا
ولا خطة إلا ثوت معه مضجعا
كفته فريداتُ الخصال مشفعا
وخلده لو أن في الخاد مطمعا
وأنفسَ منه ليس يلقى وأرفعا
فكان كرجع الطرف أو كان أسرعا
فلا ركن للعلياء إلا تزعزعا
فلم يبق عاص منه إلا تطوعا
ولا من قاوب الخلق أقرب موقعا
ولا زفراتِ الصدر إلا تصنعا
بما لم يكن يوما له الكرم منبعا
ولا حزم للمحزون إلا مضيقا
لها الشمس حتى لا ترد يوشعا
فلا قلب إلا عاد نهبا موزعا
وكم شفة باتت تجاوز أصبعا
فلا جبلٌ في الشام إلا تضعضعا
إذا قيل عن قوم كرام توسعا
من المهدي حتى اللحد جاء لينفعا

له خلق سهيل ونفس أبية
وأقلام صدق راجع في ولائها
ومن بعد عبد الله كان مؤملاً
فما زال حتى أتبع الفرع أصله
وما زال فقد البدر للناس موجعا
فان تطوه أيدي المنون فما طوى
وإن تكن إلا كفان يضانا نواصعا
ألا في ذمام الله سيرك إنه
سبقت إلى حوض كأنك ناهل
ونازلت قرن الموت لا متميها
أناديك لا راجي الجواب فدمعني
أخلفت ثغراً بعد يدك بأدما
ولو ساكنات الأيك يعلمن من ثوى
رجوناك للأوطان أحوج ما غدت
فلم تسمح الدنيا ولم نعلم الوفا
وما هذه الدار التي لفنائها
متاع قليل ثم ماوى لحفرة

وحسن خلل دونها الروض ممرعا
لا كتب من أوتي الكتاب وأبرعا (٢)
بأن لم يغيب ذا الأصل إلا وفرعا
زمان لتتقاد الكرام تتبعا
وفي الليلة الدهماء أنكى وأوجعا
كرور الليالي ذكره المتضوعا
فان له من أبيض الذكر أنصعا
مسير قى ماض أغد وأوضعا
على نكظ (١) خاف الزحام فأهرعا
وحسبك الفاظ اشهادة أدرعا
ويا لهف قاي ان أقول وتسمعا
وطرفا تمنى أن ينام ويهجعنا
لما نحن إلا في رثائك سجعنا
إلى من يرقىها وأوحش أربعا
ولم تر إلا أن تغر وتخدعا
يُشْه ويهوى ان يمال وينزعا
فإذا عسى الانسان أن يمتعنا

وقلت أرثي اللغوي العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي وتلوتها في محفل كبير في بيروت بعد الوحشة التي وقعت بيني وبينه بسبب شوقي (وكانت وفاته سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م)

قصار (١) كل قتي مستكمل الخطر (٢) أن ينحني لقضاء الله والقدر وأن يقابل صرف الدهر كيف جرى وأن يرى غيره مع عينه شرعاً (٣) فما أرى ناعياً حياً بمفرده ليس الحياة سوى تشييع آخرنا وإن تُغِبَّ المنايا في مواردنا من ساحتها بيوم في مصارعها لم يبرح الدهر فتاك المضارب عن كفى بريب المنايا واعظاً وجزاً تخالف الناس في الاهواء حين حياً وقد يلج بيمض كيد شائته وقد يحاول في أعدائه ظفراً كم وترت قوس ضغن كف ذي ترة والدمع يغسل ما بالقلب من وضر لو أنصف اليازجي دمعاً لكان له أو لو درت نار ابراهيم مصرعه

أن ينحني لقضاء الله والقدر بالخاق في عبرات العين والعبر فليس بينهما فرق سوى الصور إلا نعى لو عقلنا سائر البشر لأول فهي هذه فسحة العمر قرب ترك يليه أخذ مقتدر فقد أحيل على أيامها الآخر أيامه البيض أو ليلاته السمر رشداً لمن كان من دنيا على غرر وجمع الموت منهم كل منتشر ولو درى لصفا صفواً بلا كدر وأنه بين ناب الموت والظفر فأذهب الموت عزم الوتر والوتر (٤) كما يزول غبار الأرض بالمطر كعلمه بحر دمع غير منحصر لأصبحت من جوى لفاحة الشرر

(١) القصار الجهد والغاية (٢) الخطر هنا ارتفاع القدر (٣) سواء (٤) الوتر بالفتح وبالكسر الثار وأما الوتر محركة فهي جمع وتره وهي مجرى السهم من الفوس

أودى الردى حينما أودى بمهجته
بذي الضياء تكاد العمي تبصره
من بعدما خمدت ريح البيان غدت
عبارة لا ترى فى رصفها قلقا
لا تلتقى موضعا فيها له بدل
بكت له اللغة الفصحى وحق له
ياراحلا شكت الاقلام غربته
نهجت فى بلغاء العصر واردة
اليك حقك لا ظلم ولا سرف
وان يؤاخذك نقاد بيادة
وقد يعاب الذي فى البدر من كلف
اليك منى تحيات برقتها
فاذهب عليك سلام الله من رجل

بأكتب الوقت من بدو ومن حضر
وذي البيان الذي يشفى من الحصر^(١)
له به دولة وضاحة الغرر
كالعدل لم يشك من طول ولا قصر
كأنما جاءت المعنى على قدر
بكاء كل كلام جاء عن مضر
وليس بعدك منها غير منكسر
بالحق لولاك لم تسفر ولم تنر
لا ينكر الشمس الا فاقد البصر
فليس يرجم الا مثمر الشجر
وليس يسلب معنى الحسن فى القمر
كسحر لفظك أو كالنفخ فى السحر
ماضى الحشاشة لكن خالد الاثر

رثاى للرحوم محمود سامى باشارئيس نظار مصر قبل الاحتلال البريطانى

وأمير الشعراء فى وقته (توفى سنة ١٣٢٣ ١٩٠٤ م)

يا ناظرى الأيّا تبكيان دما
لو صار كل سوادٍ منكما يقيقا
وطالما ذبتما شوقا لرؤيته
فالآن شطت نوى ما عندها أمل

أهكذا عهدنا أن نحفظ الذما
على الصديق لما أنصفتها لما
وخلتها أمانى النفس والنعا
فى القرب فاحتلما من بعده الظلما

(١) أصدر فى مصر مجلة اسمها البيان ثم مجلة أخرى اسمها الضياء

ماذا أقول لقلبي في الدفاع إذا
 ويليمها حسرة في القلب باقية
 لو أن لي طير يمن ما صبرت لها
 ولا عدائي عن الأحباب عادية
 ولا تخلفت عن مصر ومقدمها
 ألوذ بالدمع كي أطفئ اللهب به
 الآن حق بأن أسخو بأسخه
 وما بكائي لخطب قد فقدت به
 لكن بكائي على المبكي بمصرعه
 ولو سبقت به الورقاء ما لحقت
 والمجد مكتسباً من كفه حللاً
 والشعر أدرك ما أعى زهروما
 خطب هوى بخباء الفضل فأنحطمت
 نبا بمحمود سيف لو ضربت به
 مصيبة أرجفت صمّ الجهاد فقل
 نتيجة الوقت لو آلى به رجل
 لو أنصفته الليالي في مقاسمها
 لو لم يكن فضله من حظه بدلاً
 أو كان للحق في تلك الأمور يد
 ما كان يأمل إلا خير أمته
 فإن يكن طاش سهمهم عن رميته

أقام قاضي الهوى ما بيننا حكام
 تظل تحت الثرى تستصحب الندما
 ولا تبدلت من بزانها الرّحما
 ولا حثت لغير الصفوة الرّسما
 وقد غدت دارها من دارنا أما
 فأسئد كأي نافع ضرما
 إن المدامع يتلو حرها الشّبما
 وحدي خليلاً براني ففقه أما
 أهل المشارق بل من غيرهم أما
 مناحي صاحبه السيف والقلما
 والفضل مرتقياً في ظله أطما
 فات الكريم على علاته هرما
 أوتاده وغدت أطنابه رما (١)
 حد الزمان بكف السعد لاثلما
 في الشارق انقض أوفى الشاهق انهدما
 بأنه قد هذا الدهر ما أثما
 لأوطأته على هام السهي قدما
 ما سامه الدهر إرهاقاً ولا حرماً
 نجت به الحجة البيضاء وما أثهما
 ولا يرّجى لها إلا عزيز حمى
 فكم ملوم على رمي سواه رمى

(١) بكسر أوله ويجوز بالضم

كم ساء أمر بحمل الجاهلين له
لا يحسن الامر إلا من تَعُودُه
وما نجاح الفتي كاف لتزكية
والفضل والنقص محتوم لزامهما
ما زاد جوهر سامي الحك غير سني
وقلبا الدهر ناوى مثله أسـدا
مذهب لا ترى في خلقه عوجا
لم يكفه النسب العالي فضم له
كان الاوائل في الانظار مزججة
وليس من نابت في عصرنا أدبا
ما الجاهلي ولا ذاك المخضرم لا
وكل نابغة في الشعر ملتمس
لو جاء في الزمن الماضي وعاصره
أو كان أدرك عصرا قد تقدمه
يصطاد كل شروود في قصائده
أوهت فصاحتُه الأقوال أمتها
ورد فارسها في الجري راجلها
وربما حل عقداً بعض من نظماً^(١)
ما كل راكب خيل يحفظ اللجماً
ولا الحبوط دليل أنه وهما
كأن بين الرزايا والنهي رحما
ولا عراً قدره نقص بما اهتضما
من رعى تلعات المجد والأكام
وصاحب ليس يدري وده السأما
أصلاً وفصلاً لعمري ما رساوسما
حتى أتى فشأى من جد من قدما
إلا بغيث معانيه زكاً ونما
ولا المولد معه حائز قسما
من كأسه رشقات كي يبل ظما
حكيم كندة^(٢) لم يزعم بما زعما
عني حبيب عن الانشاد معتصما
فليس بيت له عن صيدها حرماً
حتى تكاد عليها تؤثر البكما
حتى تساوى أخو جهل ومن علما

(١) أي إن المبدأ كان صحيحاً والحركة مستراداً لمثلها ولكن الذين تولوا
كبر هذا الامر لم يحسنوا جميعا العمل

(٢) أي لو جاء المتنبي في عصره ما ادعى النبوة وكندة محلة في الكوفة ولد
فيها المتنبي فنسب اليها وقيل الكندي وليس من كندة القبيلة التي منها امرؤ القيس
الكندي والفيلسوف الكندي فالمتنبي من جهة القبيلة جمعي وهو جعفي بن سعد
العشيرة من كهلان

فانعوا لنا الشعر والآداب قاطبةً
 من اللبدائع أو من للصنائع^(١) أو
 من للصوارم أو من للمكارم أو
 من للكتائب من للكتب تشبهها؟
 يا يوم محمود ما أبقيت محمداً
 تلك الخلال فهل آت يمجدها
 هيئات يسعدنا شهم يتاح لها
 لن يهتدي بعد محمود دليل^٢ ثنا
 والله ما عجب من فوته عجبى
 وطالما قلت إذ جاد الزمان به
 يا حلية الشرق أضحي بعدها عطلا
 إن كان لم تألئك الدنيا معاركةً
 ما شاب منك بلاء نية خلصت
 كم قاصد لم تعب مسعاه خيبته
 ورب مسدي يد يلقي البلاء بها
 إن التقادير إن أجرت سفائنها
 لا تبعدن ولا يُبَخَسُ ثناك فلم
 والله لو كنت تدري ما بنا كمدًا
 ليس الذى جاور الديماس في تكيد
 إن كان حبل حياة المرء أجمعه

معهم وقولوا لشوق إنه يتما
 من للوقائع إمّا داهم دهما؟
 من للغارم يقضيها عن الغرما؟
 تلك المحاسن أضحي عقدها انفصا
 إلا وأوردتها في نجسه الغدما
 أو هل ترى أمل العليا بها حلما
 فالدهر الأمل من هذا الندى شيما
 ولست تبصر هذا الجرح ملتئما
 لمثله كيف حتى الآن قد سلما
 من علم الدهر هذا الجود والكرما
 وبيضة الدهر عن أمثالها عقما
 فليست أول حر صادف النقا
 ومن عزالك من ظلم فقد ظلمها
 وقائد لم ينل خزيًا أن انهزما
 ورب جان سعيد بالذي جرما
 ألحقن من كان غمرًا بالذي حزمًا^(٢)
 تجرّ إلا إباء الضم والشما
 لكنت أنت لنا الراى ومن رحما
 كمن يزجى إليه الهم والسقما
 أحبولة كان خير الجبل ما انصرما

(١) الصنيعة الاحسان والجمع الصنائع

(٢) الغمر بفتح أوله الجاهل وحزم بضم وسطه صار حازما

فأذهب عليك تحيات المهيمن ما همى بتربك دمع المزن منسجما
هانت بمصر عك الأرزاء أجمعها فليس يُجزع من رزء ولو عظما

وقلت أرثي المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المتوفى في
ألمانية سنة ١٩١٩هـ ١٣٣٨م:

قد عشتَ فذاً في الرجال فريداً فقضيتَ فذاً في البلاد فريداً
جاهدتَ عمرَكَ ثم متَّ مغرباً فغدوتَ من كل الجهات شهيداً
كانتَ حياتك حفظ مصر لأهلها ما خير ذلك طالباً منشوداً
جاهدتَ نصف العمر في أرجائها علماً ونصفاً في الغروب شريداً
لله وفيتَ الأمانة حقها وبذلتَ فيها طارفاً وتليداً
وأذبتَ في حسراتها كبداً (١) بها أوديتَ تحرق من ذويك كبوداً
لم تدَّخر في حب مصر وأهلها وسعاً ولا جهداً هناك جهيداً
ما عزَّ عندك أن تركتَ لأجلها وطناً وقصراً كالسدير مشيداً
ولذائذا ونفائسا أورثتها عنها صرفتَ وعيلاً ووليداً
غادرته طفلاً وطال بك النوى فحزمتَ منظره وصار رشيداً
لخلاص مصر قد تركتَ مآثراً بيضا سمرت لها ليالى سوداً
كنتَ المتيماً والعميد بحبها فلذا لفتيتها غدوتَ عميداً (٢)
كم خطأوك وعاندوك وكل من يفري فريك (٣) لم يزل محسوداً
حتى تمخضت السنون حقائقاً خروا لديها ركعاً وسجوداً

(١) لانه توفي رحمه الله بمرض الكبد (٢) العميد الاول هو الذي هذه العشق
والعميد الثاني هو سيد القوم (٣) فري القري بتشديد الياء أنى بالعجب في عمله

علموا بأنك لم تكن متهورا بل كنت تنظر منذ نظرت بعيدا
عمدوا لرأيتك فانقلبت وتلك من نعم الاله مؤيدا تأيدا
لم تحتضر الا ومصر كلها لنظير صنعك تستحث وفودا
فلشد ما قرت عيونك عند ما حف الجميع لواءك المعقودا
فانظر إلى مصر العزيزة بعضها مثل البريم (١) ببعضها مشدودا
تمشى إلى التحرير لا هيابة خطرا ولا الموت الزوام مييدا
صارت جميعا دنشواي وانما صار الانام عن الحمام مصيدا
حاشا ولو جار القوي ولو طغى أحرار مصر أن تكون عبيدا
مهما استعز الغالبون بجندهم فالحق أعظم قوة وجنودا
قد أقبل الزمن الذي أبنأوه لا يحملون سلاسل وقيودا
نم يا فريد على يقينك انه يوم تأذن بالخلاص عبيدا
لا بد من فرج قريب عنده مصر تؤمم شخصك الملحدودا
وبيشرونك بالخلاص إلى الثرى أن قم وشاهد يومك الموعودا
يبقى مع الاهرام ذكرك ثابتا ويظل قبرك مثلها مشهودا
وهناك تنقلب المدامع قرة ويعود مأتمك المفجع عيدا

رثاء نظمناه في جنيف في ١٨ مارس سنة ١٩١٩ وبعثنا به الى ابن عمنا
المرحوم الامير توفيق مجيد أرسلان لدى علمنا بوفاة ولده ملحم وطان
نجيباً، وذلك بعد أن رجع من منفاه في الأناضول:

لقد كنت أرجو أن تعود وتغنا. وتنسى عناء قد مضى وتصرّما
وتعتذر الايام عما تحاملت عليك ويمحو اليوم ما لامس قدمما

(١) الحبل المبروم

فما راغى إلا مصابك تاركاً
وسمهم تلقاه فؤادى وإنه
أجل لم تزل حتى أصبت (بمُلحَم)
مصاب تشاطرناه طراً فكلنا
رأينا عظيماً قبله حادث النوى
وكنّا نرّجى فرحة بزفافه
وصارت به تلك التّهاني مراثيها
ففى لم يكن إلا بأعوامه ففى
تقبّل بالصبر الجميل بلاءه
تحمّل من بلواه وهو مراهق
كأن الذى فيه من العقل قد أتى
فأى فؤاد لا يذوب لمثله
أتوفيق ثق ما أنت فى الخطب واحداً
وإن كنت مجروح الفؤاد فكلنا
تناثر دمعى فوق طرس أخطه
يخيل لي مبكاك عند وداعه
مضى وبقيت العمر تذكر فقدّه
مضى ولو الماضى يُهنا على الردى
فما هذه الدار العزيزة عندنا
إذا سبر الناس الأمور بدت لهم

ليالى أياما ويومى مظالمها
لآلم ما لاقى نبالا وأسهما
فتفتأ حتى الموت تذكر مُلحما
ييكى على مفقودك الدمع والدماء
لعمري فجاء البين أدهى وأعظما
فواحسرتا اعتضنا من العرس ما تمّا
وناح الذى قد شاء أن يترنما
فقد كان فى عقل الرجال وأحلامها
وحلى بشهد الطبع ما كان علقما
لعمري ما لو حل طودا تهتما (١)
لنزداد فيه حسرة وتألما
وأى سرور لا يكون محرماً؟
ولكنه حزن علينا تقسما
غدا لك مجروح الفؤاد مكلمها
لذاك غدا نثرى ونظمي توأما
خيالا على بُعد الديار مجسما
فيا ليت شعري من تروح منكما
لقلت له اضحك ضاحكاً متبسما
بأهل لعمري أن تعز وتكرما
حقائق لا تُبقي فؤادا متيما

(١) إشارة الى مرض أليم أصابه فى رأسه وتحمله بصبر الكبار رحمه الله

فكم فرح فيها بخير أصابه يعود عليه حسرة وتندما
وكم نعمة تبدو فترجع نعمة ومغتم قوم عاد من بعد مغرما
عزاءك يا ابن العم هل ثم حيلة تصد بها ذاك القضاء المحتما؟
ومثلك من قد غلب العقل والحجى على حسه عند المصاب وحكما
رجوت إلهي في بنيك الألى بقوا بأن يسلموا في جانبيك وتسلموا
ويملاً مرآهم عيونك قرة ويغدوا بدورا في البلاد وأنجما

رثاء للمرحوم الامير عبد القادر نجل جناب الخديوي عباس حلي
توفاه الله إلى رحمته في ٢٠ ابريل سنة ١٩١٩ وذلك في برلين وكنا حينئذ في
مونترو من سويسرة نازلين في فندق مونترو بالاس وكان في الفندق
نفسه جناب الامير محمد علي عم الامير الفقيده فعزيزناه بالايات الآتية

أسائل (١) دمعى هل غدوت مجيبي إذا شئت أطفى حرقى ولهيبي؟
وهيهات أن يقوى على النار صيب وريح الرزايا آذنت بهبوب
لئن بكت الخنساء صخرأ فانه لقد بات يبكى الصخر طول نحبي
يقولون لى صبرا فقد ذبت لوعة وما ذوب مثلي فى الاسى بعجيب
أأحسب قلبى من حديد وإن يكن فكم من شرار للحديد مذيب
وقالوا ألا مهلا تأس بمن مضوا فليس مصاب جازع بمصيب
فقلت ذرونى والاسى ليس مغنيا كلام خطيب مع كلام (٢) خطوب
أجل مقامى فى المحبة والوفا عن اللهو والسلوان بعد حبيب

- (١) يجوز أن يكون أسائل بمعنى أسأل، ويجوز أن يكون اسم فاعل من سأل .
وعلى الوجه الاول الفعل المضارع مرفوع، وعلى الوجه الثانى الاسم المنادى منصوب
(٢) كلام الثانية بكسر أولها جمع كلم وهو الجرح

ورب محب بات يسلو حبيبه
 أفي كل يوم للمنية حادث
 تعمدنا ريب المنون بضربة
 أصبنا (بعبد القادر) اليوم إذ غدت
 هوى كوكبا باتت لوقع غروبه
 هوى كوكبا كالبدري تماً وإن غدا
 فقل أيُّ وجد في الجوانح محرق
 لئن لم يجاوز ست عشرة حجة
 قرأت له كتباً قيل نعيه
 أبى نكد الايام إلا أفوله
 وكان الذي لو عاش أحيا جدوده
 عزيز ناه عرش مصر وقد قضى
 من العلويين الاعظم فضلهم
 يرجيهم الاسلام في كل مأزق
 قضى العدل أننا في الكوارث كلها
 سألت لهم طول البقاء وسيلة
 ورفع أوطان وعزة ملة
 ألا تلك أجسام بغير قلوب
 يسيل من الاجفان كل صيب؟
 أبى الدهر أن يأتي لها بضرب
 تناط به آمال كل ليب
 جميع المآقي مترعات غروب (١)
 قريب المدى من مشرق لمغيب
 على أي غصن في التراب رطيب؟
 لقد جاز في الادراك أهل مشيب
 بأمثالها يختال كل أديب (٢)
 وهل تؤثر الدنيا حياة نجيب
 وأمسى بوادي النيل كل خصيب
 منية ناء في البلاد غريب
 على كل قاص عنهم وقريب
 وفي كل يوم للزمان عصب
 نشاطر من أحزانهم بنصيب
 لنصرة أقوام لهم وشعوب
 وكبت عدو كاشح ورقب

- (١) الغروب الأولى جمع غرب ومعناه الحدة: تقول كفكفت من غربه. والغروب الثانية جمع غرب وهو الدمع أو هو عرق في العين يسقي ولا ينقطع
- (٢) كان عمه الامير محمد علي قرأ لي بعض كتب من الشاب الفقيد رحمه الله

وقلت أرثي المرحوم أحمد مختار بينهم عين أعيان بيروت في وقته
وكانت وفاته سنة ١٩٢٠

هلا وأنت الجوهر المختار عن نيل مثلك تصبر الاقدار
وتكون عن دار العلى متأخراً وإلى العلواء لك السباق شعار
سابت في الدنيا إلى ما بعدها وكذا الفناء إلى البقا مضمار
أبقيت من غرر الفعال مآثرا اليوم هنّ براحتيك منار
وتركت من ظلم الحياة لياليا هي عند ربك كلها أسحار
إلا تكن تلك الحياة طويلة فلقد يساوي العام منك نهار
أو كنت ودعت الأجابة عبطة^(١) بكرأ فعمرك وحده أعمار
كم في الشباب الغض منك كهولة وعليه من دون المشيب وقار
سرعان ما اخترت الرحيل أشد ما احتاجت لك الاوطان والاطار
لو لم تكن ندري وفاك وأنه أجل لقلنا جفوة ونفار
لتبيت من ملأ الملائك داعيا فوراً وشأنك في الأمور يدار
وجدوك أجدر بالجنان وشاقهم يوم تجاورهم ونعم الجار
غارت من الارض السماء نفاسة بك والضرائر بعضهم يغار
فازت بك الخضر اذا غبراً ونا تبكى نواك ودمعها أنهار
لاغرو أن نرزا بفقدك ماجدا فبكل مجسد للمنية ثار
أو أن تكون لسهم دهر ك معرضاً هدفا فأغراض الكبار كبار
ما كان خطبك سيدا قد غاب بل جمعا يضيع وجانباً ينهار
قد كنت في الاوطان قبلة معشر يهدون هديك إن سروا أو ساروا
كانوا إذا ما أبصروك أمامهم رشدوا وإن ضلوا سبيلك حاروا

(١) أعبطه الموت أخذه شاباً صحيحاً بدون علة

ذكروا مكان أيك في أيامه
 خذوت حذو أيك بل جاوزته
 لم تجزىء بتليد مجدك عالما
 فهضت للعليا بنفسك طالعا
 أمسيت في العرب الكرام منارة
 بعزائم مشبوبة ومكارم
 كانت خلالك في الأنام فريدة
 لم يقصر المداح فيك وربما
 الهمة القعساء يربض تحتها
 تلقى الخطوب بقلب شهيم عنده
 حرمت بلادك في مصابك واحدا
 أتخيل الأرجاء بعدك قد خلت
 لا الشجر تغر إذ غدوت برمله
 أعزز علي أبا أمين أنه
 قد كنت أرجو أن أراك وإذ به
 قد كنت طول البعد نصب نواظري
 أبدا أطارحك النجي (٢) كأننا
 مامر عن بيروت سانح خاطر
 أو لا تكون كذا وأنت بأرضها
 أعزز علي أبا أمين انسى

(١) إشارة الى قول الشاعر:

فما بعد العشية من عرار

تمنع من شميم عرار نجد

(٢) النجي والنجوى واحد

سـدك (١) البكاء بمقلتي فأدمعي
أعزز عليَّ بأن مضيت ولم تزل
والناس شائمة بوارق لمعا
يتذكرونك كل حزة مأزق
إذ سيف رأيك في الحوادث فيصل
ومن القلوب معاصم ومعاقل
قد كان عهدك للرفاق : تذكروا
حق البلاد بأن تكون لاهلها
أوطانتنا في الارض خالصة لنا
لا تبعدن فان تغب يا أحمد
لاحت تبشير الخلاص وإنما
ضل الآلى حسبوا البلاد غنائما
والطامحون إلى الفرات ودجلة
والبائعون القدس رهط صيارف
قد كان أم بلادنا آباؤهم
لو يذكرون من الحوادث ماضيا
لكنهم أمنوا الزمان كأنها
وتوهموا تلك العصور وقد خلت
كلا وربك ما أصاب حسابهم
إن الزمان هو الزمان تقبلا

بهما غزار والرقاد غرار (٢)
تلك المنى وفنيقهم حوار (٣)
تخبو وتومض والقلوب حرار
ولدى الخنادس تنشد الاقمار
وندى يمينك ديمة مدرار
ومن العقول أسنة وشفار
حق البلاد وانكم أحرار
ملكا صريحا ما عليه غبار
نحن الطيور وهذه الاوکار
تحت الثرى فلاحم أنصار
يبدو الصباح وقبله الإِسفار
تلك الجنان جنان جلق نار
مجرى الفرات ودجلة تيار
ما للصارف عندنا دينار
أما فلاقي ريمهم إعصار
ما غرهم لمقامنا استحقار
بين الزمان وبينهم آصار
ليست تعاد وما لها تكرار
ولكل قوم نهضة وعثار
مادام الا الواحد القهار

(١) سدك بهلزمه (٢) قليل النوم (٣) الفنيق وزان أمير الجمل المكرم لا يركب
والحوار ولد الناقة مذ يولد إلى أن يفطم



مرثيتي للأخ الأبرو الاستاذ الأشهر الشيخ عبد العزيز جاويش أرسلتها
من لوزان الى مصر وتليت في حفلة الاربعين لوفاته رحمه الله سنة ١٣٤٧
لم تُبق بعدك في الخطوب جليلا
خلفت للإسلام أى مناحة
في كل أرض نص فيها منبر
يتذكرون مواقف مشهورة
وما أثراً في الخافقين حديثها
ما العبقريّة والّتي يصفونها
الخاطر الوقاد ان يبدر مضى
والمنطق الفياض ان يهدر غدا
لا فرق بين السامعك وقد وعوا
واذا جررت على الطروس يراعة
تلك اليراعة ودّ أكر قائد
تتجاوب الآفاق عن أصدائها
هيّات يا عبد العزيز أخو على
لم يعلم الخلق الكريم ولا الحيا
لم يعلم الآداب كيف تجسّمت
فكأن ربك عند خلقك قد أبى
تغدو أرق من النسيم فان عرا
في نعمة الحمل الوديع فان عدا
أسد متى يزار لأمة أحمد
مذ شئت يا عبد العزيز رحلا
طمت وعمت عرضه والطولا
يتذكرونك بكرة وأصيلا
لك ليس تنزك للمرء سيلا
ومعاليّاً رنت حلّ وحجولا
إلا حياتك مثلت تمثيلا
في الحادثات أسنة ونصولا
يتدفق الابداع منه سيولا
ما قلته والشاربين شمولا
بات الصرير براحتيك صليلا
لو أنها في كفه ليصولا
ويرتلون فصولها ترتيلا
من درك شأوك يبلغ المأمولا
من ليس يعلم خلقك المعسولا
بشراً قى لم يصطحبك طويلا
أن لا تكون مكملّا تكميلا
خطب غدوت الصارم المسلولا
عاد ترى أسداً يفارق غيلا
ملا الفرات زئيره والنيلا

شيخان لم يبصر عليهما ذلة
 رضى المصائب والنوائب والنوى
 يعفو الجرائر نحوه طرّاً ولا
 جعل الجهاد نصيبه عن قومه
 لا تعظم الأخطار في أبصاره
 يا راحلاً أبقي فراغاً هائلاً
 آليت لا أنفك عهدك راعياً
 غادرت لي قلباً عليك مقطوعاً
 وسألت دمعى أن يجيب جوانحى
 أنسى لعمرى والدنى وعترتى
 إذ أنت برّ بى كما نفسى وإذ
 إني أحن إلى اجتماع الشمل في الآخرة
 ربّ الوفاء وصفوة الخلان قل
 يا صاحب القيدح المعلى في العلى
 أبقت عليك الأحداث كلومها
 شفت وجودك همة جبارة
 أتظن أن تمضى وأبقى وافراً
 يا أيها المولى بحبك قد مضى
 أمطر على ذاك الثرى غيث الرضى
 قد كان فعّال الجميل حياته
 إلا ومد ذراعه المفتولاً
 والحبس حتى لا يعيش ذليلاً
 يعفو إذا الاسلام عُغّض فتيلاً
 فقضى الحياة مغرباً مجفولاً (١)
 ما دام يبصر حقهم ما كولا
 هيهات تملأه الرجال فحولا
 حتى أغرب في التراب ميلاً
 دامي الصميم ومدمعا موصولا
 فانباع يجري سائلاً مسؤلاً
 إن كنت أنسى فضلك المسجولاً (٢)
 تغدو عليلاً أن أكون عليلاً
 إني أحن إلى اجتماع الشمل في الآخرة
 ربّ الوفاء وصفوة الخلان قل
 يا صاحب القيدح المعلى في العلى
 أبقت عليك الأحداث كلومها
 شفت وجودك همة جبارة
 أتظن أن تمضى وأبقى وافراً
 يا أيها المولى بحبك قد مضى
 أمطر على ذاك الثرى غيث الرضى
 قد كان فعّال الجميل حياته
 إلا ومد ذراعه المفتولاً
 والحبس حتى لا يعيش ذليلاً
 يعفو إذا الاسلام عُغّض فتيلاً
 فقضى الحياة مغرباً مجفولاً (١)
 ما دام يبصر حقهم ما كولا
 هيهات تملأه الرجال فحولا
 حتى أغرب في التراب ميلاً
 دامي الصميم ومدمعا موصولا
 فانباع يجري سائلاً مسؤلاً
 إن كنت أنسى فضلك المسجولاً (٢)

ولما اطلعت على مرثية شوقي للشيخ جاويز أعجبت بها. فارتجلت
هذه الأبيات وقد نشرت في جريدة الشورى

تفوق شوقي بأشعاره	جميعاً فكل يقيم فريد
وما دمت تجتاز أرجاءها	تعود بكل طريف جديد
توالى الهتاف لدى كل بيت	ألا إن ذلك بيت القصيد
إذا هو أبكى فزاد المعاد	وإن هو غنى فأنس الوجود
ولكن قصائد شوقي اللواتي	لهن سجل بلوح الخلود
فداء لمرثية قالها	بعبد العزيز: العزيز الشهيد
أعار الرثاء جلال الفقيد	فأصبح هذا لهذا نديد
وقد كان من قبل هذا مينا	بشأو محال عليه المزيد
تكاد لا حراز أقوال شوقي	تكون المنايا أمانى الفقيد

ورثيت صديقي عين أعيان جبل عاملة ومبعوث بيروت في مجلس
النواب حاتم عصره كامل بك الأسعد رئيس آل علي الصغير وكانت
وفاته رحمه الله سنة ١٣٤٣

هو لفقدك ركن الشرق واحربا	يا كامل من يسلي بعدك العربا
كل المصائب يفنى الدهر شررتها	إلا رداك فيفنى الدهر والحقبا
كنا نرجيك للجللى تدللها	فالיום من ينبري للخطب إن وثبا
تلقى النوازل بالافعال صادقة	والناس في الخطب تسدي القول والخطبا
ردت مصيبتك الأرزاء هيئة	من بعدها وغدت أكبادنا صلبا
نميات تدخر الآماق سائلة	من المدامع تبغي بعدك الصبا

لو كنت مع حاتم الطائي في زمن
نداك بالعين مشهود ونائله
قد كنت تهوى من الاخلاق اسمحها
لله درك سباقاً لمكرمة
يا أمة سكنت أكناف عاملة
هل عندكم قومنا عن كامل خبر
اللامع الرأي إن يدج الزمان بكم
كانت عيالا عليه منكم زمر
كانت بكم ملكم أرجاء عاملكم
قالوا عميد بنى النصار قلبت لهم
لو أنصفت حقه افناء عاملة
لهفي على كامل الاوصاف كيف ثوى
لهفي على البدر قد غابت مطالعه
لهفي على السيد الغطريف تحرّمه
لهفي على الكامل الفذ الذي فقدت
على الذي لو قضيت الدهر تصحبه
تقرا على وجه آيات شيمته
أخ أشدّ به أزري لثأبة
في كل يوم أرى منه أخا ثقة
كم كنت أمل أن أحظى بطلعته
كم كنت أذكره في غربتي كلفاً

ما نال في الكرم الاسم الذي كسبا
هيات نعلم منه الصدق والكذبا
لقاصد ومن العلياء ما صعبا
كالسيف منصلتا والسيّل قد زعبا
وأوطنت شعفات العز والهضبا
فقد أتاننا نبا أن قد نأى ونبا
والخالف الغيث إن تستبطئوا السحبا
من كان منهم يتيما راء^(١) فيه أبا
تته عجباً على الدنيا ولا عجباً
بل ركن كل امرئ في يعرب انتسبا
من البكارق فيها الصخر وانتجبا
ذاك المحيا ظلام الرمس واحتجبا
لهفي على البحر ذى الامواج قد نضبا
طوائف طالما استكفت به النوبا
به الورى المثل الاعلى لمن وهبا
لم تلق إلا الوفا والصدق والادبا
وتثنى قائلاً سبحان من كتبنا
ولا أعزّ عليه اخوتى نسبنا
إذ من سواه أرى الحساد والرقبا
يوماً وأطفئ من أشواق اللهبنا
أحدو إلى وجهه الوضاح ريح صبا

(١) راء مثل رأى ومنه : بك راء نفسك لم يقل لك هاتها

حتى أتاني نعيٌ غير منتظر
 ويلها جملة لما بصرت بها
 من لي بأن أمسك الدمع الهتون على
 مهلا بنى الاسعد الامجاد خطبكم
 تبكى له العرب العرباء أجمعها
 ولو عقدنا عليه كل شارقة
 لكننا الموت حتم لا يحيك به
 زعمت أني أعزيكم بموعظتي
 وإنما نحن طرأ ركب قافلة
 يارب أمطر ثراه كل غادية
 آتته كرم الاخلاق منقبة
 ألفيت ناضر آمالي به خطبا
 خلت المنايا أمانى والحياة هبا
 خدي وأن أدرك النوم الذى هربا
 خطب به الوطن المحبوب قدنسكبا
 من ساكن مدرأ أو ضارب طنبا
 مناحة ما قضينا بعض ما وجبا
 حزن ولا عارض للدمع منسكبا
 فياترى من يعزىنى بمن ذهبنا
 وكلنا شارب الكأس الذى شربا
 تخضل منها بقاع حوله ورئى
 فكن كريما عليه ربنا حديبا

رثائي للرحوم أخي نسيب المتوفى في ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٦

نسيب قد كان ساري الطيف أبدى لي
 رأيت في دارنا الأفواج أشبه بالآ
 فقممت والبال منى كاسف قلقا
 وما مضت ساعة الا أذنت بها
 غدت عليّ سلوك البرق ناقلة
 تلك التعازى التي الاخوان تبرقها^(١)
 أيقنت حقا بأنى قد فقدت أخي

(١) رأيت هذه الرؤيا قبل أن جاءني نعيه بليلة (٢) أول برقية جاءتني هي من شيخ العروبة أحمد زكي باشا رحمه الله

أيقنت انك بعد اليوم مغترب
 شعرت اذ ذاك أن لا أزر ينهض بي
 كما أتى في فلاة لا أنيس بها
 نسيبُ غادرتي من بعد بُعدك في
 لك الخلاص من الدار التي طبعت
 قد كنت أطمع أن ألقاك والهني
 حتى أتاني نبأ قد رد لي أمني
 لم يبق لي بعد ذاك النعي من أمل
 أبكيك في غربتي مضى نوّى وتوّى
 أبكيك حين ألقى الناس مجمعة
 هم يعرفونك من قد كنت معرقي
 ما كنت تعدو ولا تبغى على أحد
 ولا ذكرت امرأة يوماً بمنقصة
 لم تعرف الكبر في قول ولا عمل
 فيك التواضع خلق لا تكلفه
 ولم تكن لجميع الناس متضعا
 لك المزايا التي الاقوام تحسدها
 لو كانت الناس في الدنيا نظيرك لم
 ما كنت تنشد في الاعمال محمدا
 بل تلك عاطفة النفس التي طبعت
 وكنت في الشعر فذا لا يشق له

عنى ولست مجيباً بعدُ تسألي
 وأتى رازح من تحت أثقالى
 والأرض صارت جميعاً ربها الخالى
 عيش تبدل آلامى بآمالى
 على الشقاء، ولى حزنى وإعوالى
 ولو تظاول بي حلى وترحالى
 واحسرتى أمل الظمان فى الآل
 الا بدمع طوال الليل سىال
 بالبعد والموت فانظر أئى اذلال
 تبكى بكائى من دان ومن عال
 فما يزكك الا شاهد الحال
 ولا تُغير على عرض ولا مال
 يا أبعد الناس عن قيل وعن قال
 كلا ولا سرت يوما سير مختال
 وأنت تلبس منه ثوب اجلال
 الا على ثقة فى النفس والآل
 وما اشتغلت بحساد وعذال
 تحتج لعمرى لحكام وعمال
 ولا تبالى باللقاب وإيجال
 على الجليل لغير الجاه والمال
 أدنى غبار وتعبي ناره الصالى

لك القوافي التي أعيت نظائرها
كم من شرود لعمرى قد جررت بها
لها من الحضر الأكياس رقتهم
أدركت في اللغة العرباء منزلة
كم يدعى الشعر قوم لو وزنت بهم
قد يفقد الناس حقاً في تواضعهم
وكم مجال به بان السكيت على
يعطيك حقك دهر لن تضيع به
ما مر ذكرك في ناد وحاضره
ذكراك باقية في الناس سائرة
إن طالما كانت الاحزان زائلة
جرح أتى حين شمس العمر قد دلفت
ولو عة البين لا تنفك تسفع في
يا غرب لبنان ألق السمع وابك على
فلم يعد في اندمال الجرح من أمل
نوابغ الشعر أهل الشيخ والضال
على جرير القوافي فضل أذبال
في لفظ بادية رواد اطلال
لها على كل فحل كل إدلال
هدرت بحر أوساحوا سيح أو شال
ويحسب الصمت عيياً عند جهال
شأو المجلى وبذ العاقل الحال
ان الحقائق فيه غير أغفال
لم يتبعوك ثناء غير بُخال
كما تضيع عرف المندل الغالى
مع الزمان فحزنى غير زيال
الى الغروب ودانت بين آجال
قلبي على مر أسحارى وآصالى
بكاً غريب بأقصى الغرب نزال (٢)
وما بقى مهلة يسلو بها السالى

رثائي لفقيد العلم والوجاهة اللغوي العلامة أحمد باشا تيمور رحمه
الله وكانت وفاته سنة ١٣٤٩

يساورني طول الدجى وأساوره ^٢ملال^٢ وطرفى ساهد الليل ساهره

(١) أي لجهل الناس بحقيقة الفضل (٢) غرب لبنان الناحية التي تسكنها أسرتنا
والغرب الثانية أوربة التي أسكنها الآن (٣) بالضم التغلب من المرض أو الوجع

ولولا التقي ناديت يا حبذا الردى
لعمرك ما بالعيش إرب لعافل
تسلسلُ آلام وترداد محنة
وخيبة آمال وقد أعزة
ليهنك يا تيمور انك جزتها
وفارقت داراً لا يزال قطينها
فان تك عقي الدار قسمة فاضل
تخطتك في ذا الخطب داعية الرثا
جدير بأن يُرثى الذين تركتهم
يسائل بعضاً بعضهم: أين أحمد؟
فأني لهم تلك الخلائق بعده
وأني لهم تلك السكينة والنهى
يريدون في ذا العصر ندّاً لأحمد
ينوحون نوح الثالكات فكلهم
على سيد: في جنبه كل سيد
على ملك في صورة بشرية
إذا ما جرى في أي ناد حديثه
حريٌّ بأن الشرق يظلم أفقه
وتنكس رايات الفضائل كلها
فمن بعده للعلم تنشق حجبها
وللغة الفصحى يصون ذمارها

وقلت متى تاتي إلى بشارته؟
توغل في علم الحقيقة خاطره
تراوح في كربها وتباكره
وبعد طوال السجن فالموت آخره
إلى ملأ لا يعرف الموت زأره
يفكر في الهول الذي هو غامره
فأقصى أمانيك الذي أنت صأره
ولكنها صارت إلى من تغادره
يصابر كل منهم ما يصابره
وأحمد قد ضمت عليه حفائره
وأني لهم من ذلك الوجه ناضره؟
إذا عصفت من أي خطب أعاصره
وأحمد قد مفرد الخلق نادره
تدقق عن مثل السيول محاجره
يظل ضئيلاً باديات مفارقة
تعدته من هذا الوجود صفائره
تقول قتيت المسك شبت مجامره
لمنعاه والاسلام تبكى منابره
عليه وترخي للكمال ستائره
ويسلس عاصيه ويسهل واعره؟
وتملأ فيها الخافقين مآثره؟

صباياته في حسنها وسهاده
 وذوق جناها غبقه وصبوحه
 أوابدها طرا لديه أوانس
 أقام لسان العرب مما هوى به
 ولو كان في عصر المؤلف لم يكن
 ولو أنه وافى الصحاح مصححاً
 وكان كتاب العين قد غاب جملة
 ولو كان في القاموس لجج^٢ ما طما
 ولو أن رب التاج (٤) عاش بعصره
 ولو شمل المصباح (٥) يوماً بنقده
 مدى ليس فيه من يشق غباره
 فقد غيّبت تلك الفضائل كلها
 وبات يبكسي كل صاب إلى العلي
 أحمد لا تبعده فني كل مهجة
 ثلث بنت عنا لم تزل متمثلاً
 دخلت إلى الدار التي أنت أهلها
 ولا بأس من هول الحساب على امرئ
 عليك سلام الله ملاح بارق
 على الناس دين من ثنائك لازم

ومن كتبها أعلaque وذخائره
 وجوب فلاها روضه وأزاهره
 وشردّها من كل فن معاشره
 ولولاه حتما ما أقيمت عوائره^(١)
 لديه ابن منظور بكف يناظره
 غلت فوق عهد الجوهري جواهره
 عن العين لو أن الخليل معاصره
 وما كان إلا كالرقارق (٣) زآخره
 حل من التاج الذي هو ضافره
 لخلاه ملقى ليس يزهر زاهره
 وطائلة ما إن بها من يجاوره
 ودارت على ذاك النبوغ دوائره
 وكان حرّى أن لا تجف بوادره
 ولاؤك عقد محكمات أوأصره
 عليك احتوت من كل شخص ضائره
 مكانك فيها مشرق الوجه سافره
 له زرد من نسج أيديه ناصره
 وجاد ثراك الغيث ما سحّ ماطره
 يؤدونه ما يذكر الحق ذاكره

(١) إشارة إلى استدراك تيمور باشا على لسان العرب لابن منظور

(٢) لجج في البحر خاض في لجمته (٣) الماء الرقيق في البحر وهو بضم الاول

(٤) أي تاج العروس في شرح القاموس (٥) المعجم المشهور في اللغة



ورثيت صديقي المرحوم الشيخ عبدالقادر الشيبى كبير سدة البيت
الحرام وعين أعيان مكة المكرمة
سلاني هل على بُعدي سلاني
وهل فارقته الا توالى
صديق نادر الامثال فيما
وغطريف تعز به قریش
من النفر الألى سادوا وشادوا
عريق المجد أروع عبدري
وكيف يكون من ينميه أصل
وكيف يكون مضطلع بأمر
أقر الله للشيبى حقا
تغيرت البلاد ومن عليها
وقد ضموا الى ما أورثوه
وكان عميد هذا الوقت منهم
يهز به الحجاز أخا مضاء
واذ فارقته في أرض وج (١)
كأنى قد شعرت لدى وداعي
ولما جاءني منعاه أذكى

وهل كان المغيب سوى العيان؟
رسائله علي بلا توان؟
عهدت وما له في العهد ثان
له في كل مكرمة يدان
وجادوا للأقاصى والأداني
له شأن يُكذب كل شاني
كعبد الدار أو عبد المدان؟
تسجل بالمثلث والمثاني
سدانة بيته طول الزمان
ورتبة آل شيبة في أمان
تميزهم بأخلاق حسان
يشار الى علاه بالبنان
الى العلياء كالسيف اليماني
وجا (٢) قلبي التياح كالسنان
بأنى لن أراه ولا يراني
ضلوعي واستهل المدمعان

(١) وج هي الطائف وكان وداعي له هناك ولم أره بعدها

(٢) وجاءه بالهمزة ضربه بالسكين ونحوه في أي موضع كان وخفف هنا للوزن

وباتت تسفع الاحشاء ذكرى مجالس كالامان وكالاماني
 زمانا كان يرعاني وفاه على مر الدقائق والثواني
 ألا يا آل شيبه لي حنين اليكم من أخ جم الحنان
 لعبد القادر الشيبه عندي مقام لا يقوم به بياني
 أشاطركم بهذا الخطب حزنا شجاكم منه سهم قد شيجاني
 ولكني بعد الله (١) أرجو عزاء آسيا جرح الجنان
 وأسأل للفقيـد كـريم نزل لدى مولاه في غرف الجنان
 هناك العالم القدسي باق وهذا العالم الانسي فان

هذه مرثيتي للأخ القديم، والولي الحميم، أحمد بك شوقي أمير
 الشعراء رحمه الله : وقد توفي سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

قد أعجز الشعراء طول حياته واليوم يعجزهم بندب مماته
 هيهات يوجد في البرية منهم كفؤ ليرثيه بمثل لغاته
 كان الأمير لجيشهم مستنة فرسانهم في الظل من راياته
 ما عاب أهل العبقريه أنهم قد قصّروا في الخب (٢) عن غاياته
 هذا أمير الشعر غير مدافع في الشرق أجمع منذ فتق لماته
 لو كان وحي بعد وحي محمد لانشق ذاك الوحي عن آياته
 السحر في نفشاته والزهر في نفحاته والدهر بعض رواته

(١) ولد الشيخ الفقيـد وهو الوجهه الاستاذ الشيخ عبد الله الشيبه

(٢) الخب والخبب ضرب من العدو ويقال خب في الامر من باب طلب اسرع

رقت لنغمته القلوب فكيفما غنى بها رقّصت على نبراته
 تغدو المعاني العُصم شمس مقادة فيقودها قود الغلام لشاته
 وإذا أراد الصخرة الصماء من أغراضه رقت نظير سحاته (١)
 ما رام شارد حكمة في نظمه إلا أصاب صميمها بحصاته
 جلّى الاله له الامور كأنما يُلقى عليها الشمس من نظراته
 فكسا الطبيعة من نسيج بيانه حللا خلت من غير طرز دواته
 فترى الطبيعة قبل نظرته لها غير الطبيعة وهي في مرآته
 والحسن يشرق في العيون بذاته وهنا يضيء بذاته وصفاته
 هذا هو الشعر الذي ينبوغيه لم تحسن النظراء قرع صفاته
 من كل بيت في رفيع عماده تتقاصر الأقدام عن عتباته
 كالدر في لمعاته والبدر في قسماته والصبح في نسباته
 ولقد رويت الشعر عن آحاده وألفت للسباق في حلباته
 وقضيت فيه صبوتي وصبابتي وقطفت منه خير نوّاراته
 وأثرت في الميدان بزل فحوله وأطرت في الآفاق شهب بزاته
 فرأيت (شوقي) لم يدع في عصره قرنا يهز قناته لقناته
 الفرد في أمداحه ونواحه والفد في أمثاله وعظاته
 وإذا تعرض للغرام فهل درت لغة الغرام نظير شوقياته ؟
 ما في الهيام كوجده وحنينه أو في النسيب كظليه ومهاته
 أوبات يعبث بالشراب أضاف من كاساته حبا الى كاساته
 أو خاض في ذكرى العذيب تشابهت أعطاف مستمعيه مع باناته

(١) السحاة تخفيف السحاة وهي ما أخذ من القرطاس

وإذا تحدث بالريـع وروضه
أو سل في وصف الوقائع صارما
لا رتبة تعلو مكاتته ولا
نحت القوافي السائرات أو ابدا
قد بذ آلهة القريض بأسرهم
يُنضون كل نجية أن يطلعوا
ولكم مررت بحاسدين لفضله
لا ندَّ يعدله وكم من مجاس
يتمثل العصر الحديث بشعره
ولرب بيت يستقل بجملة
لم يفتن من عصره بمساويء
قد لازم الانصاف في أحكامه
وإذا سألت عن الجهاد فانه
كالسيف في أوضاعه ومضائه
ما حلّ بالاسلام حيف مصيبة
يحمي حقائقه ويوضح سُبـله
يلقى على غمرات كل مله
ويظل يرسلها قصائد شُرّداً
كانت قصائده هي الصوت الذي
بعثت به روح الحياة كأنها
قد كان أدري الناس بالداء الذي

أنساك بالتحبير وشى نباته
خلت العدى سالت على شفراته
شرف يُناف عليه من شرفاته
ماذا يفيد النحت من أثلاته
ومحا عبادة لاته ومَناته
جبلا يحل الرأس من شعفاته
رغم القلى يروون من أياته
أشعار شوقى الندّ في سمراته
حق التمثل من جميع جهاته
تغنى عن التاريخ في صفحاته
كلا ولم يغمطه من حسناته
لا فرق بين صحابه وُعداته
منذ الحداثة كان في سرّواته
والليث في وثباته وثباته
إلا وكان بها لسان شكاته
ويقل طول الوقت من عثراته
قولا يزيل أجاجها بفُراته
غرراً تشق الفجر عن ليلاته
سرى عن الاسلام ثقل سُبـاته
هي صور إسرائيل في زعقاته
قد حط هذا الشرق عن صهواته

داء هو الأخلاق في اضمحلالها
 وبقى عن الشرق القديم نضاله
 قد زاد عنه بقلبه ولبه
 ماض يحذره استلاب تراثه
 أعلى منار الشرق في أوصافه
 ووحى الى الشرق بالطرق التي
 أملى مكافحة الذئاب عواديها
 الجائسين ببحره وبهره
 والغاصبين لزعره ولضرعه
 أشعاره تحيا وتحيا أمة
 يا راحلا ملأ الزمان بدائعاً
 أتركت بعدك شاعراً ترضى بأن
 يبكي بك الاسلام خير جنوده
 وكأن وادي النيل من أحزانه
 ونوادب العريية الفصحى لها
 انظر الى الاخوان كيف تركتهم
 انظر لحال أخ فذاك بروحه
 قد كنت طول العمر قرة عينه
 مضت السنون الأربعون ونحن في
 أركانك عن بُعد وترعاني على
 عهد رعيناه مديد حياتنا
 فلذا ترى الأخلاق رأس وصاته
 من يوم نشأته ليوم وفاته
 شأن الأبي يذود عن تركاته
 منه ويحفزه لأخذ تراثه
 وأجاد وصف الغرب في آفاته
 يمشى النجاء بها لأجل نجاته
 بالواد قد حلوا مكان رعاته
 والجائشين بنجده ووطاته
 والآكلين لقمه بنواته
 تجد الحياة الحق في كلماته
 من قبل أن نزل القضا بسكاته
 ترعى جياذ الفكر في تلعاته
 أبداً ويرثى الشرق خير حماه
 يلقي على الشطين من زفراته
 ندب عليك يذيب في رناته
 من كل مضطجع على جمراته
 لو كان يحى الميت عزم فداته
 والآن يجري السخن من عبراته
 هذا الاخاء نمر من قهواته
 عهد نهز الرطب من عذباته
 واليوم زاد الموت من حرمانه

قد كنت أطمع أن ترى لي راثياً يا من غدوتُ اليوم بين رثاته
 كنا نخاف رداك قبل وقوعه فلنا الأمان اليوم من دهشاته
 تباً لعيش قد يكون مساؤه نوحاً وكان سروره بغسده
 والمرء إن ينظر لما يبلى به لا فرق بين بقاءه وفواته
 فالمت وهو يذوب في حشراته كالخى وهو يذوب من حشراته
 نرجو لك الدار التى عمارها هم كل من صنع الجميل لذاته
 يضمنى عليك الله ثوب نعيمه والله لا تحصى ضروب هباته
 قد كنت فى الدنيا هزأراً صادحا يشجى ويسلى الناس فى نغماته
 فالآن كن بجلال ربك ساجعا والطائر المحكى فى جناته



وقلت أرثى صديقى الطيب الذكر الحاج عبد السلام بنونه من
 عيون أعيان تطوان بل المغرب كله المنتقل إلى رحمة ربه فى ٣ شوال
 من هذه السنة (١٣٥٣) وهذا آخر شعر لي إلى تاريخ نشر هذا الديوان
 وقد أرادت جريدة « الحياة » الصادرة فى تطوان فى عددها المؤرخ
 فى ٣ ذى القعدة سنة ١٣٥٣ الموافق ٧ فبراير سنة ١٩٣٥ أن تتلطف
 بالكلمات الآتية قبل إثبات القصيدة :

❦ لوعة أخ على أخيه ❦

رثاء لمفخرة المغرب المرحوم الحاج عبد السلام بنونه

نور الله ضريحه وروح روحه

الأمير شكيب أرسلان رجل الساعة فى العالم الاسلامى ، ابتداءً
 يخدم القضية الاسلامية منذ خمسين عاماً ، وهو أول زعيم عربى رفع

صوته في الشرق والغرب مدافعا عن قوميتنا المغربية المهددة، فبلغ صدى
صوته الحافقين، يحب المغاربة حبا جما، وتربطه برجالهم روابط حب
متين وإخلاص مكين، وليست هذه القصيدة التي نقدمها للقراء اليوم
إلا صورة مصغرة منبئة عن عواطفه النبيلة نحو أمتنا وقادتها في الحياة
والموت؟ « الحياة »

يامد معي اكفياي نار أحزاني
نار تأجج في قلبي فهل لك
إن لم يك اليوم لي رنات ثاكلة
أقضى الليالي لا أحظى بطيف كرى
مالي بغير كؤوس الدمع مغتبق
تأبى المروءة قلبا غير متقد
لا بوأتني المعالي متن صهوتها
وليس كل أخ تأتي منيته
إنا فقدناك يا « عبد السلام » لدن
وكننت ركننا لها إن أمة لجأت
الباهر الخصل^(١) يعي من يسابقه
يرمي بكل مرأش من كنائنه
كانت محامده شتى نقول لها
مهذب الخلق في صفو وفي كدر

إني عهدتكم من خير أعواني
أن تطفئوها بتسكاب وتهتان
فأي يوم له وجدي وتحناني
موزعا بين حيران وحران
وليس غير نجوم الليل ندماني^(٢)
على حبيب وطرفا غير ريان
إن كان لم يُصم^(٣) قلبي فقد خلاني
على رؤوس ذويه دك بنيان
كنت المرجى لأوطار وأوطان
من الورى لأساطين وأركان
والقائل الفصل عن علم وبرهان
عن كل قوس من التفكير مرنان
سبحان ناظمها في سلك إنسان
وناصح الود في سر وإعلان

(١) يفتح أوله المنادم وقد يكون جمعا

(٢) أصمى الصيد رماه فقتله وهو يراه

(٣) الخصل اصابة الغرض والخطر الذي يخاطر عليه في النضال يقال أحرز

فلان خصله أي غلب

مناقب سَنَمَتْهُ ذُرُوءٌ قَعَسَتْ
 بصيرةٌ تَسْتَشْفِ الغيبَ أَغْمَضَهُ
 كانت له في هوى الاسلام صارخة^(٢)
 وعزة العرب العرباء مألثةٌ
 أخي الذي كنت أرجوه على ثقة
 يمضى إلى المجد إذ يمضى بلا ملل
 ما كان يثنيه عن علياء يقصدها
 إن صوّبت نحوه الاعداء أسهمها
 إن شئت تعلم شأوَ المرء في شرف
 إن الحقيقة مثل الشمس آية
 تتعّرع المغرب الأقصى لمصرعه
 كأنما كل ما في الغرب من مهج
 قد كنت آمل أن نحيا معاصرةً
 أدعو له في جناني كلما انفردت
 نخيب البين ما قد كنت آمله
 خذ في حياتك ما تشاق من نعم
 واعلم فما صادفت عيناك في زمن
 لم تحل لي من زماني لحظة عذبت

وما أقرت لأقران بأقران^(١)
 وهمة تقرن العالي إلى الداني
 الموت في سبيلها والعيش سيان
 عروقه مملوء أنداء لأغصان
 إذا تشابه إخوان بخوان
 ولا يبالي بأحقاد وأضغان
 ثان ولا يرتضى في السبق بالثاني
 فالمجد والسلم في الدنيا نقيضان
 قيسه بما هاج من بغى وعدوان
 إلا التجلي لقوم غير عميان
 فلا ترى من بنيه غير سكران
 تجمعت وغدت في وسط تطوان
 مديد عمر وألقاه ويلقاني
 نفسى بنجوى وأرعاه ويرعاني
 وكم أرتنى الليالي ضد حسباني
 وخذ بمقداره تهمام وجدان
 من قرة فهي يوماً قرح أجفان
 إلا أمرت وحاكت وقع مران^(٣)

(١) أقرن له أطاقه

(٢) الصارخة الاغاثة مصدر على الفاعلة كالعافية

(٣) بضم أوله الرماح الصلبة اللينة واحدا مرانة

ولا توفر لي حظ الذُّ به
يا راحلا فجع الاسلام أجمعه
ومسلما بطلا كانت حميته
بُدِّلَت من هذه الدنيا سماءُ عُلَا
شقيت في دارك الدنيا بجيرتها
أثواك ربك في أفياء جنته
وجاد ترب ضريح أنت ساكنه
وأورث الله من أنجبت من ولد
فاذهب عليك سلام الله ما طلعت
يقُلُّ بعدك ، مدفونا فجعتُ به

إِلا تَضَمَّنْ أشجاني وأشجاني^١
فالشرق في نdbe والغرب صنوان
تملا الفعجاج باسلام وإيمان
فابشر أمستبدل الباقي من الفاني
فأسعد من المملأ الأعلى بحيران
تمتع الروح في رَوْح ورَّيحان
بكل أوظف داني الهدب حنان^٢
خلالك الغر ، هذا خير سلوان
شمس وناح حمام فوق أفنان
أن أَسْتَطار على ضعفي لحدثان

(١) أشجاء أحزنه مثل شجاء

(٢) وطففت السجابة أدات ذيولها ومنه الاوظف والهدب بمعنى الذيل.

والحنان الذي له صوت

القسم الرابع

﴿ في المدائح السلطانية ، وشئون السياسة العثمانية ﴾

لي عدة قصائد سلطانية كنت أمدح بها السلطان عبد الحميد ولم أكن أقدمها للحضرة السلطانية وإنما كنت أنشرها في الجرائد تعظيماً لمقام الخلافة وتأيداً لوحدة الأمة . فمن هذه القصائد ما لم أعثر عليه حتى هذه الساعة وذلك تراني مملياً منها ما لا يزال في خاطري كيفما اتفق منها قصيدة نظمها في الاستانة سنة ١٣١٠ ١٨٩٢ م أي من ثلاث وأربعين سنة لا أزال أحفظ منها ما يلي :

ما إن لشأو في البيان يبين تدنو لمدحك غاية وتبين
شأو لو الحدق^(١) حاول مثله أعيان البيان لديه والتبين
إيتاء حق الشكر حق خليفة تزين الدنيا به والدين
(ومنها)

تغشى الأمور بفكرة وقادة الظن منها في الأمور يقين
يا طالما صدت مقارعة الظبي إن العقول معاقل وحصون
(ومنها)

فاسلم أمير المؤمنين ولا تزل تعطى مناك وما تريد يكون
في دولة غراء عثمانية متكفهاها النصر والتمكين
ومنها قصيدة أخرى بائية نظمها في سورية وأظن عهداً يرجع
إلى أربعين سنة وقد بقى منها في حافظتي الآيات التالية

(١) المراد به الجاحظ وكتاب البيان والتبيين من أشهر كتبه

قف بين معترك الأمواج والهضب
 بدار سلطنة الدنيا ومركزها
 بحيث قد فرق البرين ربهما
 وقابل الشرق في أزياء قُدمته
 ثغر الثغور حماء الله قام له
 مازال من عهد قسطنطين مرتقبا
 حتى أتمته جيوش لا كفاء لها
 سخرن من أرضه قرنا يذل له
 ومنها في ذكر السلطان

حاز الخلافة في عصر أبي لهب
 فاطفاً النار من بعد السعير له
 ومنها قصيدة نشرتها في المؤيد عهداً يتأخر عن عهد القصيدتين
 الأوليين بعدة سنوات وأذكر منها مايلي :

مشارك أرض لفها بمغارب
 وجانس بين الغور والتجدعدها
 وضيق بين الفرجتين فصارتا
 وقرب بين العدوتين كائما
 مروى شعار الهند دان وراوياً
 لواء من الاسلام قد عز نصره
 لواء لوان الارض طال أثيرها
 وغادر قطيها مزاجاً لقاطب
 كلا أرضها لم يعي وقع السلاهب
 إلى مثل ما ضمت أنامل حاسب
 له كرة الغبراء أكرة لاعب
 سبان المعالي عن رفاق المضارب
 أطل على الآفاق من كل جانب
 لما زال حتى اندق بين الكواكب

(١) إن أكثر الحرب يوم فتح استانبول وقعت على الخليج القسطنطيني -
 قاسم باشا - وهناك مزار أبي أيوب الانصاري (رض)

ولو أن قرن الشمس أرخى ذوائباً
تداوله بعد النبي خلائف
لعمرى لئن طال التحكك بالسهى
لما طاولت أحساب عثمان عصبه
أرى آل عثمان بنصر محمد
مليون بالامر الذي يحملونه
لقد نوروا ليلاً من النقع داجياً
وقد فرعوا من كل ملك عقيلة
لقد جمعوا البرين مع زاخريهما
ومنها في ذكر السلطان

حفظت لعثمان وفاراً مريده
وحسنت بل حصنت ماشئت واقتضت
سردت له هذا الحديد فلم تزل
قواضيه في الحرب إن تفتدب لها
وما عفت نار الحرب إلا تعقلا
وما عقتها إلا احتفازاً لقربها
لكل من الامرين أعددت عدة
سهرت وقد نام الأنام بمقلة
وآخرها

فبك ذا شرعي وعرفي ومنهبي
ومدحك ذا فرضي ووترى وواجبي
(١) أي ان آل عثمان في نصر محمد (ص) هم كالأوس والخزرج الا أنهم لم
يدركوا زمن الصحابة

تردى باذن الله حلة خائب
خواطرك الغرأ وحسن المذاهب
تمد بقضبان له وقواضب
وقضبانته في السلم ان لم تحارب
وكل من الدولات تدلى بجاذب
وهل ينهض البازي بغير مخالب
فسالم إذا ما طببت نفساً وغاضب
لها قلب شيحان وجثمان شاحب

ونظم المرحوم شوقي بك عند ما ذهب إلى الآستانة وكان ضيف
أمير المؤمنين القصيدة الآتية :

رضى المسلمون والاسلام فرع عثمان دم فداك الدوام
كيف نحصى على علاك ثناء لك منك الثناء والاکرام
هل كلام العباد في الشمس إلا أنها الشمس ليس فيها كلام
ومكان الامام أعلى ولكن بأحاديثه يتيه الأنام
إيه « عبد الحميد » جل زمان أنت فيه خليفة وإمام
ما رأت مثل ذا الذي تبني الـ أقوام مجدا ولن يرى الاقوام
دولة شاد ركنها ألف عام ومئات تعيدها أعوام
وأساس من عهد عثمان يبنى في ثمان ومثلن يقام
حكمة حال كل هذا التجلي دونها أن تنالها الافهام
يسأل الناس عندها الناس هل في الناس ذو المقلة التي لا تنام ؟
أم من الناس بعد من قوله وحسي كريم وفعله إلهام ؟
صدق الخلق أنت هذا وهذا يعظما ما جازه إعظام
شرف باذخ وملك كبير ويمين بسط (١) وأمر جسام
« عمر » أنت بيد أنك ظل للبرايا وعصمة وسلام
ما تتوجت بالخلافة حتى توج البائسون والآيتام
وسرى الخصب والثناء ووافى البشر والظل والجنى والغمام
وتلقى الهلال منك جبين فيه حسن وبالعفاة غرام
فسلام عليهم وعليه يوم حيتهم به الأيام
(١) يمين بسط بالضم مبسوطة

و(بدا الملك) ملك عثمان من عا ياك في الذروة التي لا ترام
يهرع العرش والملك اليه وبنو العصر والولاة الفخام
هكذا الدهر حالة ثم ضد ما لحال مع الزمان دوام
ولأنت الذي رعيته الأسد ومسرى ظلالها الآجام
أمة الترك والعراق وأهلوه ولبنان والربى والخيام
عالم لم يكن لينظم لولا أنك السلم وسطه والوئام
هذبه السيوف في الدهر واليو م أتمت تهذيبه الأقلام
أيقولون سكرة لن تجلى وقعود مع الهوى وقيام
ليذوقن للهلل صحوا تشرف الكأس عنده والمدام
وضع الشرق في يديك يديه وأتت من حماته الأقسام
بالولاء الذي تريد الأيادي والولاء الذي يريد المقام
غير غاو أو خائن أو حسود برئت من أولئك الاحلام
كيف تهدي لما تشيد عيون في الثرى ملؤها حصى ورغام
مقل عانت الظلام طويلا فعمها في أن يزول الظلام
قد تعيش النفوس في الضيم حتى لترى الضيم أنها لا تضام
أيها النافرون عودوا إلينا ولجوا الباب إنه الاسلام
غرض أتم وفي الدهر سهم يوم لا تدفع السهام السهام
نتم ثم تطلبون المعالي والمعالي على النيام حرام
شر عيش الرجال ما كان حلها قد تسيع المنية الاحلام
ويبيت الزمان أندلسياً ثم يضحى وناسه أعجام

عالي الباب هز بابك منا فسعيننا وفي النفوس مرام
وتجلت فاستلمنا كما للناس بالركن ذى الجلال استلام
نستميح الامام نصرا لمصر مثلها ينصر الحسام الحسام
فلمصر وأنت بالحب أدري بك يا حامى الحمى استعصام
يشهد الله للنفوس بهذا وكفاها أن يشهد العلام
وإلى السيد الخليفة تشكو جور دهر أحراره ظلام
وعدوها لنا وعودا كبارا هل رأيت القرى علاها الجمام؟
فمللنا ولم يك الداء يحمي أن تمل الارواح والاجسام
يمنع القيد أن تقوم فهل تا ج فبالتاج للبلاد قيام
فارفع الصوت إنها هى مصر وارفع الصوت إنها الاهرام
وارع مصر ولم تزل خير راع فلها بالذي أرتك زمام
إن جهد الوفاء ما أنت آت فليقم فى وفائك الخدام
وليصلوا بمن له الدهر عبد وله السعد تابع و غلام
فاللواء الذي تلقوا رفيع والامور التى تولوا عظام
من يرد حقه فللحق أنصا ر كثير وفي الزمان كرام
لا تروقن نومة الحق للبا غي فللحق هبة وانتقام
إن للوحش والعظام منهاى لمنايا أسبابهن العظام
رافع الضاد للسها هل قبول فيباهى النجوم هذا النظام
قامت الضاد فى في لك حبا فهي فيه تحية وابتسام
ان فى «يلدز» الهدى لخلالا أنا صب بلطفها مستهام
قد تجلت لخير بدر أقلت فى كمال بدت له أعلام
فالزم التّم أيها البدر دوما والزم البدر أي هذا التمام

فعارضته بالقصيدة الآتية:

هل لسان أقواله الإلهام ؟ أم بيان آياته الأحكام ؟
فتبارى الالفاظ شأو المعاني ويوفى حق الثناء الامام ؟
الذى شرفت خلافته الارض فحف البرية الاكرام
وغدت لهجة الثناء عليه مثلها دام للصلاة إقام
قعدت نهضة البلاغة عنه ودنت عن خياله الاوهام
قعس في الصفيح من أطلس العرش تهاوت من دونه الافهام

إنما وصفه على فاتح الافكا ر في الذروة التي لا ترام
كل طرف للفكر عنه كليل كل طرف للجري فيه كهام
قصر الوصف دون من يفضح الوصف وعند الفعال يخفى الكلام
ينبذ الشعر والشهود الرياضيات عدا والحبجة الارقام
إن ما سال في ثناه يراع لا كما سح من يديه غمام
وفعال الضرغام أوقع في النفس من القول إنه الضرغام

كل يوم له صنائع تترى في البرايا لباسهن الدوام
تكفل الناس مثلها يكفل الغبراء غيث له عليها انسجام
طوق الخلق جوده ونداه فهي في مدحه لعمرى حمام
وجدير أن تنطق الطير والوحش فيتلو الصداح فيه البغام

نسخت عنده الملوك وأمسى خيرا من أخبار كان الكرام

ما رأى مثله الزمان عظيماً صبية عنده الرجال العظام
جاء من ضئفىء الخلافة فرداً هو من معشر الملوك السنام
فرع عثمان وكفى المجد والاحساس والمكرمات والاحلام

دولة حجة الزمان على الخلق بها دون مزية إلزام
ليس للشرق غيرها فبنو المشرق طرا بدونها أيتام
قد أقامت سراق العز يعليه الوشيح الرماح والاقلام
فوقه راية الهلال منيرا يدبر الظلم عندها والظلام
ينضوي تحتها النقاد مع الاسد وترعى الذئاب والآرام

مجد عثمان ليس غيرك مجد كل مدح من دون مدحك ذام
لم تزل شامخاً بأنف عزيز ولكم أعطس الملوك الرغام
لا ترى دولة هز الا وضعفا حولها المسلمون والاسلام
وعلى رأسها خليفة عصر دهره تابع له وغلام
لم يزل قائماً لديه بأبوا ب عليهن للجباه ازدحام
حيثما تهطع الملوك وتعنو تحت تيجانها الطلى والهام
موقف تخشع النواظر فيه وتسوى الرؤوس والاقدام
قد جباه عثمان أَساً متينا مثل البيت عنده والمقام
شاب قرن الزمان وهو ممكن وتخطت مثاتها الأعوام
وغدا ألفا سهام الليالي فلذا لا تنال منه السهام

إيه «عبد الحميد» إن زمانا	أنت فيه عباسه بسام
أوله نصر ك العزيز وأيد	وارو مصرًا له اليك أوام
أشخصت نحوك العيون حيارى	أمم الخافقين والأثوام
وتصبى القلوب منك خلال	يحرم العشق دونها والهيام
أقبل العصر يرتجيك وفي اليم	نى كتاب وفى الشمال حسام
حبذا الدولة التى صار فيها	توأمين العلوم والاعلام
هوذا الشرق فى حماك لك الام	ر جميعاً وفى يدك الزمام
هزه هزة تثوب بها الرو	ح وتحي الآمال وهى رمام
أرهف الحد للخطوب فما ين	فع مع هذه الليالي احتشام
لم تزل أرضنا مأسد بالله	وماوى رجالنا الآجام

إن للشرق هبة بعد نوم	أزعجته خلاله الأحلام
هبة تبعث الحمية فى النام	س كما يبعث الخمار المدام
يسال الغرب عندها الشرق هل جا	ءك روح تحيا به الأصنام؟
ترسل الكهرباء فيها شعاعا	ويرى للبخار فيها ركام
وتشب النيران فى كل أرض	فتعود النيران وهى سلام
انما تثلج الصدور بسلم	حيثما يوقد الصدور ضرام

يا إمام الهدى هنيئاً وأولى	آن يهنا بالعيد عنك الأنام
إن أحاول على علاك ثناء	فهو مما قضى على الذمام

أو أعارض قتي القريض^(١) فما عا
رض ورد الحدائق القلام^(٢)
ذا مجال رضيت فيه من السب
ق بعزم لم يثنه الاحجام
وإذا كان بدع وصفك سمطاً
جاء عفواً من القريض النظام

إن يوماً به الجلوس تجلى
هو يوم خدامه الايام
كفر الدهرفيه عن كل ما جر
فلم يتجه عليه ملام
جاء ختما لطارقات الليالي
فاختلافاتها النيا لمام^(٣)

ليس يلحى على أو اليه عصر
بمعاليك طاب منه الختام

*
*
*

ولما استرجعت الدولة العثمانية مدينة أدرنة وتوابعها بعد الحرب
البلقانية المشؤومة أرسلت الدولة وفدا الى أدرنة من رجالات العرب
لتهنئة أهل تلك الديار على رجوعهم الى حضن الدولة فجرت احتفالات
وقيلت خطب، وكنت من جملة أعضاء الوفد العربى المذكور ، قتلوت
أمام ضباط الجيش العثمانى قصيدة نشرتها أكثر الجرائد العربية
والتركية ولا أزال أحفظ منها الأبيات التالية

فدأ لحمانا كل من يمنع الحمى
ومن ليس يرضى خوضه متهدما
فما العيش إلا أن نموت أعزة
وما الموت إلا أن نعيش ونسلا
تأملت في صرف الزمان فلم أجد
سوى الصارم البتار للسلم سلباً

(١) شوقي (٢) القلام القاقل . قال المعري :

لولا غضا نجد وقلامه لم يثن بالطيب على رنده

(٣) جمع لمة . يقولون ماتزورنا إلما ما اي في الاحاين

ولم أر أنأى عن سلام من الذي
يقولون وجه السيف أبيض دائماً
فإن يك دفع الشر بالرأي حازماً
تجاهل أهل الغرب كل قضية
وكابر قوم ينظرون بأعين
(أدرنة) يأم الحصون ومن غدت
فدينك ربعا ما أبر بأهله
عمرناك أحقاباً طوالاً فلم نزل
فلما أتاك المصلحون بزعمهم
الأقل (لفردينان) (١) أسرفت عادياً
وهاجمت والاحلاف غدر أو غيلة
رجالا لها بعضاً ببعض تشاجر
تعرض هذا الملك منكم ومنهمو
(أدرتنا) لو كان للصخر السن
فما من قتي إلا وأجهش بالبكا
ولا عادة إلا وكفكف دمعا
ولا منبر إلا وأورق بهجة
وقرّت عيون المصطفى في ضريحه
ومنها:

تأخر يعتد السلامة مغنيا
وما أبيض إلا وهو أحمر بالدماء
فما زال دفع الشر بالشر أحزماً
إذا لم ينجي فيها الحسام مترجماً
ألا عمّة الباب أعمى من العمى
لدار بنى عثمان سوراً ومعصماً
وأماً علينا ما أعز وأكرماً
بأهلك من أهل البسيطة أرحماً
أعادوا إلى تلك الجنان جهنماً
وأكثر في وادي الضلالة مزعم
رجالا غدوا عما تكيدون نوّاً
فكان قضاء الله فيهم مُحْكَم
لسهمين كل منهما انقضّ أسهما
بها يوم عاد الراجعوها (٢) تكا
وما من جواد عاد إلا وحملاً
مكرّ حماة العرض كالسيل مفع
وقام عليه ساجع مترنماً
وهناه في الفردوس عيسى بن مريم

تعجلتمو منا ثغوراً شواغرا
خمس إذا النيات صحت رأيتها
فها وقد جاء الخنيس عرمر
يخيم معه نصره حيث خ

(١) ملك البلغار (٢) رجعه رده مثل ارجعه

تأمل أهاضيب الجبال وقد رست
تضيء نواحيه بغرة عزة (١)
يليه من الابطال كل غضنفر
تراهم ليوثا في الوغى وضياغما
فن مبلغ البلغار أنا الى الوغى
وأنا جميع العرب والترك إخوة
وليس يزال العرب والترك أمة
وقولوا لهم بانت سعاد فلا يزل
ستلبث عثمانية رغم أنفكم
فلا يطمعنكم في أدرنة مطمع
أدرنة صارت عندنا تلو مكة
ومنها:

فيالك من يوم أتى في خطوبنا
وكانت بقايا السيف تبكى فأصبحت
وما زالت الدنيا سرورا وغممة
عسى كل يوم بعد يوم أدرنة
وليس على المولى عسير بأن نرى
كشادخة غزاء في وجه أذهما
تضاحكهم طرا ملائكة السما
وما زالت الأيام بُوسى وأنعما
يعود على الاسلام عيدا وموسما
هنا محاذك الغزاء المقدما

ولما أعلن السلطان عبد الحميد الدستور العثماني وعم الفرح في ذلك
الوقت جميع الأمة حصل اجتماع كبير في بيروت فتلوت فيه هذه

(١) أحمد عزت باشا الارناؤطي قائد الجيش

القصيدة ذاهبا فيها مذهب من لا يريد أن تكون الحرية مقرونة بالفوضى
ومن يغار على مقام الخلافة

ألا يا بني عثمان حسبكم بشرى

لقد جاد رب العرش بالنعمة الكبرى

وقد فزتم ذا اليوم بالغاية التي
أطلت عليكم بغتة شرّ الدنيا
أتت وحجاب اليأس قد حال دونها
وكم تدأس أسياتكم من ظنون وقاتم
فمن غير وعدٍ بدل الله حالكم
ويعلم أن الله لا رب غيره
أراد تلافي الشرق من عثراته
وألهم مولانا الخليفة ظله
تداركها رمقاً باكسير ناظر
فقلتم بنعماء حياة جديدة
سلاماً وبردا نلتموها بلطفه
بكم ظن اشفاقاً وفي أرض غيره
وحاشا أباً بر الأبوة مثله
إمام له في كل يوم عوارف
تلقاه عصر بالخطوب فلم يزل
أذل عناد النائبات فأسلست
لنا من نداه الجهم في كل حادث

عليها رجال قد قضوا دونكم قهراً
تحقق بعث الله مع عسره اليسر
كما ينشر الديان من سكن القبرا
مضينا وبعض الظن يحتجب الوزرا
لتضحى لكم رحمى وتغدو لكم ذكرى
وليس سواه يملك النفع والضرا
فألقي عليه من عنايته ستر
قياما على الدستور في الدولة الغرا
إذا مال نحو الترب صيره تبر
غدت بنفوس عند غيركم تشرى
وجيرانكم بالسيف هاماتهم تفرى
فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى
يريد بنا ضيماً ويرهقنا عسرا
على الشرق والاسلام لا تقبل الحصر
يكافح في آرائه وحده العصر
وأصبح بالتدبير يقتادها قسرا
سحائب في الأقطار قد حكمت القطر

غدا أُمماً شباك طه أبي الزهراء
وأن يبلغ الفخر المؤثل والأجرا
على الخلق وقع الماء من كبده حرى
به بالليالي البيض أيامها السمرا
بها قد غدت سكرى ولم تعرف الخمرا
فسالت له سحب الدموع من السرا
ويوم تبشرنا به يعدل العمرا
لدى تذككم البأساء قد أحسنوا الصبرا
وأدوا عليها من صداقتكم شكرا
على شاطيء لا تملكون له عبرا
فتمد عاض حلو اليوم من مرّ مامرا
فقد نسي الظلماء من شهد الفجر
فما فات فرض الصوم من شهد الشهرا
كفتها إلى عثمان نسبتها فخرا
وقبلا أياديه على هامكم تترى
فقد جاء عدوا في شبيبته الخضرا
(وشاورهم بالامر) إن تحمل الامرا

ولو لم يكن إلا الطريق الذي به
لكان لعمري كافياً في ثنائه
لقد منّ بالنعمة التي جاء وقعها
وأمة عثمان أزالته بلحظة
فيالك بشرى في مسامع أمة
وياالك من أمر به البرق جاءنا
وياالك من وقت سعيد أظننا
فشكراً على النعماء اخواننا الآلى
ألا قدروا هدى المسكارم قدرها
فكم قد وقفتم صابرين وكنتم
ولا تذكروا ذلك الزمان الذي مضى
لقد طال ليل بالمحبين غاسق
ولا عذر في التقصير بعد الذي جرى
وفدوا أمير المؤمنين بأنفس
سيغدو لكم دور جديد بجوده
تلقوا لنا العصر الجديد بحكمة
لقد منّ بالشورى عليكم بمقتضى

وهذه الايات من قصيدة نظمها وقت إعلان الدستور العثماني
وقد فقدت القصيدة:

ذاك الخطاب عساها تنفع الذكر
إذا ترون اعوجاجا بي فلا تذروا
إذا أقنائه بالاسياف يا عمر
باتت تقوم مني البيض والسمر

تذكروا مثل الخطاب حين جرى
إذ ارتقى منبراً يدعو رعيته
فقيل والله لو أننا نرى عوجا
فقال أحمد ربى اذ على يدكم

(١) سكة حديد الحجاز

وكتبت هذه القصيدة من ساحة الجهاد في الجبل الأخضر لأول هجوم
إيطاليا على طرابلس الغرب

سراعا بنى أمي بحثاً ظعونها^(١) فما حرك الآلام غير سكونها
وما زال فري الخطب تحت خفافها وشرح صدور الركب فوق متونها
لعمر المعالي ما عدون ديارنا ولا كان ما قد آثرت من فتورها
يعافون مورود الصعاب إلى العلا فمن يرد الأيام ييضا فلا يكن
ركبنا ظهور الصافنات وقد ثوت وقلنا لهادين الفلاة فأننا
طووا شقق البيداء شرقاً ومغرباً وما إن شأى^(٥) بالكهرباء مركب
فان يقطع القوم البحار فعندنا على غير شيء غير أننا عصابة
تعدوا حدود الصبر حيفاً بأمة وقد طالما بتنا نعالط أنفسنا
إلى أن تجلى العزم لا حجب دونه ولم يبق من مستعجم في مرادهم
رجعنا إلى آبائنا وشئوننا ألم نك من ماء الأوالي وطينها ؟
بشاحطة الصحراء مدّ هجينها مهامه لا تلقى لهم بسفينها
غضاب لدنيا المسلمين ودينها غدواً البدء^(٦) في عزم قطع وتينها
ونبغي من الأعلاج سل ضغونها وقصر بالأعذار نص مبينها
بأمة صدق أمعنت في ركونها

(١) الظعون بفتح اوله البعير يحمل عليه (٢) أي ماسلبت ملكها الا بفرط سكونها
(٣) الوقوع في الفتنة (٤) أي أولادنا فرسان أولادها (٥) شأى سبق (٦) أي
اجتمعوا ولصق بعضهم ببعض ومنه قوله تعالى في سورة الجن (كادوا يكونون عليه لبدا)

فقلنا عليكم بالسيوف فانها
 فان يخفر الأعداء بيض عهدنا
 ألا شد ماقد أصغرت من مقامنا
 تناست سريعا ما مضى من بلائنا
 وظنت عروش الشرق مالت وأصبحت
 وأن زمان الثأر وافي فأوجفت
 فلم يزل الاسلام غضا^(٢) بأهله
 وما رقرق القرآن ماء طباعها
 فلا يغترر قوم بظاهر ليننا
 لنا من بني عثمان كل غضنفر
 فلسنا نباهي أن نحرقنا سخالها
 فما اضطلمت بالسيوف أيدي جنودها
 جحافل في سيف البحار تخالها
 ولولا الجواري المنشآت تمدها
 لئن جردتها رومة لحصارنا
 لأفصح من أقلامنا برنينها
 فعند ذمام البيض^(٣) ردع خؤونها
 وما اقتحمتنا في الغزاة حينها
 وأنّا علونا عاليات قرونها
 كأن لم يكن بين الصفا وحجونها^(٤)
 ألا خاب ماقد قدمت من ظنونها
 ونيرانه لم تنطفئ بكمونها
 فميهات يخشى من نضوب معينها
 فما الصعدة السمراء هونا بلينها
 تخر له أبطالهم لذقونها
 وقبلنا صرعنا أسدها في عرينها
 وإن مهرت في الشحد أيدي قيونها
 من الذعر ورقا عكفافي وكونها^(٥)
 من اللج زجت في مفاغر^(٦) نونها
 لقد أودعتها عندنا بسجونها

(١) البيض الثانية هي السيوف (٢) أصبح مثلا مضروبا أصله قول الجرهمي
 كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
 والحجون مكان بمكة بفتح الحاء ناحية البيت . قال الاعشى
 فلا أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب من ماء زمزم
 (٣) الفض الطري الناضر (٤) الورق جمع ورقاء وهي الحمامة يضرب لونها الى الخضرة .
 والوكون جمع وكن بفتح فسكون وهو مأوى الطائر (٥) المفاغر جمع مفغر ويقال واسع
 مفغر القم أي فتحة القم . والنون الحوت

وفي كل يوم وقعة لجيوشها
لقد طعمت مما جنته وضیعة (١)
قد استوقدتها الحرب نار شكوكها
فدونكمو يا أيها العرب حملة
وصونوا ذمار الملك شدا فلم يُمل
وهذى طلى الطاليان تهفو اليكمو
ستعلم أطرا بلس أننا صحابها
وكل ذراع عندنا من ترابها
سلمت أمير المؤمنين لأمة
تقيم بها في الحق حكم أميرها
ومن أمراء الشرق حولك تنصبه
أعباس يا عضد الخلافة والذي
وياسيف نصر عاملا في عدتها
إذا اعتصمت في روعها من محمد
وإن جهمتها (٣) الحادثات فلم يزل
إذا عالم الاسلام أولاك شكره
تحن إلى ناديك مهجة غائب
فان تلك آلت نجدة لقييلها
ولولا الحقوق الواجبات لما نبت
تظل دعاوى في المعالي كثيرة

تضيق بها بطحائها بدفينها
تخالط فيها جنبها بجنونها
إذ العرب وافتها بثلاج يقينها
نزارية فاستبسوا لزبونها (٢)
سروج المطايا غير رخو وضينها (٣)
سقوط ثمار الدوح من عن غصونها
وبرقة لا نرضى لعمرى بدونها
كنخالصة الأعلاق عند ضنينها
محمد طول الدهر نور عيونها
وترعى لها بالرفق عهد أمينها
سطاك كراسيها وشم حصونها
يضاء به في داجيات دجونها
وقائمه لما يزل في يمينها
بصاحبها منك اهتدت لمعينها
بعباسها بسام نور جبينها
فما لذباب بلغة بطنينها
يقطعها في البعد فرط حنينها
فمثلك من يرضى ببر يمينها
أما كن من أوطانها بمكينها
وما كل باغ وصلها بقرينها

(١) الوضيعة الخطيطة (٢) يدفع بعضها بعضها من الكثرة (٣) حزام السرج

(٤) جهمه استقبله بوجه مكفهر

إلى ملتقى الجمعين والسيف فاصل هنالك يدرى غثها من سمينها
 هناك لنا في جانب الغرب إخوة تسومهم البؤسى العدى بفنونها
 بكينا لها نحن الالى ما تعودت مدامعهم في الخطب بذل مصونها
 فان نحن قاررنا على ضيم أهلنا فهيئات نرجو العز من بعد هونها
 ترى النفس دينا وقفة في صفوفها قضاء عن الأرحام بعض ديونها
 فما الشام والنيل السعيد ودجلة سواها لدى أفراحها وشجونها
 ووالله لا أعطي المقادير لظالم ولما أرد بالنفس حوض منونها
 اذا بات إخواني بركة سهداً فكيف تنام العين ملء جفونها (١)

(عن نخيم عين منصور في ظاهر درنة أول ربيع الأول سنة ١٣٣٠)

وفي أول حرب طرابلس الغرب واندفاع المصريين بمساعدة إخوانهم
 الطرابلسيين أقيمت في القاهرة سوق خيرية لشراء أشياء يعود ثمنها إلى
 المجاهدين والجرحي وفي ذلك الوقت مثلوا في الأوبرا بمصر رواية
 « صلاح الدين الأيوبي » وتليت قصائد ثلاث إحداها قصيدة لي تلوتها
 بنفسى، والثانية قصيدة للمرحوم « شوقي » والثالثة قصيدة لشاعر القطرين
 « خليل مطران » وقد فقدت قصيدتي من بين أوراقى فأملت منها مالا
 يزال عالقا بخاطري وهو :

(١) هذا الشطر الأخير تضمنين أصله للابوردى في رثائه للقدس يوم فتحها

صليبيون فهو يقول :

وكيف تنام العين ملء جفونها على هفوات أيقظت كل نائم
 وإخواننا بالشام صرعى مقيلمهم ظهور المذاكى أو بطون الفشاعم
 وأهل « الهفوات » هنا تصحيف « جفوات » فان الهفوات تستعمل غالباً بمعنى
 الزلات الخفيفة ولم يكن إهمال بغداد للشام من هذا القبيل

سلا : هل لديهم من حديث لقادم
 وهل وردتهم عن كريم مقامه
 وهل نظروا من نحو برقة موهنا^٢
 تألق في ليلي ظلام وقسطل
 مواطن إخوان تملوا من الردى
 دفاعا عن الأوطان إن دفاعها
 تهيّبهم فيها العدو مهاجما
 ولئن في إقباله من إهابه
 فتاروا وما كانت زعانف رومة
 ونعم سقاة الموت هم كلما بدت
 وحسبك منهم كل قوم نمتهمو
 وكم وقفوا يستنصفون عدوهم
 فلما رأوا عجز الدليل تطلبوا
 فلم يك مثل السيف كالיום قاضيا
 وما طال نوم السيف إلا تنبّهت
 أخلاى سوق النسايا مقامة
 فهل لكم في سوق بر ورحمة
 غياثا لمظلوم ونصرا لصارخ
 كفى بالهلال الأحمر اليوم هاديا
 وأكرم بأمر المحسنين^٣ الذي طمى

عن الغرب^(١) يروى فيه غلة هائم
 سمان المعالى في لطاف النسائم
 فلاحت لهم منها بروق الصوارم
 فتشىء سحب الدمع من طرف شائم
 كؤوسا تساقوها بملء الحلاقم
 لدى كل قوم كان أولى المكارم
 فجاء ديب اللص في ليل قاتم
 وهل يخدع الانسان لين الأراقم؟
 من العرب أ كفاء الليوث الضراغم
 بروق المواضى في رعود الغمام
 أرومة قحطان ونبعة هاشم
 وهزوا من الاملاك جذع المراحم
 لدى الصارم البتار صدق التراجم
 ولا العهد مثل الآن أحلام حالم
 عيون الدواهى منه عن جفن نائم
 تباع حفافها غوالى الجماجم
 تنالون فيها باقيات المغانم
 وضمداً لمجروح وقوتا لصائم
 لمن حار في ليل من الشك داهم
 جداها كلج العيلم المتلاطم

(١) فيه تورية بين الغرب الذي هو الوطن المغربي والغرب الدلو الذي يستلزم الري

(٢) الوهن نصف الليل أو ما بعده

(٣) والدة الحديوي السابق وكانت بذلت بذلا عظيما لمساعدة الجرحى

سائلة « إلهامي » فمن كل جانب
وأجدر بقوم أمطرتهم هباتها
وحاشا بلاداً أتم عن يمينها
تخيلتها شوقاً على بُعد دارها
لقد حوصروا برا وبحرا وأمطروا
وقد طالما أهدفت حد يراعى
أجل إنسان من أمة عربية
ولو أنصف الأقوام في حقهم رأوا
لها نسب نحو البحور الخضارم
بأن يأملاوا قرب انفراج المآزم
يُفت باعضاد لها ومعاصم
تصالحكم بالقلب لا بالبراجم
بحمر المنيا من سواد الغمام
فلما تعالى الخطب عدت لصارمي
نكافح عنها عاديات الأعاجم
مؤاساتهم فرضا على كل آدمي

وقبل الحرب العامة بسنة جرى في الاستانة تمثيل رواية « صلاح
الدين يوسف الأيوبي » باللغة العربية ، وقبل التمثيل تأليت قصائد منها
قصيدة للأستاذ الكبير جميل صدقي بك الزهاوي العراقي مبعوث بغداد
يومئذ . ومنها قصيدة للأستاذ الكبير فارس بك الخوري السوري مبعوث
الشام يومئذ ومنها هذه القصيدة لى . وإني لموصى قراء هذا الديوان
بالتأمل في الآيات الاخيرة منها التى فيها الكلام على مصير البلاد الشرقية
ليتأملوا كيف تم كل ما قيل :

إذا افتخر الشرق القديم بسيد
ونُصت موازين الفخار وقد آتى
فمن كصلاح الدين تعنو لذكره
يخالط أعماق القلوب ولاؤه
وأقسم لو في الحي نودي باسمه
له عاملا حرب ، وسلم ، كلاهما
مهنده في عتق قرن مساور
تميد بذكراه ابتهاجا محافله
يمائن كل خصمه ويساجله
رؤوس أعاديه ومن ذا يعادله
وتفعل أفعال الشمول شمائله
لدى سنوات المحل لاخضر ماحله
كفيل باذلال العدو وقاتله
ومته في عتق خصم يحامله

وما قتل الحر الابي الذي زكت
وما كل يوم غضبه عن كريمة
تظل طوال الوقت تندى سيوفه
فكم من عدو قد تردى بحربه
وفي الحرب قد تخطى مراميه مرة
تفيض على بؤس العداة دموعه
كأن الورى كانوا أهاليه جملة
ومن فهم الانسان في الناس فهمه
كذلك من كان البدن دأبه
وليس كمن بات التمدن يدعي
تعلم أهل الغرب من يوسف العلي
سلوا الشرق عن آثاره في غزاته
مشى الغرب طرا قضه وقضيضه
مئات ألوف والفرنسيس (٣) وحده
وريكارد (٤) قلب الليث في كل موقف
ومن أمة الالمان جيش عرمرم
سجاياه كالغفو الذي هو شامله
ولا مل من حلم ولو مل عامله
دماء وتندى جانبيها فواضله
قتيلا وعاشت من نداه أرامله (١)
وفي كل حال ليس يخطيء نائله
ولم يلف يوما سائل الدمع سائله
فمهما يكن من بائس فهو كافله
رأى أن كل العالمين عوائله
سجية صدق محضة لا تزياله
مقاولة تدكذبها مفاعله
وإن بهرتهم في التلافي فضائله (٢)
على حين كل الغرب صفا يقابله
وفارسه رام النزال وراجله
غدا أمة في الارض انصال صائله
يوازره في طوله ويمائله
يسير به من أبعاد الارض عاهله (٥)

- (١) نعم فتح بيت المقدس بحرب تشيب الاطفال ثم لما تقف الافرنج اسرى
من عليهم وأطعمهم وكسام وقال لهم : كنت أقدر أن أفعل بكم ما فعلتموه
بالمسلمين يوم دخلتم القدس ولكن تأتي شيمي ذلك
(٢) كثير من مؤرخي أوربة المنصفين قالوا إن صلاح الدين بعمله هذا اخجل
أوربة أبد الدهر (٣) فيليب اوغست ملك فرنسا (٤) ريكارد قلب الاسد
ملك الانجائز (٥) الامبراطور فريدريك بربروس عاهل المانيا

هي الامم الكبرى وما ثم قيصر
فصا دمهم من نجل أيوب وحده
حليف وفاء لا يضام نزيله
له ثقة بالله ليست بغيره
وقال وقد تعي الجبال جموعهم
تجتمع كرات بعكا عدوه
ويصطدم الجمعان حولين كلما
ذرا برجال الشام شمشجوشهم
وسخر هاتيك المعاقل كلها
وسل عنه في حطين (٣) يوما عقباً
وعن ملك الافرنج وهو اسيره
هنا انتصف الشرق الاصيل من الذي
فهل كان مثل الشام حصناً لامة
ومن قصد الشام الشريف فانه
فيا وطني لا تترك الحزم لحظة
وكن يقظاً لا تستنم لمكيدة

سواها ولم تزحف اليها جحافلها
فتي بهم جمعاً تميل موائله
ولا كنه أمسي يضام منازلها
ومن يرج خير الله فالثقة خاذله
ليفعل إلهي اليوم ما هو فاعله (١)
ومن تل كيسان تهد صواهلها (٢)
خبت نار حرب أوقدتها مشاعله
فوادوا كعصف بددته ما كله
ولنست سوى آي الكتاب معاقله
غداة لواء الحق عزز حامله
وارناط (٤) إذ تبكى عليه حلائله
أغار تليبه واستطالت طوائله
تمشى اليها الغرب تغلي مراجله
ليعرفه قبل التوغل ساحله
بعصر أحيطت بالزحام مناهله
ولالكلام يشبه الحق باطله

- (١) أئمة الكتب من الشمال وهو يقاتل الصليبيين على عكا بأن ٢٠٠ الف زاحفون اليه قد وصلت طلائعهم إلى كيليكية فلم يهن له عزم من شدة توكله على الله
- (٢) تل كيسان وتل العياضية إلى الشرق من عكا كان فيها خيم صلاح الدين
- (٢) عند طبرية وفيها اندلج صلاح الدين في الوقعة الفاصلة وأسر ٣٠ الف افرنجي وقيل هالفا والملك الافرنجي غوي وجميع الامراء
- (٤) أرناط رنس الكرك الذي كان قذف بالنبي (ص) فنذر صلاح الدين ليقتلنه بيده فلما وقع في اسره تولى قتله بيده

وكيد على الاتراك قيل مصوّب
تذكر قديم الامر تعلم حديثه
إذا غالت الجلى أخاك فانه
فليست بغير الاتحاد وسيلة
وليس لنا غير الهلال مظلة
ولولم يفدنا عبرة خطب غيرنا
سيعلم قومي أتى لا أخشهم
ولكن لصيد الأمتين حباله
فكل أخير قد نمتة أوائله
لقد غالك الامر الذى هو غائله
لمن عاف أن تغشى عليه منازل
ينال لديها العز من هو آمله
لهان ولكن عندنا من نائله
ومهما استطال الليل فالصبح واصله (١)

ولما كنت في طبرية سنة ١٣٢٠ ذهبت إلى قرية حطين التابعة لطبرية
لأجل مشاهدة الموقع الذي دارت فيه رحى معركة حطين الشهيرة بين
السلطان صلاح الدين يوسف رحمه الله وجزاه عن الاسلام خيرا
وبين الصليبيين. وبعد ان شاهدت حطين ولوليا وقرون حطين التي
جلس عندها السلطان بعد الظفر ولديه ملك الصليبيين ورفاقه وسائر
الجيش الا فرنجي أسرى نظمت القصيدة الآتية ونشرتها إذ ذاك في مجلة
المقتطف. ثم إنه من سنتين أعادت نشرها جريدة «الفتح» بمناسبة ذكرى
وقعة حطين. وعلق الاستاذ ليث كتيبة الكتاب السيد محب الدين الخطيب
عليها بعض تفاسير. فنحن ننقلها هنا عن الفتح ونضم شيئا من التفسير
زيادة على ما علقه الاستاذ الخطيب

(١) نعم وقد انتهى الليل وجاء الصبح وظهر اننا ما غشنا قومنا وانما حذرناهم
من أن يتخذوا

أحسنُ ما فيه يسرح النظر وادٍ بحيث الاردنُ ينفجر (١)
 غارت عليه النجود من شغف فالغور ما بينهم منحصر (٢)
 قامت على الجانبين تحفره كذلك الحسن شأنه الخفر (٣)
 مبتديء الجرى في الشمال لدى شيخ له الكبريات والكبر (٤)
 هاو إلى الموت في الجنوب لدى بحرو لا كالبحار يُحتضر (٥)
 ومن يعم البياض لمتته فهل سوى الموت بات ينتظر ؟

يا شرق هونين (٦) كم لديك جرى معين ماء حصابؤه دُرر

(١) الاردن (ويسمى نهر الشريعة) ينبع من سفوح جبل الشيخ في الشمال ويتكون من (الحاصباني) و(بانياس) و(اللدان) ويخترق بحيرة الحولة وبحيرة طبرية ووادي الغور وينضم اليه نهر (اليرموك) و(الزرقا) و(حسبان) ثم ينصب في البحر الميت . وبه تنفصل فلسطين عن شرقي الاردن . وطول الارض التي يمر بها من بحيرة طبرية الى البحر الميت ١٠٤ كيلو مترات ومن منبعه الى مصبه ١٧٠ كيلو مترا وطول مجراه بمنعرجاته ٤٠٠ كيلو متر

(٢) هو غور بيسان في جنوب طبرية بينها وبين نابلس

(٣) تحفره أي تحرسه أما الخفر الثانية فهي الحياء (ش)

(٤) إشارة إلى جبل الشيخ الذي ينبع الاردن من سفوحه وسمي جبل الشيخ لان قمته متوجة بالثلوج صيفا وشتاء ، وهذا الجبل على ٥٠ كيلو مترا من دمشق جنوبا وارتفاعه ٢٨٣٩ عن سطح البحر

(٥) يشير الى البحر الميت الذي ينصب فيه نهر الاردن ويسمى (بحيرة لوط) وقد يعجب المرء كيف ينصب الاردن في بحيرة صغيرة ولا تفيض وسر ذلك أنه يتبخر من ينابيعها كل يوم ستة ملايين طن على ما يقال ، ونهر الاردن يغذي البحيرة يوميا بمثل هذه السكمية من المياه

(٦) جبل هونين هو الجبل الذي الى الغرب من غور الحولة (ش)

الشطرُ تلُّ القاضى (١) يسلسله والشطر من بانياس ينحدر (٢)
والخاصباني بات إثرهما يشتد في الجري ليس يصطبر (٣)
يملاً منها الأردن بركته ويزدهى مرج حوله الخضِرُ
حيث وشيجُ اليراع مشتبكُ كأنما الخطُّ ثم والسمرُ (٤)
حيث نمو النبات معجزة كأنما سوق قمحه الشجر
والصيد ما إن يزال عن كشب لا كن من دونه ولا قتر (٥)
بحيرة لم يرم (٦) بساحتها ضاق بها أن تقله الصغرُ
يهم أخرى ورام ثالثة لقد ترامت به نوى شطر (٧)
أمن جسر النبات معبره وربما خاض دونه الجسر (٨)
حتى إذا فاض من هناك غدت أرض علت مأوه مناكبها
أرض علّت مأوه مناكبها وابت منها في البحر ينفغر
أقبل يرغى وما به قطم (٩) وظل يعدو وما به بطرُ

(١) منبع من منابع الشريعة (٢) بانياس مدينة قديمة في كعب جبل الشيخ
ينبع عندها القسم الآخر من الشريعة (ش)
(٣) في هذا البيت والبيتين قبله أسماء مياه وأما كن بين جبل عامل غربا
والجولان شرقا وجبل الشيخ شمالا وبحيرة الحولة جنوبا وهي بقعة من أخصب
بقاع الارض وأجملها
(٤) الخط مكان في البحرين تباع فيه الرماح الخطية والسمر بفتح فضم شجر
من العضاء في غاية القوة

(٥) السكن الستر والقتر جمع قتره وهي ناموس الصائد
(٦) أي لم يتوقف بها لصغرها وهي بركة الحولة
(٧) نوى شطر بضم تنين: بعيدة (٨) الجسر الاولى جسر بنات يعقوب والجسر
الثانية جمع جسور (٩) القطم اشتاء اللحم وهو إشارة إلى قول المتنبي عن
بيرة طبرية:
والموج مثل الفحول مزبدة تهدر فيها وما بها قطم (ش)

حتى إذا ما مياهه اختلطت به تولاه بقتة سكر
من بعد تلك الحياة بات به ميتاً وفي البحر يغرق النهر

*
*
*

بحر الجليل الذي شواطئه في كل شهر من رجبها أثر (١)
غذا دماء المسيح مورده وراقه منه ريقه النظر
وبين أمواجه وأربعة كانت تجلى آياته الكبر
كم فيه للكاتبين من سير وكم نبين فيه تُذكر
عيسى حواريه وصفوته والناس من حول وعظه زمر
والصائدون الالى له اتبعوا هدى وذاك الشراع منتشر
وكفر ناحوم مع عجائبها ومن بها آمنوا ومن سقروا
والمجدل القرية التي نشأت مريم منها والطيب منتشر
والزهدي الافراح قد دججت (٢) والفقر معه البيان والفقر
والخبز تقرى الالوف كسرتة والمشي فوق المياه مشتهر
والقول هدى الفتاة نائمة والبكر عزريل نحوها بكر
ولم نبت بالسفين عاصفة وظن أن الركاب قد غبروا
فسكن البحر وهو مضطرب من بعد ما استصرخوا وما جأروا
سجا (٣) بأيماءة له ونجا من حملته الالواح والدر

(١) بحر الجليل هو بحيرة طبرية والارض الممتدة منها الى حيفا تسمى أرض
الجليل تتوسطها الناصرة التي ولد سيدنا عيسى فيها ونسب اليها النصارى
(٢) دمج في الشيء دخل فيه (ش) سجا سكن ومنه قوله تعالى (والليل اذا
سجا) وقد سردنا هنا معجزات سيدنا عيسى عليه السلام حسبها هي في الانجيل (ش)

في ضفتي هذه البحيرة لو
كم خبأ الدهر في جوانبها
ما الابحر السبع من نتائجها
وقوم موسى لهم بساحتها
في طبريا مواقف حمدت
بها رجال التلود قد سكنوا
وكم نبى في ذى البلاد قفا
يكفيك ما في الاردن من عبر
وان يحيى (١) على شواطئه
ما القنج ما النيل في جوانبه
والغور بين البحرين منبسط
لو طبقته أيدي الوري عملا
قد كان والماء غابراً شرعا
بحيرة كل شأنها عجب
لله در الكندي واصفها
كانت تحف الجنان دورتها
والآن تحتف دورها السدر (٢)

(١) يحيى هو الذي يسميه النصارى يوحنا المعمدان كان يعمد بماء الاردن

(٢) قال المتنبي في وصف هذه البحيرة :

كأنها في نهارها قمر حفت به من جنانها ظلم

(٣) ليس حول هذه البحيرة اليوم جنان وانما حولها كثير من شجر السدر

والسدر يكسر ففتح جمع سدره (ش)

مرآة نورٍ من السفوح لها إطار نور لم تحكه الأطرُ (١)
 كأنها في صفائها فلك وفلكها فيه أنجم زهر
 أجمد بقوم رأوا محاسنها يوماً فما أنشدوا ولا شعروا
 عند الشمال الاردن واردها وفي جنوبيها له صدر
 شريعة من مياها ظهرت وقد تلتها شرائع آخر (٢)
 علم عيسى هنا شريعته وقوم موسى توراتهم فسروا
 وفي حروب الصليب قد رفعت أعلام دين الذي نمت مضر

يا يوم حطين كم حططت من الا

فرنج شأنا ما كان ينكسر
 هبوا من الغرب كالجراد فلم يكن لشرقٍ بردهم قدّر
 واستفتحوا القدس والبلاد ولم يعص عليهم بدو ولا حضر
 وهددوا المسجد الحرام وكم دعا ملب فيه ومعتمر
 وكاد يبكي الميزاب فيه دما ورق ممّا أصابنا الحجر
 ونابت المسلمين داهية دهماء قد عمهم بها الذعر
 فكل كفّ أصابها شلل وكل عزم أصابه خور

(١) المتنبي يقول :

فهي كإوبة مطوقة جرد عنها غشاؤها الادم
 وقولي مرآة نور بضم النون واطار نور بفتحها أي ان البحيرة مرآة نور بصفاء
 مائها وقد أحيطت باطار من الزهر (ش)
 (٢) ينحدر الى الشريعة أي الاردن نهر اليرموك ويقال له شريعة حوران
 وأنهر اخر (ش)

وكل جمع ناوهم انقلبت فرسانه وهي للظبي جزر (١)
 وحوصرت جلّق ولو أخذت لم تبق مدن لنا ولا مدر (٢)
 وقيل دار الاسلام قد حصرت وحف باقي بلاده الخطر
 ما زال ملء القلوب رعبهم ولم يكن نافعا لها الحذر
 حتى تولى زنيكي (٣) فنازلهم وكان من شيركو (٤) له وزر
 طليعة النصر في ولاية نو ر الدين (٥) ملك بالعدل يأتمر
 مجاهد ماهد بخطته في الفتح والعدل سارت السير
 تُقر عين النبي سيرته ويرتضى مثل هديه عمر
 ثم ابن أيوب (٦) جاء خلفا وليس إلا سوجه سرر
 مهّد دار المعز (٧) فانقلبت يوسف مصر وهي تفتخر
 لما استقامت له الامور ولم يبق رقيب وانجابت الغمر
 أقبل في جحفل له لجب يطلب ثار الدين الذي وتروا
 بفتية سمرهم إذا عشقوا سمر صعاد ويضعهم بتر
 غير طعان النحور ما عرفوا وغير جرد الخيول ما زجروا (٨)
 أناخ في شاطيء البحيرة إذ اليه عن كل ناجذ كسروا

- (١) جزر السباع اللحم الذي تأكله قال : جزر السباع وكل سر قشعم
 (٢) جلّق : دمشق وحاصرها الصليبيون وعجزوا عنها (٣) هو عماد الدين
 زنيكي والد الملك نور الدين (٤) أبو الحارث شيركوه بن شادي بن مروان أسد
 الدين عم السلطان صلاح الدين (٥) أي الذي من ملوك الاسلام بدأ بقهر الصليبيين
 هو نور الدين زنيكي (٦) هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي
 (٧) أي القاهرة المعزية
 (٨) إشارة إلى قول المعري :
 يا ابن الألى غير زجر الخيل ما عرفوا إذ تعرف الناس زجر الشاء والعكر (ش)

فقام من أرضه لصد مهم في السهل من لوبياء واشتجروا^(١)

* ■

يوم تلاقى الجمعان والتظت السهبا حتى كأنها سقر
يوم تلاقى الجمعان وانتصب الميزان رهن انحرافه الظفر
الشرق والغرب بعد طول وغي تواقفا والبراز مختصر
ثلاثة والنزال بينهما نزال من بعد يومه العصر
فأمطرتهم قسي جيش صلا ح الدين نبلا من دونه المطر^(٢)
ودوا وقد أبصروه عارضهم لو سترتهم من دونه حفر
كأنما قومنا وقد ثبتوا شم حصون لها القنا جدر
كأنما قومنا وقد وثبوا زعازع للغصون تهتصر
ذاق العدا من سلاف طعنهم كأسا بغير العنقود تختمر
لما بدا الأمر غير ما حسبوا والناس من فوق صبرهم صبروا
ولوا ظي يوسف ظهورهم تأخذ منها فوق الذي تذر
ضياغم أجفلوا وقد نظروا حمر المنايا كأنهم حمر^(٣)
وأدبر القمص^(٤) مع فوارسه ما غره مثل غيره الغرر
لا عجب أن نجا وحيط به عادة ذى الارض نشر من قبروا
مالوا لخطين طالبين نجا فلم يفدهم ضلع ولا دبر^(٥)

(١) لوبياء قرية غربي طبرية وقبلي حطين (ش)

(٢) الذشاب سد الافق ذلك النهار (ش) (٣) الحمر الاولى جمع أحمر والحمر

الثانية جمع حمار الوحش (٤) القمص: كونت طرابلس، فر يومئذ بسبعين فارسا

قبل نهاية القتال (ش)

(٥) أي لم يفدهم لا ميل ولا فرار

وأُسفر السبت عن هزيمتهم وأصبح الملك^(١) ضمن من أُسروا وفوق ذاك الصعيد نائمهم والهيكلين^(٢) من قساورهم لم يجبنوا ساعة وإن خذلوا في حضرة من شعيب قد شعبوا فأزلفوا نحو يوسف خضعاً ترهقهم ذلة وتحسبهم يوسف عصر صلاح مملكة أصبح مستحيين دماءهم أبي عليه الآباء مصرهم عفواً به عنهم وأخرج من وفي بأرناط نذره ييد وقال إذ تله بصارمه: أزوج بين التهليل مهجته فأصبح الملك وهو مرتجف

وأصبح الملك^(١) ضمن من أُسروا وكأنه النخل وهو منقعر لم يبق إلا هياكل دثر وإنما الليث دونه النمر كذا لهم عن مزاره زور^(٣) رقابهم، ناكسا لهم بصر قوماً يسكاري كأنهم حشروا بكل أمر للبر مؤتمر حياؤه والخلأق الزهر وعف إذ عف وهو مقتدر بنكته السهل ضاق والوعر إذ طالما لم تحك به النذر^(٤) هاأنا ذا للنبي أنتصر^(٥) مخضوبة صارما هو الذكر ما شك أن بالحسام يتندر

(١) الملك غوي ملك القدس (٢) هم الذين كان يقال لهم «التامبليه» وكان لهم نظام خاص وقاموا بدور عظيم في الحروب الصليبية (ش) (٣) قبر شعيب في قرية اسمها الخيارة بجوار حطين (٤) أرناط كان فرعون الصليبيين وكان ملك الكرك والشويك في شرق الأردن وإنما قتله صلاح الدين ييده لأنه اطلال لسانه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وكان كثير الغدر عظيم الجرائم (٥) كان صلاح الدين استتاب البرنس أرناط مراراً وكل مرة ينكت إلى أن أسر الحاج وحبسهم في قلعة الكرك وقال لهم ادعوا محمداً يخلصكم فاستحلف المسلمون صلاح الدين بأن لا يعفو عنه إذا وقع، فلما وقع في حطين قال له صلاح الدين: أنا أقتص منك محمد، وقتله ييده (ش)

أَبْصَرَ جِسْمَ الْبَرْنَسِ مَنَعُفَرًا (١) فَقَالَ إِثْرَ الْبَرْنَسِ أَقْتَفِرُ
فَأَفْرَخَ الرُّوعَ مِنْهُ سَاعَةً إِذْ بُشِّرَ أَنَّ لَنْ يَصِيبَهُ ضَرَرٌ (٢)
عَوَّقَ بِالْأَسْرِ مَوْقِنَ بَرْدِي وَجَلَّ مَلِكًا مَعَ الْعَمَى الْعُورِ

قَاصِمَةُ الظَّهْرِ لِلْفَرْنَجِ غَدَتِ وَقَعَةُ قَرْنِي حَطِينٍ مَذْظَهَرُوا
دَأْنَ عَلَيَا حَطِينٍ مَبْتَدَأَ وَكَلَّ فَتَحَ مِنْ بَعْدِهَا خُبْرُ
حَظْ ابْنِ أَيُّوبَ أَنْ يَفُوزَ بِهَا وَاللهُ مِنْ خَلْقِهِ لَهُ أَثَرُ
وَحَظْ جَيْشِ لَبِيِّ النَّدَاءِ غَدَتِ فِي الدُّوْحِ مَكْتُوبَةٌ لَهُ الْآجَرُ
قَوْمَ أَرَا حُوا الْأَقْوَامَ إِذْ تَعْبُوا وَقَدْ أَنَامُوا إِلَّا نَامَ إِذْ سَهَرُوا
بِهِمْ جَدُودَ الْإِسْلَامِ قَدْ صَعِدَتْ مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ أَهْلُهُ عَشَرُوا
وَلَا بِنَ شَاذَى ذَكَرَ شَذَاهُ سَرَى فِي كُلِّ قَطَرٍ كَأَنَّهُ الْقَطَارُ (٣)
قَامَ بِوَجْهِ الْفَرْنَجِ مَنفَرْدًا وَالْقَوْمُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جَمُرُوا (٤)
حَتَّى اسْتَرَدَّ الْبِلَادَ أَكْثَرَهَا وَأَصْبَحَ الْقُدْسُ دَانَ وَالصَّخْرُ
كَانَتْ مَنَائِلُ الْحَصُونِ تَعَصِّمُهُمْ مَنِعَةٌ إِذْ ثَغُورُنَا ثَغُرُ
مِنْ كُلِّ حِصْنٍ أَمَا طَعَّرْتَهُمْ بِالسَّيْفِ لَمْ يَمْسِ نَحْوَهُمْ خَمْرٌ (٥)
وَاسْتَعَصِمَتْ صُورٌ فِي مَعَاقِلِهَا وَكَلَّ طَرِيفٌ بِهِ لَهَا صَوْرُ

(١) انعفر في التراب تمرغ (٢) عند ما رأى الملك غوى مصرع ارناط اعتقد أن الدور سيصل إليه فارتجف فسكن صلاح الدين روعه وأخبره بأنه ما قتل ارناط إلا بعد نذر نذره لكثرة نكثه وغدره (ش) (٣) العود يتبخر به (٤) لم يكن في وجه الصليبيين إلا صلاح الدين رجال الشام والجزيرة الفراتية ومصر والحال أن الفرنسيين والانجليز والامان والطيالان وغيرهم كانوا لبدأ على المسلمين في تلك الحروب (ش) (٥) مشى إليه الخمر محرقة أي متواريا (ش)

من فرط ما عظمهم برأفته
فامتنعوا كلهم بعقوتها
ان عيب بالحلم والوفا بطل
ماشان طول الاناة في رجل
قد كان في رقة وفي جلد
جمرة بأس ماشابها وهل
ما كان يدرى من الوغى ضجراً
حتى يميظ العوار أجمعه
أقن دار الاسلام بعد عنا
لم يابه عن تغور مملكة
وكان من حرمة العدو له
تعدو عظام الملوكة (٣) واقفة
وينحني حاسراً بترتبه
شهادة منهم لخصمهم
والفضل يحيا من بعد صاحبه
ونحن من بعد كل ذاك وذا
وقلته فلهم وقد كثروا (١)
فهني لهم ملجأ ومعتصر
فانه خير ما هفا للبشر
إن لم يكن شان باعه القصر
كالسيف في ماء حده الشرر
غمرة حلم ماشابها كدر
والكل في الجانبين قد ضجروا
ماهان من كان هممة العسر
كذلك الشهد دونه الا بر
تغر ولا ناظر به حور
أن ذكره في بلادهم عطر (٢)
يبابه وهو أعظم نخر
رأس بأعلى التيجان معتجراً (٤)
والحق كالشمس ليس يستتر
والذكر يبق ولو عدت غير
لم يبق إلا الحديث والسمر!

(١) عفا صلاح الدين عن عشرات ألوف من أسرى الصليبيين من حبه بالعفو
فتجمعوا في صور وكثرت جموعهم فأصبح لا يقدر على أخذها مع أنه كان استردأ كثير
البلاد ثم عادوا فزحفوا منها إلى عكا وأخذوها بعد حرب استمرت سنتين وهي الصليبية
الثالثة، وقلته مثل أفلته (ش) (٢) لا يذكر صلاح الدين في جميع أوربة الا مقرونا
ذكره بالاجلال (٣) إشارة الى زيارة القيصرويلهم الثاني عاهل المانيا لمرقده في
دمشق ووضع تاجاً عليه ولما دخل الامبراطور الى مقام صلاح الدين دخل
حاسراً عن رأسه وانحنى أمام القبر حرمة وتعظيماً (ش) (٤) أصل الاعتجار للعلماء
ولكننا أجربنا التاج هنا مجراها (ش)

ذكرى الأندلس

نظمتها لما شاهدت مسجد قرطبة في سياحتي الى الأندلس سنة ١٩٣٠
 لك الله ان شئت الصبوح فبكر
 وغنّ على ذكرى الليالي التي خلت
 فقد تعجبا لذكرى ولو لفجعة
 ولولا المراثي والمآقي وراءها
 تفضت لبانات الرجال من الجوى
 لعمر ك لا يرجى لنشأة مقبل
 وما هذه الدنيا سوى متقدم
 أدرها ترد الرشد في عقل ذاهب
 وتحى لنا عهدا يصوب عهاده

وكأنت لم يعرف الدهر أختها
 يكاد الذي يقرأ غريب حديثها
 يقولون كانت أمة عربية
 وقد عمرت أقطار أندلس بهم
 وكم أربع خضر وحرث مطبق
 وكم قائد قرم وجند مدرب
 وكم بطل ان ثار نفع رأيت
 وما شئت من علم ورأي وحكمة
 الى شمم جم ومجد مؤثل

ولا حدثت عن مثلها كتب مخبر
 يظن خيالا أو أحاديث مفتر
 بأندلس سادت بها جم أعصر
 فكم بلد نخم ومصر مصر
 وفاكهة رغد وزهر منور
 وكم سائس فحل وأمر مدبر
 يبيع بأسواق المنايا ويشترى
 ودرس وتحقيق وقول محرر
 وفي عزة قعسا ووفر موفر

نعم كان فيها من نزار ويعزب
فراحت كان لم تغن بالامس وانقضى
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
كأن لم تكن في أرض اندلس لنا
فماذا الذي أخنى عليها وما الذي
إذا أعمل المرء البصيرة لم يجد
خلافان هذا بين قيس ويعزب (٢)
ولا شريحكى شر حزب اذا التقت

جموع تخيل الارض في يوم محشر
لهم كل ركز غير ذكر معطر
أنيس ولم يسمر هناك ويسهر
جحافل إن تحمل على الدهر يذعر
رماها بهذا الخسف بعد التصدر
لها علة غير الخلاف المتبر (١)
مقيم وهذا بين عرب وبربر (٣)
صناديد قيس مع غطاريف حمير

عمر ك لولا الخلف لم يك مشرق
لقد عصفت في شقة الغرب ريحهم
فقد أثلوا في أرضها مدنية
وسووا جميع العالمين بعد لهم
ولا عارضوا في دينه غير مسلم (٤)
ولا نصبوا ديوان تفتيشهم على
ولا أحرقوا بالنار من قيل إنه

ولا مغرب يعصى عليهم ويحتري
فسادت ولكن لم تكن ريح صرصر
تري الخصم في عليائها ليس يمتري
ومن يتمسك بالسوية يعمر
ولا عاملوا أهل الكتاب بمنكر
عقائد أقوام يحوس ويفتري (٥)
على صلة مع دينه بالتستر

(١) تبرأه لك ودمر ومنه قوله تعالى (وليتبروا ما علوا تتبيرا) (٢) الحروب
بين المضربة والينبية لم تكن تنقطع، وكان العدو يستفيد منها كلها (٣) أول فتنة
بين العرب والبربر كانت السبب في ذهاب شمالي الاندلس ثم جاءت فتنة قرطبة بين
الفرقيين فكانت هي مبدأ الانهيار (٤) يعترف الافرنج ان مسلمي الاندلس ايام
سلطانهم تركوا للنصارى واليهود حريتهم الدينية على الوجه الاكمل

(٥) ديوان التفتيش الذي نصبته الكنيسة الكاثوليكية على المسلمين الذين
اكرهوا على التنصر وكانوا يحرقون من اشتبه فيه انه كان باقيا في الباطن على اسلامه

بذلك هاتيك الممالك أصبحت
وقد صار نهر الرون (١) نغز بلادهم
وشكوا الواهم في ذرى قرقشنة (٢)
ودانت لهم صيدا الجلالقة «٤» الالى
ولم يقف البشكنس (٥) في وجه زحفهم
وان يك لاقى الغافقي (٦) حمامه
فقد لبثت من بعد ذاك جيوشهم
يقول الالى قد شاهدوا غزواتهم
وصقر قریش (٧) حين جاء مشردا
وشاد بهاتيك القواصى اماره
وخلف أملاكا سموا وخلائقا
كفى بالامام الناصر (٨) الفدعا هلا
تقبل أملاك الفرنجة كفه
غداة تجلى للخلافة رونق
وأضحت بها الزهرا تמיד جموعها
تلعم فيه كل رب فصاحة
ولا تهمل المستنصر (١١) الحكم الذى

مثالا قويا للعلی والتحضّر
وكم صبغوه فى الجهاد بأحمر
وسلوا على نربونة (٣) كل أثير
بلى منهم الرومان كل غضنفر
ولا أوطأوا الجرمان ثغرة معور
ومحص فى يوم البلاط المقدر
تعرض دهرأ للفرنج وتنبى
هم العرب قوق الخيل أم جن عبقر
فانشب فيهم أى ظفر مظفر
لها أجفل المنصور والد جعفر
أسود عرين منهم كل مخدر
كسى أمة الاسلام حلة مفخر
ويقصد عالي بابه وفد قيصر (٩)
به ظهر الاسلام أروع مظهر
فيالك من يوم أغر مشهر
فعيو اسوى قاضى الجماعة (١٠) منذر
تلاه ومن يستنصر الله ينصر

(١) النهر الذى يخرج من سويسرة ويشق فرنسا وينصب عند مرسيلية (٢) مدينة
محصنة فى جنوبى فرنسا استولى عليها العرب ٤٨ سنة (٣) العرب يسمون نربونة
اربونة وكانت مركز قوتهم فى جنوبى فرنسا (٤) اهل جليقية فى شمالى اسبانية
(٥) الجيل الذين منهم فى اسبانية وفرنسة، ويقال لهم الباسك (٦) عبد الرحمن
الغافقي قائد العرب فى وقعة بواتيه الشهيرة والعرب يسمونها بلاط الشهداء
(٧) عبد الرحمن الداخل الاموي (٨) عبد الرحمن الناصر (٩) يوم جاءه وفد
صاحب القسطنطينية (١٠) منذر بن سعيد البلوطي (١١) الخليفة المستنصر بن الناصر

غدت قبة الاسلام قرطبة العلى
وبارى بنى العباس فيها أمة
وكان بها العمران يزخر مثلها
ولما رأيت المسجد الجامع الذى
عضضت على كفى بكل نواجذى
هو الجامع الطامى العباب بوقته
ظلمت به بين الاساطين سائحا
تخيلته والذكر يتلى خلاله
تأمل خليلي كم هنا من مهلل
وكم أزهرت فيه ألوف مصابح
وكم قارىء بالسبع في وسط حلقة
وكم عالم يلقي على الجمع درسه
وكم ملك ضخم وكم من خليفة
تسد فجاج المغربين جيوشه
خليلي تأمل كالعراس تنجلي
أساطين من صم الجماد موائل
تراها صفوفا قائمات كأنها
من العمدة الأسنى^(١) فكل يتيمة
أجادت تحريها قروم أمة
نبت دونها زرق الفؤوس وأصبحت

وسارقت الزوراء لحظة أزور
وجروا على بغداد ذيل التبخر
تلاطم أمواج الخضم المهدر
بقرطبة من فوق فوق التصور
وقلت لعيني اليوم دورك فاهرى
يحاكى به عمّاره ليج أبحر
بفكرى حتى غاب عنى محضرى
نظير دوى النحل من كل مصدر
إلى ربه صلى وكم من مكبر
وكم أوتدت أرتال عود وغبر
وكم خاطب بالسجع من فوق منبر
وكم واعظ يمرى (١) مدامع محجر
هنا كان يحشو عن جبين معفر
ويبدو هنا في ثوب أشعث أغبر (٢)
أساطين قد تحصى بألف وأثر
يذوب لها قلب الحنيف المفكر
حدائق نُصّت من جماد مشجر
لها نسب من مقطع متخير
معادن شتى من فلز (٤) ومرمر
لدى القرى تهز بالحديد المعصر

(١) مرى الضرع استدره (٢) كان الخليفة الناصر قد يأتي إلى المسجد بثوب خلق تواضعاً منه لله تعالى (٣) العماد ما يعمد به وجمعه عمد بضممتين وعمد حركة اسم الجمع (٤) الفلز بتشديد آخره هو الحجارة وقيل هو اسم جامع لجواهر الأرض

ولكن لفضل الفن ألفت قيادها
فبيناهي الصم الصلاد إذ اثنت
عرائس للتخريم فوق رؤوسها
ووجه إلى المحراب طرفك ينسرح
وحدق بهاتيك النقوش وزهوها
وبالقبة العليا يبدو شعاعها
لو ان الثريا في سماها تعرضت
أقول لخصم يخس العرب حقهم
وياسائحا يعني مآثر قومه
تطوّف فلا تلقاك غير بدائع
تطلع فلا تلقاك غير روائع
خليلي فما فحص السراق^(٢) نائيا
وهذي رسوم للنيف^(٤) ومؤنس
وكان هنا قصر الدمشق^(٦) وأنه
وزاهرة المنصور^(٧) لاشك جنة
وسائل عن المنصور نجل ابن عامر
غزا في العدى ستا وخمسين غزوة

فصالت بها الصناع صولة عنتر
مقاطع جبن أو قوالبس^{سكر}
أكاليل در في قلائد جوهر
من الصخر في مثل الطراز المحبّر
كأنت فاتها صناعاتها منذ أشهر
بالمع من زهر النجوم وأزهر
لظلت تحدى للثريا وتزدرى
أجاد نور الشمس دونك فانظر
وينشدها في كل سهل وموعر
ينيل نديها كل عطف مخضر
لها الليث يرنو عن لواحق جوذر^(٣)
وهذا براس الطور حصن المدور^(٣)
وقصر السرور^(٥) الدارس المتبعثر
يطاول عليا بعلبك وتدمر
تمد من الوادي الكبير بكوثر
يجأوبك عنه كل قوس موتر
وآض بها طرا بنصر مؤزر

(١) اي مها قسا الانسان فلا بد له من أن يرق لتلك الماظر

(٢) فحص السراق هو من أشهر ضواحي قرطبة (٣) المدور حصن من غمل قرطبة يمر حذاء قطار الحديد

(٤) من قصور قرطبة (٥) والمؤنس ودار السرور هما أيضا من قصور قرطبة

(٦) والدمشق هو أيضا من قصور قرطبة (٧) وكان للمنصور بن أبي

عامر قصر اسمه الزاهرة قلده عبد الرحمن الناصر في الزهراء

خليلي وعرج باليهور « ١ » فانه
وهذي التي كانت تسمى شقندة « ٣ »
وفيهما جرى ذاك العراك لذي جرى
وقائع قيس واليماني وكلها
وزر ضفة الوادي الكبير وسحبها
وهذي الطواحين الشهيرة لم تنزل
قصور نبا عنها قصور مشيد
وأفنية تحكي الجنان نضارة
وشم حصون لا تعد ودونها
على همم دلت شه وترائح
فأخذ على تلك المحاسن كلها
محا الخلف من أوضاعهم كل نافع
ولم يستفيدوا من تقاطع بينهم
إذا آنسوا أدنى بصيص لثورة
فكل الذي قد شيدوه بحزمهم
ولم يبق في هذي الديار لنا سوى
ممالك لا تقوى عليها كتائب
إذا حضرت آثار قومي وإن خلوا
وأشعر أني في بلادي كأنما
وأني أرى بالعين ما لم أكن أرى
لعل الذي قد كان منه بوارنا

تقطع عن أمثاله كل (٢) أبهر
وتدخل في التخطيط ضمن المسور
وروى تراها بالدم المتفجر
مصائب إن تذكر لنا تنفطر
وعرج على الجسر الطويل المقنطار
كأن تركوها أمس لم تتغير
وعلياء لم تعلم مشيد مقصر
وأفنية تجرى على كل أخضر
مقاصف إن تذكر تهز وتسكر
ويعرف بالآثار قدر المؤثر
غرامهم بالانقسام المشطر
وصوح من أعمالهم كل مثمر
سوى عيش ذل تحت نقمة موثر
تداعوا لها كلماء عند التحدر
أضاعوه حقا بالشقاق المدمر
ممالك فكر من حروف وأسطر
ولا سالب تاريخها زحف عسكر
فاني منها في قبيل ومعشر
تخاطبني الأرواح من كل مقبر
حقيقته في وصف طرس ومزبر
يعود علينا خير وعظ ومزجر

(١) اسم قصر من قصور قرطبة (٢) عرق إذا انقطع مات صاحبه
(٣) حي من أحياء قرطبة جرت فيه معركة مشهورة بين المضرية والقحطانية

وفي أثناء الحرب العامة جاء وفد تركي مؤلف من بضعة عشر شخصا من مبعوثي مجلس الامة ومن أدباء الاتراك وكتابهم وذلك الى سورية لاجل احكام علاقات الاتحاد بين العرب والترك وتلافي ما قام به جمال باشا من الاعمال التي أثارت العرب فأقيمت لهم حفلات كثيرة في حلب والشام والقدس وغيرها واقترح علينا والى الشام اذ ذاك تحسين بك أن ننظم أبياتا تتلى في المأدبة العظيمة التي أدبوها لهم في دمشق . فنظمت قصيدة تلونها في الجمع وهي أيضا من جملة القصائد المفقودة من بين أوراقنا ولا يزال منها في خاطرنا الايات التالية :

قف بين مُشتبك الاغصان والعذب

بأرض جـيرون^(١) ذات السلسل العذب

يربوة في حفافيهـا المعين جرى

بجوؤ الباز حيث الصّيد عن كـشـب

واهتف بساكنها أن ينثوا طربا إن الكريم عليه هزة الطرب
ومنها :

أهلا وفي عتبات المصطفى العربي
صفقن بالكف من مصر إلى حلب

في ساحة المسجد الأقصى يقال لهم
لو أنصفتهم ديار الشام قاطبة
ومنها في خطاب الاتراك العثمانيين :

في طاعة العقل لا في طاعة الغضب
في خدمة الدين والاسلام من حق
أو يتمو من بينها كل مغترب
بكل سيف رهيب الحدذي شطب
لا يعرف الحشف البالي من الرطب
معكم على الدهر عهد غير منقضب
إن لم تكن جمعتنا وحدة النسب
لم أنس قحطان أصلي في الوري وأبي

أحبكم حب من يسعى لطيبته
أحبكم حب من يدري موافقكم
ومذ تقلدتمو أمر الخلافة وذر
لقد ضربتم لعمرى في حياطتها
فكل غر يماري في فضائلكم
مهما يكن من هنأت بيتا فلنا
كفى الشهادة (٢) فيما بيننا نسا
مجدي بعثمان حامى ملتي وأنا

(١) باب من أبواب دمشق وقد يطلق على البلدة (٢) أي كلمة لا إله إلا الله

ولي تهنئة لاحد عيون أعيان المغرب بزفافه المبارك

هنا أبا العباس بالفرح الذي	حلت ملائكة الرضى بحفاقه
فرح به التوفيق يسحب ذيله	ويهب فيه السعد من أعطافه
يا طالما ارتقب الأنام هلاله	لينير ليل الهم من أسدافه
حرصاً على ثمرات غصن ناضر	هونجة ويراد من أخلافه
فالآن قد وافاهم النبأ الذي	طربت قلوبهم بحسو سلافه
هذا هداً قى يقل نظيره	في الدهر ان نخرج إلى انصافه
بذ الشيوخ ولم تزل أيامه	شرخا وزان شبابه بعفافه
ما زال حب المجد يشغل قلبه	حتى رقاها الى ذرى اعرافه
تهوى الملائك والملوك لو انها	محبوة بالفضل من أوصافه
قد أقطع الاوطان كل عنائه	وأحل خدمتها صميم شغافه
ناديت قطر المغرب الاقصى الذي	يتألق الاسلام في اكنافه
يا أيها القطر الذي قتيانه	يحيون للمتروك عن اسلافه
حقاً نهضت بما تكن من القوى	حتى استبان الدر من أصدافه
وعمدت للمجد القديم تعيده	بالنظم بين تلاده وطرافه
بعصاة غراء كل مهذب	هو سر صنع الله في الطافه
فلتحي أرخ ولتهن بسيد	الكون مبتهج يوم زفافه
٤٩١	٧٦
١٠٧	٤٥٠
٥٨	١٧٣

الباكورة

قال الامير:

ذكرنا في مقدمة هذا الديوان ما سبق لنا من نشر الباكورة نظمنا وذلك سنة ١٨٨٧ جامعة لبكائر شعرنا من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٨٧ أى أيام كنا فى الرابعة عشرة الى أن صرنا فى السابعة عشرة من العمر ولم نجد لزوماً لنشر الباكورة كلها لانها مطبوعة ولكننا نظراً لندور النسخ الباقية منها أحببنا أن ننتخب منها عدة قصائد وعدة مقاطيع وهي هذه :

اهداء الباكورة

لحضرة العالم العامل الفيلسوف الكامل واسطة عقد الحكماء
ودرة تاج البلغاء الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده المصري

أيده الله تعالى

لو هاج مثل الفضل خاطر شاعر	القيت بين يدي سواك بواكري
أو لو وجدت بمثل فضلك عاذلاً	كان الكمال اذا سلوتك عاذري
لكن سطوت على القريض بأسره	وغدوت أعذب منهل للخاطر
فزهوت بين مدارك ومشاهد	وسموت بين بصائر وبواصر
أو كيف لا تسمو ومثلك من حوى	بأعز نفس كل خلق باهر
علم على عمل على قلم ، غدا	فى الخطب يهزأ بالحسام الباتر
وفضائل تستنطق الافواه من	كل البرية بالثناء العاطر
علامة العلماء والبحر الذي	لا ينتهى مثل البحار لآخر

يا أيها العلم الذي أوصافه
شهد الزمان لنا بانك فرده
يا أوحده العصر الذي عقدت على
لا غرو ان أهدي اليك رقائقي
ليس القريض سوى تأثر خاطر
تسمى المحاسن وهي فيه بواعث
غرر على الايام لولاها لما
لم تبرح الشعراء صرعى نشوة
فاذا انجلت في مثل ذاتك مرة
يامن غدا بعوارف ومعارف
أهديك بعضاً من عقيق قريحتي
أبيات إحسان وليس جميعها
قد جادها صوب الصبا وبنشرها
درجت معي أطوار عمر واصل
قد باكرتني قبل صادق فجره
أوحت إلى قلبي الهوى فشعرت إذ
فمضيت بين كئيل ومفاخر
ماقلت ذا نفراً ولا عجباً وما
كن لترفق غير مأمور بها
إن تأتي عفواً فكم هذبتها
مكنتها بعد النزاع وكم حكت
حتى أتت من بعد تريتي لها

اضحت رياض قرائح وضمائر
من كل باد في الانام وحاضر
تقديمه في الفضل خير خناصر
وانا رقيق فضائل وماثر
مما به للمرء قرة ناظر
للشعر بين مستب ومباشر
لاحت وجوه الدهر غير بواسر
برحيقها من سالف ومعاصر
كنت الا حق بكل مقول شاكر
يزري على لجج العباب الزاخر
يا بحر لكن لا أقول جواهري
من كل بيت بالمحاسن عامر
نم الصبا عن كل عرف زافر
ما جاش من يوم بليل ساهر
مذكنت من اعوامه في العاشر
غصن الصباقة لا يميل لهاصر
ومشيت بين خمائل وازاهر
من معجب في نظمها أو فاخر
فلكم خطت طوراً لنيل الحاضر
من سخر لفظ أو روي نافر
قلق القداح بدت بكفي ياسر
حسبي وأن لم تغد ملء محاجري

عوضت ما خسرته من حسن بما
فكن الوصي على يتامى ناظم
أهديتها لا كي تليق وطالما
هي دون ما يهدي اليك وانما
رُفعت اليك فلم أكن بالخاسر
وبنات فكر في ثناك قواصر
قبل الكبير هديّة من صاغر
مثلي على مافاق ليس بقادر
الداعي
شكيب أرسلان

وقلت وانشدتها في محفل مدرسه الحكمة وكنت في السادسة عشرة
من العمر

عما بصباح العلم رغداً وانما
قد انصاح صبح السعد في ليل نحسه
وثاب اليه العلم عدواً بعوده
فاصبح داجي افقه اليوم زاهراً
وأينع ذاوي روضه اليوم بعدان
ترنج عطف السعد منه بُعيد أن
وباتت غصون العز تخطر عندما
لعمرك ان الشرق رُدّ بهاؤه
وعاد اليه الفضل والعود احمد
وما الشرق الا ذلك الشرق لم يزل
فان نابه يوماً من الدهر صرفه
وإما تطش دهم الليالي سهامه
وان فاتته للفضل غيث فانما
وان تعرّه الاحداث من بعد بسطة

بربع ظلام الجهل عنه تصرّما
فغادره شيئاً فشيئاً مهزّماً
اليه فلا لوم إذا ما تلّوما
وقد كان زاهي افقه قبل مظلماً
تصوّح من عصف البوارج في الحى
رأى لشغور العلم فيه تبسّماً
رأت فوقها طير المعارف حوماً
فيرفل في ثوب النساء منمنما
عليه إذا كان الغياب مذمّماً
مدى الدهر اعلام العلى متسنّماً
فلم تمض الاّ برهة فثلثما
فهيّات لم تسلبه للحظ اسهما
توخى اليه الرّجّع جمّاً فعتّما
فاي الورى لم يلق بوسى وانما

فقد طالما في الفضل أطلع انجما
نجوم ضياء لحن في كبد السما
توغل في بحر الكيان الذي طمى
على مثل هذا الجود يوماً تندما
فاذ هل عمّا نال عاداً وجرهما
رأينا لعمرى الرشد فيهم مجسما
فجاؤا فلما اثقلوه تظلمما
وكم أرفعوا بالنيل للفضل مخطما
وكم غفروا بالحزم للدهر مرغما
فقلوا من الأرزاء بحراً عرمرما
حيّا المعالي بعد ان كان اسحما
وخلوا سبيلاً للماثر أقوما
فطال بها بنت المعاني وقد نما
لها سبلاً اضحت إلى النجح سلما
الى جدهم أصل المعالي قد اتنى
سباقاً كما أجريت اجرد شيطما
خيطاراً فقد خالوا التوقي تقحما
ولم يفعلوا الا لتدرك مغتما
وهم عافوا نفع العلوم مقدما
وأوفاهم داعي الردى متخرماً
من الهمة الشماء ابعد مرتبى
وأظلم وجه الشرق وقتاً واقتما

وان يك يوماً سوّد الجهل افقه
نجوم علوم اخجلت بضياءها
بهن أهتدى في سيره كل بارج
رجال بهم جاد الزمان وعله
أقامهم في الشرق يحيون شأنه
هم الملاء الاخيار والعصبة الأولى
تظلم منه الفجر قبل مجيئهم
لكم أرفعوا بالجد للجد مخدما
وكم صرفوا وجه العروف عن الوري
وستلوا من الآراء ايض صارما
أماطوا قناع المكرمات وقد جلوا
واعلوا منار الرشد في افق شرقيهم
وأجروا ينابيع المعارف في الملا
وشادوا أصولاً للفنون وأوضحوا
فنعم رجال الشرق قوماً ومعشراً
جروا في رهان الفضل في أول المدى
ولم يرهبوا من دونها في جهادهم
فهم أسسوار كن الحضارة في الوري
وهم اكنهوا ستر المعارف أولاً
فلما أحل الله فيهم قضاءه
خلوتهم أيادي البين من بعد ان رموا
فغار ضياء الشرق عند غيارهم

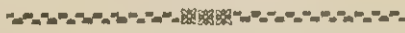
كما حكم المبدى المعيد وابرم
فكان هذا الجرى الجواد المصمما
ونؤله الخير الاتم المعتما
كأن لم تنل مجداً ولم تحو مغرماً
تحجب عن تلك الجوانب واكتفى
عن العلم قبلاً قد تقاعسن نوماً
فذلك للالباب قد كان الزما
جماح زمان قد طغى وتجراً
لديه فما كان الفلاح محرم
الى السعي فى تلك المعالى التقدم
فمن يتشبه بالكرام تكرر
ومن لم يجد ما يارض تيمماً
فان اعورار العين خير من العمى
نرى نيله جداً على الكل مغرماً
ما أثرنا من بعدنا حاز مستمى
على حين حد السيف يعرف بالدم
ليالى لم نقصر عن المجد معزماً
زمان توخى حيفنا وتحكماً
من الفضل ما بدوا من الدهر معجماً
على منبر صلى علينا وسلماً
جررنا من الفضل الرداء المرقماً
فجروا علينا مطرف المجد معلماً

و دالت الى العرب العلوم مع العلى
وأوجف ركب السعي فى طلب العلا
فهادنه صرف الزمان مسالماً
وباتت بلاد الشرق من بعد عزها
الى ان تجلى طالع العصر بعد ان
فشأت لدى اشراقه الهمم التى
عن العلم حق العلم بالفضل ظاهر
وعفت على ما كان قبلاً وذلت
فان يك خسف الشرق اضحى محلاً
الا يا بنى الاوطان ان عليكم
عليكم بها فاسعوا لها وتشبهوا
ومن قصرت ايديه فليسع طوقه
وقد نكتفى بالطل ان بان وابل
ولاسيما العلم الشريف فاننا
أما نحن من سنوا المآثر واقتفى
ألم نعل اعلام العلوم بقطرنا
ألم نك اهل الاولية فى العلى
بلى نحن كنا اهلها فازالنا
وما زال اهل الغرب يدرون قدرنا
متى يذكر الافضال فيهم خطيبهم
فلا تحسبونا قد عرينا وطالما
وهم أثروا عنا العلوم فهدبوا

تباروا بعلم بينهم وتنافسوا
وقد بلغوا من باذخ العز منزلا
اذا نظر الشرقي حال صلاحهم
فيا وطني حَتَّام تلبث غافلا
ألم تدرب بالغربي في الارض سائحا
قلله در العلم ان جداءه
لكم نال من فخر وأيد صاغرا
وكم حل من عي واطلق حبة
فمن يعتصم بالعلم يظهر بهديه
اذا العلم هذا الحق ما فيه شبهة
ومن عز دون العلم شأنًا فانه
فذو السيف يلقي العز حينا ومفردا
ومن نال اخطار اليراع فانما
فسعدا لمن في حلبة العلم قد جرى
وماذل من يهوى العلوم وانما
سما بالذي كان الحضيض مقرة
فما يبلغ المنطق وصف جدائه
فحشوا مطايا العزم كي تغفروا به
فلا منية الا وثلتم اعزها
لئن تبذلوا فيه النفيس فغيركم
وما غيركم والله الا اصولكم
وقوم هددوا في الحق هدى جددوكم
فلا جرم ان العلم سر فاشكما
يظل لسان الحال عنه مترجما
بكي صاحبي منها دما سال عندما
وحَتَّام يا شرقي اراك مهوما
على سابح من علمه ليس ملجما
لما يفوق العارض المستجما
وكم عال من فقر وقلد معدما
وكم قل من غي وانطق ابكما
فلم يك غير العلم شيء ليعصما
وحسبك بالحق المبين معلما
لسوف يلاقى أمره متحكما
وذو العلم يلقي العز دهرًا وتوأمًا
ستقرن كفافه يراعا وصيلا
وسحقا لمن في حلبة العلم احجما
تسود من العلم كان متيما
فطنب من فوق الدراري مخيما
ولو كان كل الكون في وصفه فما
تنالوا يمين العصر منه الميمما
ولو انها باتت على روق اعصما
لا حرازه هلك النفوس تجشما
نخبر عنهم لاحديثا مرجما
الى ان غدوا اعلين في الامر مثلبا

اولئك قد سادوا واقصى نكايه
 بعلم اذا مابات فيهم متوجاً
 فاما لعمرى قدوة بمعاصير
 ولا نحسب الاحوال وهى عوارض
 واما نصبنا في سبيل جهادنا
 وقد اشرع الدرب الموصول نحوه
 فلا صدف فتياننا عن ولوجه
 ويرتق فتق الشرق بعد اتساعه
 فان الفتى من زان مسقط رأسه
 فذاك الذى في بردة الفضل يثنى
 فان ينتظم شمل الرجال بقطرنا
 لان نجاح الصقع في حسن أهله
 وكانوا كما الاعضاء في الجسم فاغدى
 فيشتد أزر القوم بعد انحلاله
 اذا نبتغى علماً بدون تضافر
 وكل امرئ عن قومه متخلف
 فكونوا كجسم واحد ان تأملت
 تفوزوا بتدليل الصعاب اذا عصت
 وتحظوا باعلاق المنى وتحققوا
 هو العصور افي ضاحكا عن فنونه
 تبدى وهذا الجهل في الناس سائد
 وراح على الدنيا يذئ بدائعا
 لنا فيهم القاب عالج واعجما
 فيا طالما قد كان فينا معمما
 واما تراث للذى صار اعظما
 تغير في اصل المبادئ ففساما
 فاني قرار لا يقابل محزما
 بما شفيع الرحمن فينا والهما
 ليغدو بهم زئ البلاد مرما
 ويرقى غطاءه بعد ما قد تشرما
 بما ناله من حكمة وتعلما
 وليس الفتى من بالعقيق تختما
 ترتب فيه أمرنا وتنظما
 اذا كان أمر الود في القوم محكما
 على الكل منهم خيره متقسما
 اذا شد من عقد التضافر محزما
 اذا فاتباع الجهل قد كان أحزما
 فلا يعد من الدهر للوطء منسما
 له انمل تلقى الجميع تألما
 وتقووا على ذا الدهر إما تهزما
 بهمتكم من عصرنا ما توسما
 وقد كان من قبل عليكم تأجما
 فاطرق منه هية وتحشما
 فهز أخا عشق ورنح ضيغما

بكم معشر الحضار تزان أرضنا
تجلون عن أن ترشدوا من مماثلي
كفى عصركم فخرا وعزا إذا ادعى
اليجهد في استرجاع رونق شرقنا
فلا زال في عصر الخلافة قائما
ينث عليه الخافقان بعده
ويصبح عرض الحسف فيها مكلما
ولكنها ذكرى لما ليس مبهما
أمير الورى عبد الحميد المعظما
وتجديد ما من مجده قد تهدما
لما أنا د من أمر العباد مقوما
ثنا جميلا بالدعاء مختما



وقلت في مثل ذلك عند حضور امتحان المدرسة
السلطانية في السنة نفسها

بدور بافق العلم هذى المواسم
لتغدوها عين الفلاح قريرة
يقدر فيها العلم ما هو كاسب
فتنتج ما قد حاول الجهد في العلى
شهور على صدق الفعال أمينة
مضامير اقران النباهة والنهى
هو الجد حتى البعد للقرب سابق
وحى ترى ما كان فى نيله الرجا
وهل يبلغ الآمال الا مجاهد
وهل دون غاى الجهد تدرك غاية
وكيف يرجي الوصل من ليس يمتطي
ولا بد من غوص الفتى قصر لجة
ومن مدرك من فاته وهو قاعد
على البدر قد لاحت لهن مواسم
وتبدو تغور السعد وهي بواسم
ويعرف فيها الفضل ما هو غانم
وتسفر عما باشرته العزائم
ولكن قضاة بالسباق حواكم
يميز مرغوم لديها وراغم
وحى الخوافي خلفن القوادم
صريما قد التفّت عليه الصرائم
وهل يطرد الا هو ال الا مقاوم
ودون احترام النفس تعنو المخارم
وكيف يزيل القرن من لا يصادم
لتخرج غر أن اللآلي الحضارم
ومن لاحق من جازه وهو نائم

وما النفع من جيش تعبى صفوفه
فان تمام الجهد للنَّجَح واجبٌ
وان المسمي العقل في المرء صاحبٌ
فاجدر بخل ان يصاحب خله
وللعقل طول العمر بالعلم صبوة
اليفان لا ينفك كل متيا
فان عد حقا أفضل الناس عالم
وان أمكنت من دون ذا العلم عزة
كما عز بالعلم الا عارب قبلنا
ليالي لا أملاك الا ملوكهم
تقدمنا منهم رجالٌ تقدموا
رجالٌ مضوا لم تلهم عن علومهم
نهم أشرقت تلك الديار وأزهرت
قد استخرجوا درّ المعارف بالعنا
فمنهم بأثار العدو صوائفٌ
إقد أوسعوا الامرين فتحا كأنما
فغنت رهام الطير فوق رياضهم
وسادوا العدى في كل امر فأصبحت
وأصبح منهم هؤلاء على الثرى
يخافون امر العرب حتى كأنما
ولم يك الا العلم علة مجدهم
فمن يعتصم بالعلم يمس معززا

اذا لازمت اغماذهن الصوارم
وليس يسوغ الصد عمّا يلائم
لعلم غدت منه عليه رثائم
ولا يترك الملزوم ماهو لازم
بلاسلوة والالف بالالف هائم
بصاحبه تعي لديه اللوائم
فأفضل منه عاقل وهو عالم
فبالعلم اسنى ما تسود العوالم
فذلك وهابهم لذاك الاعاجم
تعد ولا تيجان الا العائم
وسادوا وما في القوم الا ضارم
وشغل الورى غاراتهم والملاحم
باقطارنا أنجادها والتهائم
وموج العوادي حولها متلاطم
ومنهم لآثار العلوم معالم
مكارمهم في الحالتين مغارم
وأثنت عليهم في الزال القشاعم
بايديهم أمصارهم والعواصم
كما سكنت بطن التراب الا راقم
لهيتهم فيهم رقي وطلاسم
فجادهم مالا تجود الغمام
ومن يفتن عنه تطاه المناسم

إذا ما تأملت الزمان رأيت
فإن عِدَّ كسب العلم فينا فريضة
وهل نرتضى ذا اليوم ذلاً بتركه
لعمري لقد كانت لنا بمجدودنا
فلا غرو أن نقص آثار مجدهم
ولم لا نرجي كل فوز وما لنا
ونعلم أننا أن نجد نجد رذا
وكيف يرى نيل الفلاح بدونه
بعصر يفوت القوت فيه معدّه
وقد نهضت كل الخواطر للعلی
فكل غار ناهل الفكر حائم
فجز ما بنى الأوطان فالجهد واجب
فقد قيض الرحمن فينا ذرائعاً
ويوم هو المشهور إيماناً به
لدى مشهد يستوقف الركب عن ظمأ
تناهب فيه الحمد من كل جانب
بهم رجع الفضل الاصيل لاهله
وهل ناجع بالامر الا رجاله
وهل يتحرى الفضل الا عميده
فسقيا لروض المعارف ناضر
لاطيّاره في العلم شدو وانما

بكل نجاح في العباد يساهم
فكل جهالات الانام محارم
إذا ساد فيه جيلنا المتقدم
ما أثر في حق القصور ما ثم
طرائقهم قدأما والمناجم
سوى الفضل في جنب الزمان جرائم
ميجرب أمر ليس فيه مراغم
ويأمل دون الجد ذال النيل حازم
ويعدم ورد الماء من لا يزاحم
وزادت جيوشا في الصدور الشكائم
له وعليه طائر الذهن حائم
بذا وبحول الله فالنصر قادم
وقامت لهذا الفضل فينا دعائم
مقلّدة اجيادها والمعاصم
وتسكن من جفل اليه النعائم
كرام صنوف المجد فيهم مقاسم
وعادت الى أصحابهم المكارم
وهل ساجع بالايك الا الحائتم
وهل تسكن الآجام الا الضراغم
بها وعليه عارض الفضل ساجم
به الطائر المحكي في القول جائم (١)

يَضُوعُ لَهُ فِي الْأَرْضِ عَرَفَ مَعَارِفَ
سَلِيلِ بْنِ عَثْمَانَ أَمَّا مَرَامُهُ
فَنَفْعٌ وَأَمَّا شَغْلُهُ فَالْعِظَامُ
فَغَيْثٌ وَأَمَّا عَزْمُهُ فَلِهَازِمُ
وَدَانَتْ لَهُ فِي الْعِدَوَتَيْنِ الْإِنْسَامُ
صَرَائِمُ إِلَّا أَنَّهُنَّ صَوَارِمُ
عَلَيْهِ خُطُوبُ لِلظُّهُورِ قَوَاصِمُ
يُدَافِعُ عَنْهُ تَارَةً وَيُهَاجِمُ
وَجَازٍ إِلَى دَارِ الْوَعْيِ وَهُوَ ثَالِمُ
وَعَمَتْ لَهُ كُلُّ الْعِبَادِ مَرَاحِمُ
وَيَوْمَا نَرَاهُ وَهُوَ لِلخُطْبِ حَاسِمُ
وَفِي أَرْضِ عَثْمَانَ ظَلِيمٌ وَظَالِمُ
وَعِثَاءٌ عَلَيْنَا وَدَقَّةٌ مَتْرَاكُمُ
وَيَغْتَبِطُ الْإِسْلَامُ إِذَا هُوَ سَالِمُ
وَتَعَطَّرَ فِيهِ بِالْذِّعَاءِ الْخَوَاتِمُ

وَقُلْتُ أَشْكُو الزَّمَانَ

مَنْ الدَّهْرُ تَشْكُو أَمْ عَلَى الدَّهْرِ تَعْتَبُ
شَكَايُ بَلَا قَاضٍ شَجِيٌّ بَلَا أَسَى
يَلَاقِي الْأَسَى فِي صَدْرِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ
هُوَ الْمَرءُ فِي كَيْفِ الزَّمَانِ مَقْلَبُ
تَوَلَّدَ فِي الدُّنْيَا حَلِيفُ مَصَائِبِ
يَصَاحِبُهَا وَهِيَ الْعِدَاةُ وَأَنَّهُ
إِذَا نَقَصَتْ مِنْ كُلِّ عِزٍّ حَظْوَةٌ

وَمَا صَاحِبُ الْأَيَّامِ إِلَّا مَعَذِبُ
إِذَا بَاتَ فِي دُنْيَاهُ يُعْتَبُ يُعْتَبُ
مَتَى ضَاقَ عَنْهُ فِي الْبَسِيطَةِ مَذْهَبُ
يُقَاسَى عَذَابُ الْمَوْتِ وَالْدَّهْرُ يَلْعَبُ
فَلَمْ يَغْنِ عَنْهُ حِرْصُهُ وَالتَّجَنُّبُ
لِخَسْفِ بَانَ تَشْنَأُ الَّذِي أَنْتَ تَصْحَبُ
فَاسْهَمَهُ مِنْ نَكْبَةٍ لَيْسَ تَغْلِبُ

وطلوب دهر عند من هو يطلب
 اذا هو في بطن الضريح مغيب
 وفيك غراب البين مازال يتعب
 فلا منك رهبان ولا فيك ارحب
 لديك فصدري من فنائك ارحب
 واعجب من حالي وحالك اعجب
 مضى ذلك الامر الذي اتهم
 فلم يجدني ما انت ابكى وانحب
 نجوم السما طورا تضي وتغرب
 شجيين طول الليل نشدو وتندب
 ويطفئها من ماء عيني صيب
 وازجر طرفي اذ يحف وينضب
 وعندى ورد الدمع والله طيب
 على غير صوت النوح اشجى واطرب
 بوجدني فهل بعد النوى ليس يهذب
 لدى غفلة عن نكبي يتنكب
 فيحلو لي طعم وينساغ مشرب
 وتغضب مني مثلها انا اغضب
 الا ليها تسعى برد واكذب
 ولا ينفع الانسان منها التائب
 فصدق واما البرق منها فخلب
 يعنفها في شعره ويؤنب

طريد ليال بات في كف طارد
 فينا يسام الخسف من كل وجهة
 فله يادنيا حياتك كربة
 رأيتك محض الغش في محض قدرة
 واني وان ضاقت علي مذهب
 اري بك من نكدي وصبري عجائبا
 فهل فيك ضم مثل بعد احبتي
 بكيت عليه وانتجت لياليا
 فكم ليلة منها قضيت مسامرا
 الى جانب الورقاء تندب في الدجى
 تشب شرارات الاسى بترائي
 وقد رنت لا ابغى خمود صبايتي
 بصدري حر اشوق برد يلذ لي
 ابى الله ان اهوى السرور واني
 لئن عذب التعذيب لي قبل ذا النوى
 فيا ليت شعري هل اري الدهر مرة
 أليست لتصفو منه يوما سرائر
 أما تحفظ الايام مني وقيمة
 فقد طال وصفي نكدها غير كاذب
 قبا لها من مصميات سهامها
 هي الدجن اما صاعقات خطوبها
 قضى قبلنا الكندي «١» احمد حقبة

على انها الدنيا اذا شئت وصفها
واني وان لم تحبني غير صبوة
سأشكرها إذ أنها مذ حداثتي
وقد نجذتني الحادثات وأدبت
ولكنها مني تمارس شدة
وما عدت من شدة وبراعة
ولكنه لا نفع فيها لصابر
محاكية للبحر تغلوه جيفة
فيعدم فيها الحظ من يستحقه
ويحظى بها بالجد من لا يرومه
اذا الحق لم يصبح على الكل سائداً
وإن عدم الحق المبين نصيره
وان لم تكن فينا على الخير عصبه
فليس بمنع للكريم اتساعها
لكم بت أنضى همي لأ قيمه
قما زال للابصار تحت ستائر
فقد قلت ما قد قلت لا عن ما رُب
واني من القوم الذين هم هم
عتاق المعالي قد تسامت جدودهم
لهم نسبة في اقعس المجد عرقها
واصحابهم فيها الفصاحة والحجي
بدور اذا الهامات بالبيض عمت
بحور اذا الارزاء التت جرائها

وان لم اشأ تلي على واكتب
فكم ناشني منها الى اليوم مخلب
لقد عودتني الصبر وهو محبب
وليس كمثل الحادثات مؤدب
وقد عجمت عودى فعودى أصلب
ولكن من لاقت أشد وأنجب
إذا لم يكن منها لعمر ك مهرب
وفيه نقيس الدر في القعر يرسب
ويحرم فيها الكسب من يتكسب
ويشوى بها بالسهم من لا يصوب
فليس حرّ في البرية مأرب
فما يرتضى بالعيش حرّ مذهب
ففيما سواه ساء ما تعصب
اذا كان فيها الحق كالمال ينهب
واظهره في بعض امر ويحجب
اذا زال عنه غيب جن غيب
اجل انا من مثل ذلك وأحسب
اذا غاب منهم كوكب لاح كوكب
على الشم من انسل الشيخ يعرب
لها منزل فوق السماء مطنب
وبذل الدُّهى والمشرقي المذرب
ليوث اذا الهامات بالبيض تضرب
غيوث اذا الاعوام في القوم تجذب

فيا صل حق بالبيان وتارة
 لهم حسب يحكى الشمس وضوحه
 يزاحم منه منكب الشمس منكب
 فان كنت منسوباً اليهم فانها
 اليهم لتعزى المكرمات وتنسب
 فدون انتساب المرء للجد والعلی
 لعمرک لا يغنيه ام ولا أب
 فما دمت حياً فى الزمان فلم تزل
 على حقوق ليس منهم اوجب
 اثم باشياء كبار ودونها
 من البعد فى ذى الحال عنقاء مغرب
 ارى الفتح يدنو كلما انا ساكن
 ويبعد عني كلما انا اقرب
 وقد غادرت قلبى العوارض حائراً
 هو القلب من تلك الحوادث قلب
 توارد انواعاً كثيراً وكلها
 تؤثر فى القلب اللطيف وتنسب

وقلت ممتغزلاً بالحسن المعنوى

مفتخراً بأصحابه

مال الصبا بعواطف النشوان
 ولوى الغرام عنائه نحو اللوى
 ميل الصبا بمعاطف الاغصان
 وبدا الحنين لابرق الحنان
 وهوى الهوى بالقلب بين اعقة
 فغدا يراوح من معاهدها التى
 ومتالع ومتالع ورعان
 فى نجد بين معالم ومغان
 يأتى اللصاب من الشجاب ويستحى
 فى كل منعطف وكل ثنية
 ويح الحب لقد تهتك فى الهوى
 اجرى العقيق بطرفه وبى بأو
 فرعاه فى سر وفى اعلان
 تاد الضلوع مضارب الكيوان
 صب الم به الهوى فمضى به
 انذرتة سوء المصير فقال لي
 ان الحسن تحت أسنة الخرصان
 ان الصبا عزة الفتیان

أطلقت للقلب العنان فهمت لا
لهفى عليه عدت بجهته الطبا
بين البوارق والصفوف زواحف
طلب المحاسن فى الخيام ودونها
واذا هوى نجد تحكم فى فتى
ألوى ولست لذا العنان بثن
حباً الى حيث الطي بمكان
تحت اليبارق والرماح دوان
ضرب يطيح سواعد الشجعان
جعل الردى فى حيز النسيان

هيهات ليس لعاشق أمنية
واذا العواسل دون معسول اللهى
واذا الحدود القانيات تعرضت
واذا الاسود وقد تردت فى الحمى
واذا رجال كتائب النعمان قد
واذا الأعز الأيهم الغسان قد
حال تطيش بها العقول وربما
تعي فؤاد الاخوذى كأنه
ما ان يقاوم بأسها بطل ولو
تغشى مقاصير العظام ولم تكن
عمت فان فانت عديم القلب بال
لكن ما أودى بعذرة حبه
يسعى اليها فى طريق أمان
يزداد معها القلب فى الخفقان
للحب سال لها النجيع القانى
صرعى أمام كوانس الغزلان
ذلت لعز شقائق النعمان
أمسى رقيق الأهيف الغسانى
أخبت ذكاء ثواقب الازهان
مما أصيب صريع خمر دنان
حازت يداه عزة العقبان
عنها تغز مناسك الرهبان
وجدان ما فاتته بالبرهان
لم يختلف بشعوره اثنان

وترى القلوب على المحاسن أقبلت
وترى الى وصل الحبيب حنينها
كيف اخلاف وللغواد تأثر
أو كيف لأهوى الجمال وقديدا
عين الوجود اللامع النور الذي
العاقب الا كليل مصباح الهدى
هو احمد المحمود من في حله
فأنه يشهد أن طه المجتبي
واذكر صحابة صاحب المعراج من
الراشدين العاملين الى الهدى
هم عصبة الدين الحنيف وشيعة الشريعة
تلقى أبا بكر بصدرهم انبرى
وترى أبا حفص يقيم المسجد الا
يرمي الممالك بالجيوش وقد غدت
ضرب القياصرة العظام بصارم
فغنت له بالرغم شم أنوفهم
وأباد فارس سيف سعدا واذغنت
وقضى الاله علاء ذادة دينه
مثل الدلاء جذبن بالاشطان
يحكى حنين النجب للاعطان
بجميع ما حرت به العينان
من نور ذاك العالم الرباني
ملاح مثل سناه للاعيان
والصادق المبعوث بالفرقان
كنف الوجود تشرف الثقلان
هو خير من سارت به قدمان
حازوا السباق بأول الميدان
والناشرين شريعة القرآن
هم عصبة الدين الحنيف وشيعة الشريعة
يهدى الأولى رجعو الى الكفران
أقصى بهمته على أركان
في قبضتيه شواسع البلدان
أنسى البرية «سيف» في غمدان
وخلاه كسرى من الايوان
مصر لعمر و أيما اذعان
بالنصر والجيشان يلتقيان

فالهَدَى فيهم ضارب أطنابه
 والدين تعصف بالممالك ريحه
 بجهاد قوم أصبحت أعمالهم
 فيهم أبو الحسنين صفحة سيفه
 قد كان ليث عرينة وفؤاده
 وافي منازل في العلوم تقطعت
 فلكم حوت تلك الصحابة سادة
 صرفوا إلى الأرواح جل عنائهم
 أسياف حق بالهداية قطعت
 حق الفخار بهم لكل موحد
 فاذا كرفتوحات العقول برشدتهم
 واذا كرلهم فتح الممالك في الوري
 من مشرق ذاق النكال ومغرب
 هم قدوة للعالمين بها اهتدى
 أهل الخلافة من بني العباس من
 بلغوا جدار الصين من جهة ومن
 وترى حذاء فروق وقع سيوفهم
 والغزنوية يوغلون بزحفهم
 والحق ملق في الوري يجران
 عما يُزلُّ مواقف البهتان
 أبداً يجيد الدهر عقد جمان
 فجر ينور ليل كل طعان
 بحقائق الاكوان بحر معان
 عن دركن نياط كل جنان
 غراً من الانصار والاعوان
 وتجانقوا عن خدمة الابدان
 بين العباد هوادى الاوثان
 لثبوت مجدهم بكل أوان
 تهدي لحق العلم والعرفان
 من كل ناحية وكل لسان
 طلعت عليه كواكب الفرسان
 شم المعاطس في أولى السلطان
 بعد الخلائف من بني مروان
 أخرى تخطوا شاهق البيران
 وتجاوب الاصداء في السودان
 في السند آونة وهندستان

وبنو أمية في الجزيرة حكموا
وانظر بني أيوب لما أعمالوا
وصلاح دين الله أنزل بطشه
ولواء يوسف تاشفين بمغرب
ثم السلاجقة العظام وإثرهم
سيف الصناديد المساعير المغا
ما كان ينضى في وغي الاملا الد
سل عنه عثمان القديم وان تمل
وانظر مراد وبا يزيد بغربه
وارمق أبا الفتح الأعزَّ محمدا
في مأزق والجانبان تصادما
والخيل باشرت البحار فردها
والبيض تخطب في الرؤوس رواكعا
حتى تصاغرت البلاد لأمره
وغدا سليم رب كل ايلة
وأتى سليمان الزمان بفيلق
مادت لهيبته البسيطة ميده
وسعت عزائه الزمان وقائعا

أمضى ظبأهم في ذوى التيجان
في المعتدين عواسل المران
بالقوم في حطين كل هوان
خرت له الأعداء للأذقان
أصوات ضرب الصيلم العثماني
وير القروم المعشر الغران
نيا برعب صليله الرنان
لزيادة فاعطف على أرخان
قادا الأعادي كلها بعران
اخنى على جرثومة الرومان
وتقابل البران والبحران
فرسان فامتعت على الارسان
طوراً وتنطق ألسن النيران
واستسلمت ليديه مثل العاني
في الشرق محمياً به الحرمان
خضعت له الافلاك في الدوران
لم تبق من أحد ومن شهان
من كل حرب في العداة عوان

تفدى بنى عثمان كل قبيلة
حملوا الخلافة والبلاد طرائق
فعدت وقد صارت لهم أطرافها
ولهم بها العدل الذى أبدى لنا
حق اذا ما أمّنوا فيه الورى
فبمثلهم فلنفتخر وبهديهم
فى السالفين من الأفاضل عبرة
فى كل يوم من برازخهم لنا
أولانجيب ونحن أحياء فى الورى
ان نعتذر بزماننا وطباعه
ان المبادئ لاتزال فواعلا
فيها يكون الى الحصول توصل
يعدو الزمان بها على أحواله
والعقل لا يعنو لحالات اذا
واذا تحصلت الشجاعة لم تكن
فلنعملن فالرأى فى نيل المنى
فى الارض أبرزها لنا العصران
فى كف أهل البغى والعصيان
تيهاً تجر ضوافى الاردان
كيف استواء الشاة والسرحان
ردوا غرارهم الى الاجفان
فلنهد بعد تقاعد وتوان
تجلو المرء بأقصر الامعان
داع ينبه خاطر الغفلان
يوما ندا الأجنان فى الاجنان
ففى العوارض لم تخص بآن
مايين مايتعاقب الملوان
وبدون ذلك علة الحرمان
بالناس من زيد ومن نقصان
ماشاء أوقعها بحال تقان
عند المحصل غاية الامكان
هو أول وهى المحل الثانى

وقلت مفتخراً بالسلف

أقلُّ عذابي ما تصاب مقاتلي	وأضيع نصحي ما تقول عواذلي
وأسعر ناري ما تكن جوانحي	وأهدأ حالي ما تهيج بلايلي
تفيض دموعي كلما لاح بارق	وتطرب من مر النسيم شمائي
واني لتشجوني الحمائم ان شدت	على عذبات البان عند الأصائل
سواجع بالشكوى ينجن على النوى	نواغم لا يعرفن غير الحمائل
يبكّين أوقات الصفاء التي خلت	وأبكي لأيام الصباء الرواحل
واني لصب لم أزل أندب اللقا	بدمع طويل الذيل هام وهامل
حنيني الى عهد الوصال وأهله	وسهدي على هجر الخليط المزائل
ولكنه قدر ممّت الحب مهجتي	وروّق اعنات الغرام مناهلي
تفردت في طبع الى الحب نازع	وقلب على حكم الصباية نازل
فيطربني همس القصائر في الحمى	ويعجبنى في الرمل هدى المطافل
وأهوى لحاظ العين معسولة اللمى	وأعشق ربات النخصور النواحل
وأختال في غي الهوى غير عابئ	وأمرح في بذخ الصبا غير سائل
واني ليجرى في جناني هوى الحمى	وحب الدمى مجرى الدما في مفاصل
فيا ظبية الكشبان حسنك فاتني	ويا غادة الجرعاء حبك قاتلي
ويا هذه الأعطاف رحك طاعني	ويا هذه الأحاظ سحرك بابلي
ويا عاذلي اقصر فلست بوازعى	أطلت بتعنيفي على غير طائل

سأمنع عن عيني لاجلك نومها
وأجرى بمضمار الهوى متهتكا
لأعشق حتى ليس لي من معادل
وأرهن هذا القلب للغيث والمهي
وما الحب الا خلق كل مذهب
وما الحسن الا دون كل عريضة
إذا كل طرف ذابل عند ذابل
تجول جياذ الخيل في كل عرصة
وتحمي سيوف الهند عن كل كلة
أزور خيام الربع غير موارد
واني من الشعب الذين اذا سعوا
ألم ترهم بالأمس حزمًا وقوة
فما آجل يرجونه غير عاجل
لقد خيوا آمال كل معارض
بشقر سراحيب وسمر ذوابل
غداة بلاد الناس شرقًا ومغربًا
لقد دكد كوا الاجبال فيها وشيدوا
سقوا تربة الارضين سهلا ومرقبًا
وأقسم ما تبكيه بين المنازل
أجر رقي شوطي فضول الغلائل
واكلف حتى ليس لي من مماثل
وأجعل هذا العقل مهر العقائل
وما الوجد الا شأن كل حلال
وما الوصل الا في مجال الغوائل
وكل قوام عاسل دون عاسل
وأنضى اليها كل يوم رواحلي
لقد طالما علقت فيها حمائل
وأغشى ديار الحى غير مخائل
يحلون قدر أعن حوول الحوائل
مفاعيلهم في الامر قبل المقاتل
وما عاجل يأبونه غير آجل
وقد زلزلوا اقدام كل منازل
وبيض أصاليت وصفر عياطل
اطلوا على أقطارها بالبحافل
سواهن شام من غبار القساطل
من الدم بالانهار لا بالجداول

أطاروا قلوب الكاشحين وارقصوا
وقد سحقوا بطشاً رؤوس عداتهم
فما زال منهم باخعاً كل عامل
إلى أن ولوا بالسيف أقصى بلادهم
فهم خير من في الأرض سوا صوارم
وهم خير من ضموا اليراع إلى القنا
لقد نشروا العلم الحقيقي في الوري
وقد خطبوا في الأرض بالحق من على
أزالوا سفاهات الشعوب وقابلوا
وشادوا على تلك الرسوم حضارة
فأصبح منهم عامراً كل غامر
زها ونما نبت الوشيج بأرضهم
أولئك آباءى فجئى بمثلهم
رجال لديهم راق جمع مناقب
بدور بآفاق الزمان أوافل
أقاموا زماناً ثم مر عليهم
زماناً قضوه بالعلاء ولم تكن
كذلك قد كانت أوائل قومنا
فرائصهم من كل حاف وناقل
وقد نزلوهم من رؤوس المعازل
وما زال فيهم عاملاً كل عامل
فلم يدعوا فيها مجالاً لجائل
وقادوا عتاق الخيل قب الاياطل
وهم خير حد بين حق وباطل
على حين تغلى الحرب غلى المراحل
منابر عز من متون الصواهل
سفاسفهم بالمكرمات الجلائل
اقيمت على أس التقى والفضائل
وأضحى لديهم ممرعاً كل قاحل
وفي مدنهم زادت فنون الصياقل
والافهم في الأرض خير القبائل
عفاف واقدام وحزم ونائل
نحبي على تلك البدور الاوافل
عتو الدواهي والليالى الدوائل
ليالى علام بالليالى القلائل
الا ليتنا بنى بناء الاوائل

ونحي رسوماً غادروا لا اعتبارنا
 اما نحن من حازوا الغنى بعقولهم
 وقد كان منا كل ندب مجرب
 وكل همام مشيع الحجز راشد
 وكل امام كالغزالي وهو من
 وكل حكيم كالرئيس الذي جرى
 وكل أريب كاهن رشد ومن على
 فبالشرق منا كالرشيد وقومه
 ولا تنس في وادي الفرات وجلق
 ولا سادة منهم محمد^(٣) جاعل
 لعمرى اذا ندري الامور فانما
 وغر العلى فوق العوالى دوامياً
 لنعم نداء الحرب فى كل أمة
 لينشر من أكفانه كل ميت
 فذلك أمر لا يزال مجدداً
 اذا ضاق عنه النثر فالبحر واسع

فأصبح منها دارساً كل ماثل
 وجادوا على كل الورى بالقواضل
 بنور الحجبى جالٍ دياجى المعاضل
 موفق آراء دليل مجاهل
 اذا قال لم يترك مجالاً لقائل
 وخلى ارسطو خلفه بمراحل
 هدهد وكالرازى ند الاوائل
 وبالعرب منا ناصر بعد داخل^(١)
 وفى مصر آثار الصلاح وعادل^(٢)
 بقبضته البرين دون مطاول
 زوال العنايين القنا والقنابل
 ونيل المنى دون المنى والمناصل
 أناخ عليها دهرها بالكلاكل
 ويوقظ من تهويته كل غافل
 نشاهده فليذكرن كل ذاهل
 بنا والقوافى رافدات القواصل

(١) عبد الرحمن التناصر الاموى بعد جده عبد الرحمن الداخل

(٢) صلاح الدين يوسف بن أيوب وقبله نور الدين زنكى الملقب بالملك

العادل (٣) محمد الفاتح العثمانى

وكتبت الى السيد جمال الدين الافغانى رحمه الله

يا جمال الاسلام والاسلام	صده عن هوى الجبال الملام
مثلما أنت فى الحياة والا	خفاة الفتى عليه حرام
هكذا ان يصح فى الارض مجد	دونه كل مانرى أوهام
هم دونها الكواكب مثوى	ومضاء من دونه الايام
قاذفات على المصاعب عزماً	لو تبدى تدكدك الأعلام
مثل هذا حويت يارجل الار	ض فاذا عسى يدل الكلام
لم تزل تحرز المحامد حتى	كل حمد له عليك ذمام
أنت فرد فيما شملت ولكن	فى اقتدار الجنان أنت لهام
لك نفس الاملاك فى عزة الأف	لاك فى جود من يدها النعام
لك طبع سام ووجه وسيم	أدبر الظلم منهما والظلام
ورموز ملء الحقائق طرا	وعلوم فوق العلى أعلام
ويراع كالغيث منه انسكاب	وذكاء كالنار فيها ضرام
ومعان لو اوحيت لجناد	هزه الشوق نحوها والغرام
حيرت كل ذى حصاة الى ان	قل لاشك إنها إلهام
كل هذا حوى الجبال واوفى	يا جمال الدنيا عليك السلام
كل حى لم يحذ فضلك حذواً	كل ساعات عمره آثام
فلتطاول بك الكواكب وليفخر بعلياك	آذم لاسام

ونحب ما تدعو اليه والا
كل نفس قصد الفلاح عليها
وقيح يانفس قولك هذا
أبدع الله في العباد أموراً
حسبنا الله من وكيل ولكن
دون نيل العلى ربى ووهاد
نطلب المجد من سوانا ولكن
يا زماناً أتى بكل عجيب
جئى بما شئت يا زمان غريباً
ان أمراً أصحابه تركوه
فغدوا مثلاً جعلت وما كا
يا جمال الاسلام انى امرؤ م
عبثاً يجهز الزمان علينا
ليس يخلو الزمان يوماً من الع
حالة عن فصال أمثالها الأي
منك يرجى ياسيدى يا جمال الد
أنت للمسلمين فى دينهم حجة
عطف النفس ما استطعت علينا
فلحق النفوس منا اهتمام
طلقاً ليس تخلق الآنام
فوق همى وقوة لاتضمام
وعليها عليهم الاقدام
لنقل مثل ذا ونحن قيام
لانتال العلى ونحن نيام
لم يسود عصام الاعصام
أى يوم كنا وخسفاً نسام
وتحكم اذ أنت لست تلام
بعد ما أفطروا عليه وصاموا
ن الهى مغيراً لو داموا
ن عليهم والله ضاق الكظام
« ما لجرح بعيت ايلام »
رة لكن قد شلت الافهام
ام قد مبسها لعمرى العقام
ين وصل الجبال وهى رمام
أنت للمسلمين فى دينهم حجة
نحن لولاك فى الورى أيتام

ماشككنافى أن تنال الأمانى	سيد أنت والزمان غلام
ما عجبنا للفرس اذ بصنيع الد	ولة اليوم حفك الاعظام ^(١)
اظهر اليوم يا محمد وابهر	أنت فى المشرقين بدر تمام
وتغلب على العوائق واجعل	كل مالا يرام مما يرام
قاطع رأيتك المسدد فى الده	ر الذى ليس يقطع الصمصام
فيك يأتى القريض منتظما ع	وا وتنساب وحدها الأقلام
ذا مجال ان تجتنبه خناذير	ذ القوافى فانى الضرغام
فامر اليوم مازفقت قبولا	يا جمالا أنا به مستهام
خدم الدهر باب عزك بالاخ	لاص ما واصل افتتاحا ختام

وقلت وكتبت بها الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

لقلبي ماتهمى العيون وتأرق	وللعين ما يبلى الفؤاد ويرهق
وما كنت ممن يرهق العشق قلبه	ولكن من يدرى فنونك يعشق
وما كنت ممن يرشق السهم لحظه	فيهوى لذا لكن يراعاك أشيق
أصبت به كل القلوب وانه	لينضحها بالنبل قبل يفوق
تركت الوردى أسرى هواك وانما	أسيرك فى ميدان فضلك مطلق
لديك استرقتهم من الطبع رقة	فأنت لهم حق رقيق ومعتق
جذبت بهاتيك المعانى قلوبهم	وتيمها والله ذاك التأنق

(١) كان هذا فى أول ذهابه الى ايران قبل أن ينكبه فيها الشاه ناصر الدين

كلام اذا ألقىته في جماعة
عليه من النور الالهي مسحة
مناهل الطاف وأعين حكمة
يبيت بها غصن البلاغة ناضراً
سلام على وجه الامام محمد
ولله دُرُّ البحر دُرُّ محمد
وأخلاقه الغرا اذا شئت وصفها
إمام بخصل العقل والنقل فائز
اذا ما انبرى في حلبة الفضل قصرت
خطيب الوري بالحق للحق مظهر
اذا قام من فوق المنابر فاصلا
تميد الوري عند استماع خطابه
فما قام بالحق الحنيف صادعا
له القلم المشهور يزري مداده
عجائب مولى في محمد عبده
لك الله يا مولاي هل من فضيلة
ومنها

غدامنك مثل اللؤلؤ الرطب ينسق
تسكاد على أرجائه تتألق
تظل على روض المعارف تغدق
وريقا على نبت الفصاحة يسمق
محيا به ماء الحيا يترقرق
تتوج منه للمعارف مفرق
وان لم أشأ توحى الى وأنطق
سبوق لغايات حكيم محقق
حوالى مداه حلية هن سبق
ظهير وللبطلان مردٍ ومزهق
فأى ضلال ليس يمحى ويمحق
وتعجب للأعواد إذ ليس تورق
وللفكر شمل بات ليس يمزق
بتبر اذا في مهرقٍ هو مُهرق
وربك يعطى ما يشاء ويرزق
بهذا الوري الا بها أنت أليق

أسكن قلبا دونه بات يحقق
تشرفه فهو السعيد الموفق

وفي أمل انى لدى فعل واجب
اذا نال مثلى من كلامك لفظة

وقلت أمدح الأمير الكبير على باشا صاحب تونس الخضراء
وأقرظ تأليفه المسمى بمناهج التعريف في أصول التكليف
عج بالصاب وعنق الليل مقتول بصارم ابن ذكاء وهو مسلول
ومنها

باتت سعاد على ذا كله وغدت اذا تمر الصبا في خدرها غلسا
كذلك حتى اذا شمس الضحى طلعت قامت سعاد تحيينا فما قر
جلت محاسن ما يلقي لها مثل تقول بدر وغصن كي تشبهها
فلا يغرنك في مثل لها طمع حتى اذا شغف القلب الذي اجتذبت
يحاول الجهد كي يقتص مدرجها تجوب جوز الفلا في كل ناحية
مرثومة بالبري خلت مخاطمها فاعطف على طلل بالجزع ان دمي
كانت لنا غرأوقات مضت معها تلك الليالي التي مابت أذكرها
كنا نهم بها والعمر مقتبل تضيفو عليها من النعمى سرايل
راحت عليها من الريا مثاقيل قامت ومنها وشاح الصدر محلول
على قضيب على الكشبان محمول وما لملتس منهن تنويل
وانما قولك يا صاح تمثيل فدون أمثالها العنقاء والغول
«باتت سعاد قفلي اليوم متبول» وهل يطيق تباع العيس مغلول
تزل عن متنها رقطاع زهلول جذبا كما غودر الثوب الرعايل
منها على طلل بالجزع مطلول والخطب منهزم والهم معزول
الاشجيت وبني اهتاجت عقايل والعيش غض وربع الانس مأهول

فى كل واد من الآرام ليس به
 أما الليالى فقد عادت وهن بنا
 ولت سعاد وبدلنا بها جزعا
 فلا يغرنك من دنياك زخرفها
 انا نزلنا على وادى تضلل قد
 يمد فى كل يوم للورى شركا
 فمن سعى عن طريق النعى مبتعداً
 ومن تهافت عمداً فى ضلالته
 كم زلزل الله من قوم لكفرهم
 فليس تبرح للرحمن حامية
 هل باى تونس الاسيف جرده
 فالיום للرشدين الناس واسطة
 بكف أبلج ميمون مطالعه
 أشد أوسع من فى ذرعه سعة
 مشبوب عزم بحسن الحدس متقد
 يلاحق القصد بالتسديد منتها
 اذا تغضف جنح الخطب معتكراً
 من معشر المؤمنين الفر محتده
 الا أغن غضيض الطرف مكحول
 من بعد ما كن أطفالا مطايل
 وكل شىء له فى الارض تبديل
 فما زخارفها الا الاباطيل
 تدفقت من حوالينا الاضاليل
 والناس منهم به ناج ومحبول
 فجل مسعاه بالخيرات موصول
 فليعلمن فعرش الكفر مثلول
 قدما وأهلك جيل قبله جيل
 لتزهق البطل ان البطل زحيل
 فى الارض ربى خد البغى مفلول
 وللتعسف والاحاد تذليل
 فخم الجنا ب وقيل قيله القيل
 طولاً وأطول من فى باعه طول
 فؤاده وبحب الله مشغول
 اذا اتحت هدية السارى العواقل
 فما على غيره فى الكشف تعويل
 لدى عمامته تعنو الا كاليل

ومنها

بفيلق لجب من كل ملتئم
مقذف يقذف العادي بصوته
لله هذه على باي الزمان فهل
عن مثل عليها كف الدهر قاصرة
فليس ينضى لروع غضب همته
وليس يمسك عن عاف مواهبه

ومنها

حقائق طي ذاك الصدر محرزة
ترهبه بن تآليف مفردة
منها مناهج للتعريف واضحة
تجلو بفصل خطاب كل مسألة
الله أكبر هذا فضل سيدنا
يبغى جميع الوري ايلاه دين ثنا
مهلا أبا حسن نجل الحسين فما
ترهبكم تونس الخضراء ممرعة
كفاكم شرفاً أهل الحسين فهل
أثني عليكم بتقصيري على أمل

على شتات فعمول ومنقول
على اقتراق فتجميل وتفصيل
يدل سالكها حكم وتعليل
عوصا وان كثرت فيها الأقاويل
فأين من وصفه مدح وتبجيل
فيعجزون ودين الشكر ممطول
أتم أيا سادتي الا بهاليل
وليس يزعب في أغوارها النيل
مقصر عنكم في الوصف معذول
لعل عذري عند الباي مقبول

وقد اعارض فيكم فارساً^(١) بطلا
 فيامليكا تقاصى في ممالكه
 أن كنت بدرأ بأفق الغرب منبلجا
 فإسلم وعزك للإحلاف معتصم
 لا يترك القرن الا وهو مجدول
 لكن لنعمته في الارض تظليل
 فالشرق من لطف ذاك النور مشمول
 من الرزايا وللإعداء تنكيل
 بالحق والله بالتوفيق مسئول
 وارع الحنيفة البيضاء معتصما

وقلت في الاستاذ الشيخ محمد عبده أهنيه بالاضحى

هل الدهر الا اذا النهار وضده
 يدور فن أى الجهات ابتدرته
 ولا خير في يوم يمر على الفتى
 فليست حياة المرء الا شهادة
 يعاود كلاً منهما الدهر ندّه
 وتابعته تبدا به وتحده
 اذا لم ينل فيه ثناً يستجده
 على فضل مولاه فيظهر مجده
 فان الاله اختار مافيه نكده
 مقام وفي دار السعادة خلده
 لقد حل عندي حيثما حل وأده
 فأغفاله فيها سواء وعدّه
 ولكن حق العمر في المرء حمده
 والافى دار الفناء ثناؤه
 وحى غدا في ماسوى الروح ميتاً
 ومن كان لا يوتى الجماعة نفعه
 لعمر ك ليس العمر في المرء عيشه

(١) احمد فارس الشدياق له في أحد بايات تونس قصيدة أولها :

* زارت سعاد وسر الليل مسدول *

فأحجى به إجهاد ما بات فاقداً
 فيغنيه عن رغد المعيشة شكره
 كذا السيف معدوم وقد غاب نصله
 وما الحمد إلا الجد فهو وراءه
 وهل قيمة الانسان إلا فعاله
 ولولا اشتغال المرء ماذا ذكره
 فأجل من خضب بكفك شغلها
 واصلح من ذل بنفسك موتها
 كذا فلتكن تلك الحياة التي أرى
 أودُّ بها خلقاً كثيراً وانما
 ومنها

لقد آثر المولى بنعماء آتفاً
 هو البدر لكنّ المعالي سماؤه
 هو الليث لكنّ المحامد غابه
 هو البحر عن كل النقائص جزره
 محيط بأشتات العلوم جميعها
 مجد روح صار في وسط نزعه
 حكيم فلا تلهيه إلا جواهر
 فلا غرو ان يسعد محمد عبده
 هو النجم لكنّ الفضيلة سعده
 هو السيف لكنّ المكارم غمده
 ولكن الى كل الكمال مده
 ففي أى علم جئت يقدر زنده
 وموضح أمر ألق اليوم رشده
 غدا عبرة فيما سواه من زهده

لقد ظل سلطان الكلام بأسره	فاعلامه الأقلام والكتب جنده
له قلم يزرى بكل مهند	يصول على العادى به فيقدّه
له فى رهان المكرمات مآثر	كبت دونها قبّ السباق وجرده
تردى بأثواب المحامد كلها	وفوف من كل المحاسن برده
الى كل ما يسنى الثناء صباؤه	وعن كل ما يؤذى الكرامة قصده
أيا من ورودى فى البيان معينه	فأصبحت فى مدحى له أستمده
تباهى البرايا مصر أنك نجمها	ويفخر هذا العصر أنك فرده
لديك رقيق الشعر يحلو نشيده	وفيك دقيق الفكر يحسن نشده
وفى مداد المرء فيك لدى الثنا	وان يكن البحر المحيط يمدّه
ومثلك من تبدى المواسم فضله	وفيهامع العليا يحدد عهده
فهنالك الأضحى ولا زال عائدًا	عليك سعيدا دائما لك شكده
عليك من المولى يصب سلامه	وفى قلبك الوقاد ينزل برده

ولى تهنئة للشيخ محمد عبده بزفافه فى بيروت وهى بنت ساعتها :

ماذا يحاول مثلى فى قوافيه	وان تكن جمعت كل القوى فيه
من مدح من حين لاحتلى مكانته	من العلالم أصوب رأى مدخيه
تعنوا المعانى لديه وهى صاغرة	كأنها فى البرايا من جواريه
تأتى سواء فتسمو فوق هامهم	وتنتجيه فلا ترقى مواطيه

رب المقام الذى باتت تحف به
 قد حازه واللىالى من موانعه
 بفكرة ما انتضى فى الخطب صارمها
 أذل كل جماع للزمان بها
 وانما الفكر إذ صحت مبادئه
 فهو الذى كل رأى منه منبج
 من يكشف الأمر خافيه كظاهره
 ما ان جلا علمه فى مطلب لبك
 مجد روح هذا الدين منعشها
 من منه دهر كماضيه وحاليه
 آلى على نفسه ألا يفارقها
 فسل نجوم العلا عن شأو همته
 لاأختشى إن أقل من ذاي ساجله
 إذ ينتضى قلماً كالعضب يظهره
 أو ان يقل كلماً تغدو وقائلها
 فليس تتلو الورى من قوله غرراً
 نالت فوادی رغباه فوائده
 ياليت مقدرتى فى وصف حكمته
 غر الفضائل تعلية وتعليه
 من دونه والعوادى من عواديه
 الا تمكن قطعاً من هواديه
 ولا حسام ولا رمح يرويه
 عن الجيوش غدا والله يغنيه
 فى الروع عن كل فجر فى حواشيه
 ويبلغ القصد قاصيه كدانيه
 الا وأسفر صبحاً عن دياجيه
 من بعد ما بلغت منه تراقيه
 مقلد جیده بالفخر حالیه
 الا على مبدأ للدين يحيه
 والشرق والغرب فاسأل عن مساعيه
 من ذا يساوره من ذا يساويه
 على حسام صقيل الحد ماضيه
 ذا البحر يزرى وذى تزرى لآليه
 الا ونادوا جميعاً جل باريه
 وبلغتني آمالي أماليه
 كانت تعادل بين الناس حيه

فكنت أشعر أهل الأرض قاطبة
لكنني دون ذاك معتمد
أني امرؤ لم تكن تحصى مطامعه
حتى رآه فأمست دون مبلغه
وأنه والذي سوى محمد من
فهو الهمام الذي فخر القلوب به
المسترق قلوب الخلق منطقته
وقد غدا طالب التأهيل عن رشد
آتاه ربي من النعمى موفرها
أراه أنجال أنجاب وأسعده
ومد في عمره ذخراً لملته
فهو الذي في الورى غرّان أنعمه

إذ بت أهيمهم من فطرتي فيه
على مقالة أن الفعل أنويه
ولم يخل في الورى شيئاً ليكفيه
من كل مآثرة صرعى أمانيه
لم أرض عن ناظري حتى أرائيه
إذا ابتدا اللب يروى عن معانيه
إذا أفاض فلا حر بواديه
وشيمة الحر تأتي غير أهليه
إذ يمنح الفضل ربي مستحقه
بخفض عيش رفيع الشان ساميه
بالدود عن حرم الاسلام يقضيه
قد انطقتي ارتجالاً في تهانيه

تاريخ

بارك الله لمولانا زفا فاقرينا للرفا والولد
جئت فيه اليوم أرخ قائلًا حلت الشمس ببرج الأسد

ولى رثاء لحرم واصبا باشا متصرف لبنان وهى من نظمى يوم

كنت فى الرابعة عشرة من العمر

أتذكر نبذ الصبح فيما تحاوله	بعذل وبأكى العين جارت عواذله
وتحجوا انصباب الدمع ويحك منكراً	اذا دبجت خضر الروانى هواطله
فأرود فاقصر، عمرك الله، واتئد	فانأى من العنقاء ما أنت آمله
تحاول تجفيفاً لدمعى كعامد	لتجفيف بحر محور الارض ساحله
وإطفاء نار بالحشى مثل من أتى	لظى سقر يطفى الصلا وهو آكله
أيالائى فى الحزن كلنى للأسى	شجياً فقد طابت لدى مناهله
ولا تتعين أو تعتبن حيث لم أصب	فهيها إصغائى لما أنت قائله
عذلت بما قد ظلت تجهل همه	ألا فاعذلنى بالذى أنت عاقله
ولو كنت تدري ما الرزية لم تلم	ولكنما يستصغر الأمر جاهله
مصاب بدت للموت فيه شدائد	بما لم تكن تدريه يوماً غوائله
به ذهب اليوم الردى كل مذهب	كأن الردى لم يدر ما هو فاعله
أزال بأفق المجد شمس فضيلة	تميد بها من ذا الزمان جلائله
عقيلة صون قد أصيب بها العلى	على مثلها مات العلا وعقائله
تعطل خسفاً جيد ذا الدهر بعدما	تحلى بها دهرًا من الدهر عاطله
مضت فمضى منها الى الله ممتعاً	بنعاه شخص لا تعد كماله
فقامت لها فى كل حى نوادب	لحسن ثناء يفعم البر نائله

الا ان لبنان الاغر تخضبت
 تمثل دك الطور في صعقاته
 أمصرها يوم الثلاثاء وقد سرى
 تصعد فيه الناس كل شرارة
 فيا قبرها في الحازمية فوقه
 سقتك شآيب الرضى كل غدوة
 أراحلة من عالم الموت للبقا
 لك الله بالصبر الذى قد قضيته
 اتخذت الليالى النابغية مألفاً
 وتصبر حتى أصبح الداء عندها
 فويح الردى كيف انبرى لاختطافها
 تخزمها لا يهرب البأس من حمى
 فلم يتهيب للوزير بسالة
 أقام السرايا فوق لبنان تنجلي
 أصيب لعمر الله ليس تقيده
 ولا غروفيه من مصاب معظم
 وان الذى جل الزمان بفضله
 لقد جل أن يخشى من الدهر بأسه
 رباه دماً مما بكته قبائله
 دما دمه مما تميد معاقله
 بها نعشها كالفلك والدمع حامله
 بما فيه قد ساوت ضحاه أصائله
 غطاء من العفو المهيمن سادله
 وظل الحيا ينهل فوقك وابله
 ويا حبذا من ذلك الحى راحله
 بداء مدى السبع الستين يناضله
 فما شأن طرف حالك الليل كاحله
 أواخره قد سويت وأوائله
 ولم تدم مذ مدت يداه أنامله
 وزير وقت أسيافه وعوامله
 تسامت ولم تغن الوزير مناصله
 فأين السرايا للحمام تنازله
 فتिला على درء المصاب جحافله
 فما واثب الضرغام الا ممائله
 لآخرى بأن هانت عليه نوازله
 بل الدهر يخشاه فليس يعادله

وزير اذا قل الثناء فاعما	شمائله بالانثفات شوامله
هنيئاً للبنان به ان ذكره	يضوع بأذكي ماتضوع خمائله
تولاه واصا حيث واصى أياديا	تواصى الشنا طول المدى وتواصله
فدياك طراً لاتطع باعث الاسى	فانك لايعنيك في الخطب هائله
وان الذى قد صلتته يد القضا	حسام غدت أمر الاله جمائله
فهل في قضاء الله تنجيك حيلة	اذا نصبت للاقتناص جمائله
وهل كل شأن مبتغيه وسائله	يصبح به فيما يروم وسائله
فجدلت ذا العدوان بالسيف عنوة	ولكن هذا الموت ليس يشا كله
فعطف على المكروه نفساً فانه	قضاء عميم مقصداً مقاتله
فثلك لايعنو لاثقال نيكبة	على ان حزم الرأى اذ ذاك كاهله
ومثلك في لبنان همته انتضت	فوائف ما كانت ترجى أو اهله
نشرت لواء العدل فوق هضابه	خفوقاً بآلاء غدت لاتزاياله
فدمت عليه والياً تسعد الورى	ككادمت جوداً فيه يخضر وابله

ولى بعد ذلك تهنته بزفافه

ادر لنا راح تذاكر الحمى ادر	وصف لنا اليوم مجلى سفحه النضر
وارمق سناوته وانظر سماوته	ترى دراريها تزدان بالدرر
ترى قباب السناني الافق صاعدة	على أساطين نور ناثر الأكر

أنعم بها ليلة لبنان تاه بها
 جاد الزمان بأهليه بطلعتها
 كأنما كان منذ البدء حاملها
 يزین قبتها نور وساحتها
 حتى كأن ضياها امتد متصلا
 مشاهد كملت أنوار زينتها
 يكاد لبنان أن يهتز من طرب
 عمت بذى البهجة العليا مسرته
 تأرجحت من ثنا المولى الوزير لنا
 هو الوزير الذى ماشئت من وزر
 أقسمت مادام منه الخير منصرفاً
 كنا نحاذر دهرأ قبل همته
 يرتد عن مجده الوضاح منكسراً
 بدر ينير على الأقطار قاطبة
 مهذب تبضع الجلى لحكمته
 مؤيد سنة العدل التى شرفت
 طافت بكعبته الآمال واعتمرت
 الى مكارمه الآنام واردة
 وبات يرفل فى ثوب من الحبر
 من بعد ظن بهافى سالف العصر
 حتى تمخضها ذا اليوم عن كبر
 نور فزهر بين الزهر والزهر
 يومها وكأن الأرض لم تدر
 ما بين منتظم منها ومنتثر
 وان عيس بما يحويه من مدر
 جميع أهليه من باد ومحتضر
 أرجاؤه بأريج ضائع عطر
 منه على دهرنا الفيت من وزر
 الى العباد فازند الزمان ورى
 فالآن نحن وما نبقى على حذر
 طرف عن الشمس أضحي غير منكسر
 بحر سواه جميع الناس كالغدر
 يرى ويمضى مضاء الصارم الذكر
 ورافع راية الارشاد فى البشر
 وليس الا لبنان الرطب من حجر
 تترى ولكنه ورد بلا صدر

باتت تحدث عن معنى سماحته
 أبدى فأيد أيدى المكرمات بنا
 أين الرزينة تحتاج العباد فقد
 له بكل مكان كل مأثرة
 اذا أفاض على العافى مواهبه
 وان سطا بطعان مل من يده
 يامن لتأييد علياه وسلطته
 بك انقضت غصة الأيام وانكشفت
 لك الأيادى على لبنان ترسلها
 لكم رأبت له صدعاً وكم شعث
 سقيته الغيث من رعد ومن دعة
 فعاد بعد ذوى عيشه نضراً
 ما ان ترى ماس بين الناس غصن هنا
 مالى اعدد ما واصيت من نعم
 فمثل فضلك بجرأ ليس يحصره
 فاهناً بسعد هداً لا تزال به
 تزهو لنا اليوم فى تاريخه جمل
 وعدل أحكامه الغراء عن عمر
 جوداً كما كف كف الرزء والغير
 رعى بها بين سمع الارض والبصر
 غراء معلومة الاحجال والغرر
 أزرى بغيث من الوطاء منهمر
 قرى الوشيج وغرب الصيلم البتر
 تدعو الرعية فى الآصال والبكر
 صروفها بالزمان الاخضر النضر
 سجباً على رايح فيها ومبتكر
 بلمت فيه وكم قومت من صعر
 كذلك يسقى جديب الأرض بالمطر
 وشب بعد وضوح الشيب فى الشعر
 الا ولبنان أمسى خير مهتصر
 على حماك وما شيدت من أثر
 لسان مثلى فى ذا العى والحصر
 مقارن العز والنعمى مدى العمر
 فقل تجلى قران الشمس والقمر

ولى للمرحوم حسن افندى بيهم من أعيان بيروت
تهنئة بزفافه وهى أيضاً من أوائل شعرى

إليك التهانى تستحث وفودها وفيك القوافى يستمال شرودها
وتسلكنها فيها معانيك هينة اذا استصبحت أقبالها ونجودها
ومنها

تعاتب عزمى فيك كل خليفة عليها سرايل العلى وبرودها
كانى قرضت الشعر قبل زمانه ليوجب فى يوم على نشيدها
وكنت اذا ما اعتمت صمى عن الثنا اكلف نفسى خطة ماتريدها
فان كنت للحسنى عميداً وصاحباً فانى مديحاً صبا وعميدها
وان صيغ عقد المدح فيك فطالما تحلت بك العلىء وازدان جيدها
كأنك من ماء الشهامة منهل تظل العلى حرى اليه كبودها
لقد شملت منك الجميع بلطفها شمائل يزرى بالشمول ورودها
وقد فزت حظاً بالعلى من العلى فتقدح ناراً فى يديك صلودها
حصلت على شم المعالى فلم يزل بأفق العنان البدر وهو حسودها
صبوت اليها وهى تحو كقدصبت فلاغرو ان تفتن بحسنك غيدها
غلبت القوافى كلها وسبقته وان يزر بالدر النضيد نضيدها
بهمة مقدم العزيرة لا ترى عياء ولا وقع الصعاب يؤودها
وأخلاق ميمون النقية ماينى يصوب بها غيث الثنا ويجودها

فتى لو أعار الشمس ضوء جبينه
ولو لابس الظلماء نور جناحه
ولو مزج الله الحياة بلطفه
نشا كلفاً بالمكرمات فلم تزل
الى الغاية القصوى منازع همه
توليه ذات الاروعية نفسه
يهتك أستار المغالقات حزمه
اذا اعترضت دهم عوابس في الورى
على ملتقى سبل المعانى تخاله
أمالته له كل القلوب من الورى
لقد ألفت الافضال وهو ريبه
ولاقت به زهر السعد جوده
رعى الله من رعى المودة والولا
أيا حسناً لم يبق حسناً لغيره
ويا غولاً لا تاركا طارف العلى
عشقنا معانيك الحسان وانها
تضاحك ثغر الافحوان ثغورها
تباهت بك الأقلام انك ربها

لما ساغ تحت الدجن يوماً ربودها
لما احتيج من نور الصباح وقودها
لما احتملت سقم الجسوم جلودها
له نفحات ليس يحجد جودها
فأقرب هاتيك المغازى بعيدها
على عقبات لا يرام كؤودها
لدى معضلات لا ينادى وليدها
فنه لهم مهديها ورشيدها
فبتدر من كل صوب يصيدها
مكارم تترى فى القلوب قيودها
وهل تألف الاغيال الا اسودها
كما تتلاقى فى البروج سعودها
بياصرة ما يطيبها هجودها
برفعة شأن لم يزل يستزيدها
اذا كان أولاك الغناء تليدها
وحقك عين لا يطاق صدودها
وتفضح والله الشقيق خدودها
وانك مطبوع المعانى مجيدها

ومنها

فخذها من الشعر العراقي غادة	تناهت الى ماء السماء جدودها
على غير عهد بالثناء ولم يكن	حداها الى ناديك الا عهودها
وقد أنقذتها نحو مدحك هممة	تجاذبها إقدامها وقعودها
أخا الحسن فاهناً بالزفاف الذي زها	ودامت لك الدنيا وأنت سعيدها
ودم بهنا هذا القران ممتعاً	قرينك من هذى الحياة رغيدها
بقيت بقاء الدهر فخراً لأهله	وخُدت لو نفس يرجى خلودها
ولا زلت بدر الشرق ماذر شارق	وما طلعة الا صباح لاح عمودها

ولى ثناء على جمال بك نجل رامز بك قاضى بيروت لذلك

العهد وكان من أفذاذ القضاة فى العدل والنزاهة

ليس من يملأ العيون جمالا	غير من يملأ القلوب كمالا
وأخو العشق ذو الهيام الذى قد	تخذ الليث فى هواه الغزالا
يا جمالا عشقت منه خصالا	لست أرجو لغيرهن وصالا
زادك الله رفعةً ويقينى	بكال اذا رأيت الهلالا
جمعت فيك يا جمال معان	يتمنى المديح منها المحالا
أو ما فيك ذلك العزم ما وجه يوماً	الا استخف الجبالا
يسبق القول منك فعل اذا ما	سبق القول فى الأنام الفعالا

يا ابن من قصر الأمثال طرا ان يرونا لذاته أمثالا
 نجل قطب الزمان عدلا على الا طلاق لم يُبدِ نَدَّهُ الدهر حالا
 لست أبغى وصفا لما أنت فيه أنا ما ان أطيق هذا المجالا
 لا ولا شكر ما محضت من الو د صديقا تراه باسمك آلى
 مكرمات ورقة وذكاء ذى المعالى فليعلون من تعالى
 وزمان يظل ينشد عنها هكذا هكذا والا فلا

وكتبت الى صديق ايو ب افندى عون مدير مدرسة

الكاثوليك فى حلب الشهباء

حاتم تجذبني القدود وأجنحُ ويصدني عنها الصدود وأجحُ
 ويهيجني سوق الحسان وأدمعُ أبداً على سفح المعاهد تسفح
 غاضت دموعي بعد فيض شؤونها وعهدت عين الدمع ليست تنزح
 وبقيت فيما بين لذع صباية يكوى وبرح دائم لا يبرح
 أحيى الليالى آملا أن تنجلي صبحا وليس بأمثل ما تصبح
 ان كان يوحشنى الظلام لذى النوى فلهجر فى يومى لعينى أوضح
 ولقد أتوق الى الكرى فلربما طيف الحبيب بزورقة قد يسمح
 فلئن يكن ذاك الغزال محرما وصلى فحسبى فى الكرى ما يسبح
 ياليلة بالجزع تجزعنى بها نوحا وراقى الايك مما تصدح

باتت تذكرني ليالى بينها
 ما بين هاتيك الظباء سوانحا
 باتت تنيه بها العقول اذا بدت
 من كل مياس أغن اذا انبرى
 يلهو ويبحر في النهار وانما
 يامن يعذبني ويحسب أنني
 يسطو على ولا يرق فعنده
 دلهتني في ذا الغرام فما أنا
 فالى م تهجرني وقد كاد الصبا
 ما كنت أيوب الصبور وان يكن
 ذاك السمي الباهر الشيم التي
 المشبع العقل الذي أخلاقه
 الواسع الفضل الذي لثنائه
 الناصح الجيب الذي آثاره
 يثنى عليه بالوفاء وانما
 حر تفتح للوداد فؤاده
 فهو الذي انضاق في الخلق الولا
 واذا تزحزح ركه عن أرضنا
 كنا وكان المنحنى والأبطح
 تمشي بجبات القلوب وتمرح
 تيهها كبانات النقا تترنح
 فالعقل يعقل والنواظر تطمح
 قد ظل يبحر مهجتي إذ يبحر
 لعذابه طول الزمان مرشح
 قلب ولكن بالحديد مصفح
 قيس ولكن بالفراق ملوح
 يدوى ورطب غصونه يتصوح
 بالصبر معنى اسمي بفارس يشرح
 أخلاقه بالأروعية تطفح
 غرؤ الوجوه حسية لا ترجح
 في كل خلق من علاه مفتح
 عن حسن ما يطوى عليه تصرح
 تمديحه بوفائه لا يمدح
 وكلامه عند الثنا يتفتح
 فقؤاده بالود معنى أفيح
 فهو الذي في العهد لا يتزحزح

قلم اللبيب بكل مسك ينفح	لاغرو ان شط المزار فانه
يجرى كما يجري الجواد الأفرح	سمح القريحة في رهان قريضه
كالسيل في بطن الجوا يتبطح	تلقاه يرعف في الطروس يراعه
دررا بها صدر الزمان موشح	ويخوض في لجج الفنون ويجتنى
اذ كل ما فيها لعين مسرح	تزهو جنان العلم بين سطوره
ولعلها من كل مدح أفصح	غرر تترجم عن علو مقامه
وبيعده وجه الزمان مكح	يا صاحباً سمح الزمان ببعده
فالدهر يبعد في الورى ما يمنح	لابدع ان تبعد وأنت عزيزه
لكن محلك في فؤادى أفسح	أثويت في الشهباء أفسح منزل

وقلت في رثاء لأحد الأعزة وهى من أوائل نظمى

فليس لمبرم الا المضاء	هى الأحكام يصدرها القضاء
أتيح له على الخلق انتضاء	ولا ينبو حسام الموت مهما
ومات الناس حتى الأنبياء	لقد عم الردى كل البرايا
علينا من ولايتها لواء	وأصبحنا رعايا للمنايا
وعنصر خلقنا طين وماء	ألسنا الخلق غايتنا زوال
لها بالويل ختم وابتداء	وسفر مراحل وذوى حياة
ويصبحنا الى الرسم البكاء	نُهلُ الى البكاء متى ولدنا

ولا نرجو بذى الدنيا بقاء
حياة كانسياب الطيف مرّاً
إذا كانت نهايتها خفوتاً
يغر المرء منها ورد عز
موارد علقم تبدو عذاباً
يدير الدهر فينا كلّ كأس
ويرهقنا من الارزا يبطش
يمزق في البرية كل شمل
ويهدم للمعالى كل ركن
كذا قضت الليالى من بنينا
لعمرك فى البرية أى أم
فواعجياً لضاهدة لديها
لقد آلت رعاها الله قدماً
تفجعنا بكل فقيد فضل
لقد كانت تتيه به المعالى
رويدك أيها المنعى نعيّا
ويام ترحلا مهلا لعمرى
ورد حمامك الآسون لكن

ألا ان البقا منا براء
بدنيا للفناء هى الفناء
فأطولها وأقصرها سواء
يخال به السعادة وهو داء
كذا الدنيا وما فيها رياء
لنا من صرف خمرتها انتشاء
تقصر دونه الأسئل الظماء
فيصبح مثاماً تثر الهباء
فيشملة بأيديه العفاء
بأن لا يستتب لهم هناء
على أولادها منها اعتداء
أواصر ما بهن لها اعتناء
يمينا أن تسر بما نساء
عليه يلطم الوجه العلاء
وكان عليه من شرف رداء
به تنعى المكارم والرجاء
فذاك الناس لو صح الفداء
دوى الموت ليس له دواء

تناديك الفضائل وهي تبكى
 وكم جفت عليك شؤون دمع
 ألا من مبلغ الافضال عنى
 فان يجزع فليس عليه لوم
 وان يصبر فذاك على فقيد
 أغر أبر سمح الخلق كانت
 عليه مدت التقوى وشاحا
 اذا أم العفاة ندى يديه
 حوى غرر الخلال وكل حر
 فتبكيه المفاخر والمعالي
 وظل ثناؤه فى القوم طراً
 فان يك فارق الدنيا مجدداً
 لينعم باللقا أبداً وفيها
 فيا أنجاله الانجاب مهلا
 ولست أزيدكم حبا بصبر
 ولا راع البلاء لكم قلوبا
 ولا يبكى على من فات دنيا
 فياصوب الحيا باكر ثراه
 ولكن ليس ينفعها النداء
 بعين لم تجف لها دماء
 توفى نديه وله البقاء
 كذا تبغى الصداقة والولاء
 بنشر حياته كفل الثناء
 تصرفه الساحة ماتشاء
 وشد به مناطق الصفاء
 فكى يعرفو الحيا منه الحياء
 له بسنى شيمته اقتداء
 وتندبه الطلاقة والسخاء
 يضوع ولا كما حضاع الكباء
 فأثوته مراقبها السماء
 يكون به احتفال واحتفاء
 عزاءكم وان عز العزاء
 جميل برد لابس بهاء
 ولكن فى البلاء لكم بلاء
 ليخلص فى النعيم له ثواء
 فمنه طالما سح العطاء

وزر جدثا بقرب البحر تعثر على بحرين بينهما اللقاء
هناك غيب الأقوام شهما وغُيبت المروءة والوفاء
وياذاك الفقيده اذهب فحاشا مقامك أن يقوم به الرثاء
عليك سلام ربك ماتوالى صباح منذ يومك أو مساء
ومن كان الصلاح له ابتداء فبالاجر الجزيل له انتهاء

وكتبت محييا صديقي الطيب الذكر أيوب افندى عون

مالذات الوشاح جاءت تبخر والضواحي بردنها تتعطر
تقتل الصب بالرؤى فيردى وتلافيه بالدنو فينشر
غادة في خدودها جنة للـعين، والثغر للمرشف كوش
تخجل البدر طلعة حين تبدو تقضح البرق مبسما حين تفت
جردت من قوامها كل رمح وانتضت من لحاظها كل ابت
كلما اسلمت لحديه روح صاح يامسامون الله أكبر
ما اثنت أورت لعمري الا حاربنا بأبيض بعد أسمر
دمية يبعة النفوس أحلت مارآها الحنيف الا تنصر
تتجلى عن جبهة وضحاها فلهذا منها سنا الشمس اسفر
ذات وجه اذا تلاها منير ذات ثغر عن مثله صل وانحر
وصلت بعد هجرة فأقامت من هوانا كمقلة من محجر

آنسنا حتى اذا مائتلفنا
فتكت فتكة الرشيد بجعفر
انما الحب مثلما قيل قتل
وارد الحب ماله من مصدر
مالنا نعشق الحسان وندري
ان حمر الحدود موت احمر
ويح قلبي يهيم في كل واد
وهو يسعى ورا الظباء النفر
تستبيه بكل ألحس أحوى
أفليج تحت كل ادعج احور
ومنها

مالك للقلوب في دولة الحب
غدا داعيا له كل منبر
هو كسرى الملوك لحظا ولكن
فعله بامرئ الهوى فعل قيصر
لا أزال الاله دولته الغر
ا، وان كان قد طغى وتجبهر
ان في ظلها رعايا معان
نصرتها في الفتك نصراً مؤزر
جالد الشجر كل قلب الى ان
ورمي الوجد كل صدر بنار
ان سهم العيون ينفذ في الصد
موطن عنده يهي كل عزم
ينفذ الصبر فيه من جعبة الصد
يا عجيب الذكاء يا نادر المثال الذي ظل للعجائب مظهر
أنت والله من كنوز الليالي
أبرزتك الأقدار كلك جوهر
كيف نحكى علاك يا كامل الع
دة اذ نحن في مجالك حسر

يطرب الشعر منك أحسن ما يطرب صوت الخللخال في ساق اعفر^(١)
يالك الله من أديب اذا ما عدّ يوما فغيره ليس يذكر
بينه في الذكا وبين سواه فرق ما بين أميل ومكفر
جاءني منك يا خليلي كتاب لاتسل كم سري كروبي وكم سر
طالما اشتاقه فؤادي حتى ضاع منه فتيق مسك أذفر
ما كفي يا فريدة العقد حتى أصبح اليوم أكتب القوم أشعر
ما ترى في فتاة خدر سبتني بعان بها المدارك تخدر
بطراز من الفصاحة أزرى صنع صنعاء وهو وشى محبّر
أنت يا معدن اللآلى الغوالى مثل ذا الدر منك لا يستكثر
جئت تثني على بياني وفضلي ذاك تالله أنت أذكي وأمهر
قد كفتني منك الشهادة في إيا بات من قال بالخلاف وأنكر
وبعون الاله يا صادق الأف مال قد رد شائتي وهو أبتّر
قل لمن رام ستر فضلي بغضا لم تكن شمس ضحوة لتستّر
ان لي كل طعنة في مجال عفرت عارض العزيز الأصعر
لي من الحزم جنة ودلاص ومن العزم لأمة وسنور
وبكفي من المضاء حسام وعلى هامتي من العز مغفر
لا ترى من يريد بي السوء الا واقعا تحت ظفر ليث مظفر

(١) اشارة الى قول صالح التميمي العراقي : « كما بطرب الخللخال في ساق اعفرا »

منذرى يفي النذور اذا أ:
 قيل فى اسمى ليث صبور لعمرى
 لست ممن يقول شيئاً فرياً
 ولكم كنت للضعيف معيناً
 ان يكونوا بى استجاروا فنى
 يا صديقاً نأى على متن شهباً
 ان أرم ترك ذكره فهو أشهى
 ولعمرى من كان بالسعى أجدى
 ان شوقى اليك جمٌ ولكن
 أين كتب الأصحاب تطلع ترى
 هل نسيت العهود هيهات ما كا
 يارعى الله عيشنا سابقاً والد
 تلك أيامنا تقضت سريعاً
 كم رشفنا كأس السرور دهاقاً
 جمع الله لى بكم عن قريب
 نذر يوم اللقا أطاح وأنذر
 لا يكون الصبور الا غضنفر
 أنت فى كنه حال خلك أبصر
 وكما قلت لى محيراً لمعشر
 يستظلون تحت لبدة قسور
 ء سبوح من الجياد الضمر
 أو أرم ذكر فضله فهو أشهر
 فهو بالذكر والمدائح أجدر
 جمٌ عتبى عليك أوفى وأغزر
 مثاماً يحتمى السلاف المكرر
 نت عهود ما بيننا العمر تحفر
 هر ولى بذيله يتعثر
 كخيال المنام ليلاً اذا مر
 وهصرنا غصن الصبابة أخضر
 خير شمل بجاه طه الأزهر

واقترح على الرثاء الآتى لأحد الأعيان الفقهاء

أعلمت من فجعت به تلك العلى وسألت أى رجالها صدع البلا

حتى اكتست ثوب السواد لفقده
 وعرفت من لبنان أى شيوخه
 من كان أسبق قومه فضلاً ومن
 من كان نبيل القصد فى أعماله
 من كان أمضى همة من صارم
 من كان فى عزماته فى جحفل
 من كان فى حزم النهى فى حزمة
 سبق الرجال الى المآثر فاعتلى
 وقضى زمانا بالسداد ورأيه
 وقضى حقوق المجد إذ لم يعتزل
 حتى قضى والموت فينا سنة
 جار القضاء على القضاء بموته
 فهو الذى أحى رسوم الشرع فى
 وهو الذى فى ماضى غرس المنى
 عمت فواضله البلاد كأنما
 رن الزمان بذكره، وبفضله
 هو راجح العقل الذى من عقله
 رب البيان البيان اللسن الذى
 وتناوحت بالنذب نوحاً ثكلاً
 غال الردى حتى أميل وزلزلاً
 قد كان صدر ذوى المآثر محفلاً
 شرعاً وكان القصد فيه منهلأ
 فى كف مخترط وأفتك مقتلاً
 أمسى يقل من الحديد الجحفلأ
 تبرى مطاعنها الرماح الذبلاً
 شرفاً وبرز مجده فتأثلاً
 فى الفقه لا يرتد إلا فيصلاً
 إلا وقد بلغ السماك الأعزلاً
 وسيوف مدرجه رواتع فى الطلا
 لو لم يكن بين الخلائق منزلاً
 لبنان تنسف سوحه أيدى البلا
 فجناه أهل زمانه مستقبلاً
 قد كان منها بالفلاح موكلأ
 حفلت مغانى العلم وامتلأ الملا
 وثباته بنت الحصافة معقلاً
 قد كان أذلق من سنان مقولأ

أفواجه ترك الخصيم مجذلاً	رحب الذراع اذا الجدال تدافعت
يُمْتاح منه ولا يردُّ مؤملاً	ما كان يقصر في السماح تفضلاً
يبكى وجيدُ المكرمات معطلا	يا قاضيا بات القضا من بعده
فضلاً وكان بناره لا يصطلي	من عاش دهرًا لا يشقُّ غباره
فوليت في الدارين وضاح الولا	وليت عن دار الفناء الى البقا
للموت يتبع الأخير الأولاً	والناس ركب سائرون جميع
مذ كنت هذى مجازاً مُرسلاً	يسعون للأخرى وتلك حقيقة
تلقى عليه كل يوم كل كلا	والمرء رهن كوارث ما تنقضي
وجدت مضيقَ لهاته متسهلاً	والنفس تملأ جسمه فاذا مضت
بتنا على حكم المنية نزلأ	لا تخدع الدنيا اللبيب فكلنا
تجنى بها ثمر النعيم معلأ	فاذهب عليك من الاله تحية
بلغت ثرى مثواك سحت هطلاً	تُحدى السحائب في السماحتى اذا

وقلت أرثي العلامة الشيخ الامام محي الدين الياقنى الشهير
تغمده الله برضوانه

أحقا علينا الدهر دارت دوائرُه	أما إنه للدين صارت مصائرُه
فشدَّ على الاسلام ذا اليوم ريُّه	بخطب وكانت لا تعد كبايرُه
الا انه الدهر المصرَّحُ باسمه	بأن لا فتى الا غدا وهو داهرُه

بواتره فينا مجردة وما
 لها كل يوم في البرية فتكة
 فكم ملك ضخم تخطفه الردى
 تخرم كسرى كاسراً حذبشه
 وما زال يُفنى كل عز يؤمته
 هو الموت من ذا دافع مبرم القضا
 فسبحان من تعنوا لوجهه
 دعا اليوم محي الدين نحو جنبه
 سرى نعيه في كل حى ففى الورى
 وباتت شؤون الدين تجرى شؤونها
 وكل امرئ يبكى عليه دماً فما
 لعمر كمال الشرق ذا اليوم اقتمت
 وللدين وجد ليس تطفأ ناره
 أصاب بنى الاسلام خطب عزمهم
 لقد كان فيه الشيخ ركناً مشيداً
 فطبق آفاق البرية ذكره
 إمام بأفواه الجميع علومه
 مبارك خلق طيب الذكر عابد
 بواتره والله الا بواتره
 تناديك لامنجاة مما تحاذره
 قساوره من حوله وأساوره
 وقصر أردى ما وقته مقاصره
 يئأس ويُلقي كل قرن يساوره
 اذا الواحد القهار وافت أوامره
 ولا حى الا وهو بالموت قاهره
 يقربه من قدسه ويجاوره
 تعازيه لكن فى الجنان بشائره
 على فقده والفقه تدمى محاجره
 عواذله فى الحزن الا عواذره
 مشاركته واليوم أظلم ناظره
 وللشرع طرف ليس يقلع ماطره
 بذا اليوم فالاسلام تبكى منابره
 وكانت طلاع الخافقين مآثره
 وسار به بادی الزمان وحاضره
 وبحر بأعناق الجميع جواهره
 مهذب طبع مشرق الوجه سافره

بقية ذاك السالف الصالح الذي	بأمثاله الأقطاب جلت ذخائره
قد ارتفعت أسرارهِ وتطهرت	له سِرٌّ غرٌّ حكمتها سرائره
وأصبح في أيامه علم الهدى	تعم البرايا بالضياء منايره
تداعت بيوت العلم يوم وفاته	وخز عماد الفضل وانهد عامره
وراح عليه الفقه يلطم وجهه	اذا اتكثت مما دهاه مرائره
ولم أدر أن الصبر تقنى دروعه	الى أن قضى والعزم تقرى مغافره
فقد فرغت من كل باك دموعه	كما نزلت من كل راث محابره
ترحل عن دار الفناء الى التي	بها عيشه في الخلد تجرى كوائره
فقد دك طود باذخ المجد شامخ	وغُيِّضَ بحر زاعب الفيض زاخره
وأغمد سيف صارم الحد باتر	وغُيِّبَ بدر ثاقب النور باهره
سلام على قبر تضمن تربه	فذلك لحد ساطع العرف عاطره
سقت تربه الوطفا ولا برح الحيا	يراوحه في رجعه ويياكره
وما الموت الا مسلك عم نهجه	وجسر جميع الخلق لا بد عابره
وما المرء الا ميت وابن ميت	ومن بدؤه الميلاد فالموت آخره

وكتبت الى أحد الادباء

ما بين غزلان العقيق وبانه	حرب بها بطل الهوى كجبانه
حرب تضرم بالحضيض سعيها	وعجاجها بالجزع فوق رعانه

ومنها

عبثت بعشاق العقيق وأوغلت
لم يرهبوا بأساً لقاء أسوده
يا زائراً تلك الربوع وسائراً
ان تنزلن سفح العقيق فاشرفن
وتأملن صنع الهوى بفريقه
سبحان من خلق الفؤاد وطامه
وأعز سلطان الهوى حتى غدت
رقاً كمارق القريض لمن غدا
الشاعر المتقن النذب الذي

ومنها

هذا أبو الفضل الذي لا بد أن
وافى وما انصاح النهار بليله
يلهو بأنواع الفنون ويحتسى
وله الرقائق في الكلام يجيدها
قد أبرزته قريحة سيالة
ياسامعاً عنه البدائع معجباً
انسرت في الوطن العزيز فاشملن
في معلم كالروض في حسنة

يُمسى بيقعتنا بديع زمانه
زمناً فحل الصدر من ايوانه
من عصر من سلفوا سلافة حانه
نظماً يسلى المرء عن أشجانه
تررى بصوب المزن في تهتانه
مهلاً فليس سماعه كعيانه
وانزل بذاك السفح من لبنانه
تجنى ثمار الخير من أفنانه

فانزل على سعة برحب فنائه وانظر مآثر من عجبت لسانه

وقلت أرثي الطيب الذكر العزيز سليم افندى البستاني

صاحب جريدة الجنة ومجلة الجنان وكانت وفاته

سنة ١٨٨٥ وكنت ابن ١٥ سنة

الدهر أفتك فارس بطراده أبداً وأكثر فتكه بجياده
يخني فان قصد الفتى لم ينتفع بمضاء صارمه وطول نجاده
ومنها

يسطو على المرء المني بعد العنا قسراً فماذا النفع من ايجاده
يرث الفناء وقد يرى من لم يرث شيئاً سوى ذالموت عن أجاده
لا يشفعن بالمرء غض شبابه عند الحمام ولا ذكاء فؤاده
البين يخترم الجميع وليتما قد كان كل البين بين سعادته
بين كفى الدنيا لعاب غرابه وبه كفى متشأماً بسواده
يردى الحبيب وخله متقلب في مضجع أهناه شوك قتاده
متعرضاً بالنائبات العُبر في إصداره أبداً وفي إirاده
يا أيها البين المفرق بيننا إذ فيه معنى الدهر في استبداده
الدهر أنزق شيمة من أن يرى بالحزم ذا بقي على أفراده

ما زال يفجعنا بهم حتى غدا
فلبئس عيش بات محترماً به
ولبئس افضال ومجد بعده
من هز هذا القطر فاجع فقدمه
وسطاً على الصبر التفجع بالغاً
وتوفيت آمالنا من بعده
الأروع الشهم الذي بعلمه
الطائر الصيت الرفيع مقامه
من كان باباً للرجاء مبلغاً
وقف الحياة لخدمة العلم الذي
فقضى بُعيد آييه^(١) في أجل أبي
أسفاً عليه وكان ركناً للعلی
أيام باهر مجده يذر السهى
أيام لاتلقاه الا جاهداً
أيام ان صعد المنابر خاطباً
ياراحلا عنا رويدك انما
مهلاً لتبصر حال من غادرتهم

شرف الفتى بين الورى بعباده
مثل السليم رزيئة لبلادده
ولبئست الأيام بعد بعباده
حتى تقطر فيه قلب جماده
سيل الاسى الطامى ذرى أطواده
ما الدهر يحياها الى آبابه
وجدائه كالبحر فى ازبابه
والباهر الحسنات فى اسعاده
فى الخطب من يرجوه شأومراده
قد كان حقاً باسطاً لمهاده
الا اتصال حداده بحداده
وقوامها بطريفه وتلاده
وكواكب الافلاك من حساده
ومجاهداً فى العلم حق جهاده
تهتز من عجب ذرى أعواده
من سار لم يندم على ارواده
وترى قضاء الله بين عباده

(١) أبوه العلامة بطرس البستاني صاحب محيط المحيط ودائرة المعارف

من كل من تخذ السهاد سميره
من كل من نظم المراثي جاعلا
غادرت ذكرك في الوري لا نافدا
فاذهب الى مولاي من قد قضى
وأقام نواحا على تعداده
من ذوب عينيه سواد مداده
بل تنتهى الأيام قبل نفاذه
والشكر للرحمن أكثر زاده

وقلت مجاوبا أحد الادباء

أخف ما نال مني الطرف ما أرقا
ونزما كاذني ذا الدهر جورنوى
طمعت بالوصل مشتاقا فاطلني
ما ان دنت من فؤادى منية قصدت
كأنما حلف الدهر الخؤون بان
ورابنى صرفه فيما يعنتنى
لله أى نسيم ليس يُذكرنى
يميل قلبي وقد لجت نوازعه
يا غائباً مخلصاً لى فى مودته
قدر درك من خل سما خلقا
تفدى القلائد آثاراً له سبقت
لاغرو إن أرها من قبل صاحبها
وخير ما سر منى القلب ما خفقا
أصابنى بسهام تحرق الدرقا
وجد ركب التناؤى بي فمارقفا
الا وسد لها من دونى الطرقا
يحول بين فؤادى والذى علقا
ان كيف خلف لى من بعده رمقا
وأى ساجعة لم تجردنى قلقا
ماميئت نسيمات الفجر غصن نقا
ولست أعرف منه غير ما نطقا
لأنت أفضل من فى وده صدقا
الى والفضل لا يخفى لمن سبقا
انى أرى الصبح لكن قبله الشفقا

لله من صاحب صغرى محامده
 مهذب ان بدا منه الشناء ففي
 أهدي الى قريضا من طرائفه
 كالبدر متسقا والدر منتسقا
 شعر لكل اختراع جاء مفتتحا
 سحر لقد لعبت بالقوم فتنته
 جازيك من شاعران تستجده الى
 اذا انبرى في مضامير البيان غدت
 يرق في النظم حتى يسترق به
 لييك يا خاطبا منى الوداد ترى
 قد طالما سمعت اذنى وما نظرت
 فان عرفت فانى ناظر ثمرأ
 يا قاتل الله حظى والفراق هما
 فهل ارجى من الدنيا الصلاح ولم
 لكن على المرء عرك الدهر طاقته
 حب السلامة يثنى عزم صاحبه
 مودة محضت لا تعرف الملقا
 شريف أخلاقه روض الشنا عبقا
 يوما فقلد منى الصدر والعنقا
 والصبح منبثقا والغيث مندققا
 من بعد ما كان هذا الباب منغلقا
 بلا طلاس مخفى سره ورقى
 نظم مضى فيه مثل السهم اذمرقا
 جياده فى المعانى تركض الرهق
 ويسترق اذا ماجاء مسترقا
 منى فتى مادرى نكثا وما مذاقا
 بواصرى فليفاخر مسمى الحدقا
 لكنى لم أصب عوداً ولا ورقا
 على مناصبتى دهرأ قد اتفقا
 نزل وفيها غراب البين قد نعقا
 ولو تحمل ذو الهبات كل شقا
 فان جنحت اليه فاتخذ نفقا^(١)

(١) هذا بيت مضمن مأخوذ من شطرى يبتين للطغرائى :

حب السلامة يثنى عزم صاحبه عن المعالى ويفرى المرء بالكسل
 فان جنحت اليه فاتخذ نفقا فى الارض أو سلما فى الجوفاعتزل

وقلت وأنا في المدرسة وهي من أوائل نظمي في العلامة الطيب

الذكر المطران يوسف الدبس مؤسس مدرسة الحكمة

التي درست بها

أبدر بدا أم سنا باهر	وعطر سري أم ثنى عاطر
أم انبلجت غرة العيد حتى	تراهى بها وجهه السافر
وفتق فيه نوافج مدح	أريج العطايا به ذافر
فأنعم به عيد عین جلا	هموم الوری بشره الظاهر
وأنسام اليوم نعماء ما	يعنته أمسه الدابر
فلا اخلق في دهرهم ضاجرون	ولا الدهر في خلقه جائر
فهل غفل الدهر في العيد أم	تغافل عن انه داهر
مآثر طابت بهن النفوس	جميعا وقر بها الناظر
تبدد جيش الهموم بها	لدى كسرة مالها جابر
أغار عليه سرور الوری	وسعد السعود له ناصر
وليس سوى هزة عامل	وليس سوى بهجة باثر
وليس سوى نعمة سابح	وليس سوى منة ضامر
فأين النكال الا كول الذي	توعدنا الزمن الفاجر
إذا كان يأتي على سالف	بلاه ويسطو له غابر
فقد صار يأتي عليه الذي	جناه ويعنوا له حاضر

ألا والمعالي وبيض العوالى	لئن ناصب الحادث القاهر
فلسنا ولسنا بمن يحذرون	إذا الذّم من حادث حاذر
وإنا وإنا لقوم اذا	نخرنا فما فى الورى فاخر
نباهى الملاك يوم بما	جباه بنا السيد الطاهر
عوارف بحر لها نائل	معارف عِض لها أثر
فضائل بر لها ماح	فواضل حر لها شاكر
تظل البرايا تنوّل من	نداه الذى ماله آخر
مناحّه غبطة المعقى	مدائح المثل السائر
فليس لافضاله جاحد	وليس بنعمائه كافر
مديد النهى قوله كامل	طويل اللهى طوله وافر
حقيق بتمديح كل الورى	على ان كل ثنا قاصر
فكم بت انضى له خاطرى	فما ظل أن خاني الخاطر
وما زلت عن وصفه عاجزاً	على أننى المدره الشاعر
الا دمت بالخير مستمسكا	ينار بك الوطن العامر
سعيد الجودود جديد السعود	ينار لك الفرقد الزاهر

وقلت فيه وأنا في المدرسة

لمن يأمي هاتيك القباب	على جبل تضل به الشعاب
اشيم خلاها يأمي برقاً	فهل جادت بطلعتها الرباب
قبا ب تسطع الأنوار فيها	ويسطع في جوانبها الملاب
قد استنكته فتشيت عرفاً	يضوّع كلما مرت كعاب
تقوم علا على سمر العوالى	ويحرسها من البيض القباب
وترى للمطل على حماها	سهما فوق ماحوت الجعاب
غدت لظباؤها وظي ذويها	قلوب القوم تخضع والرقاب
لعمري نعم حي أليك حيا	كما وصفت بمنعتها العقاب
وأبناء لامك من نزار	كأسد البر أحذرهن غاب
كأمة تسبق الأرواح شداً	سوايح تحتها الخيل العراب
لهم غرر مواطن . صادقات	وغارات تמיד بها الرحاب
يخوض فتاهم الغمرات حرباً	ونيران القتال لها التهاب
ويرجع بالغنيمة بعد صدق	وليس غنيمة البطل الأياب
يطول وليس يجفضه خطار	فينكا أو يغيبه الغياب
ينوق عذاب بدء الأمر لكن	عواقبه لمورده عذاب
تقابلت الامور فكل مر	يعاقبه اللذيذ المستطاب
ولولا البر لم تشعر بعذب	ولولا العذب لم يشعر صاب

وكل صعوبة فلها سهول	وكل سهولة فلها عقاب
أما لو لم يكن طرفا نقيض	لما قيل الخطاب له جواب
وأفضل ذى شروع من تراه	يقارن غب مبدأه الصواب
ومن طلب الصواب ولم يقابل	وجوه الامر أعجزه الطلاب
ومن عدم الصواب وقد نحاه	بأحسن ما يجد فلا يعاب
ومن خاض العباب بقصد ربح	فان الدر ماضم العباب
ومن حسب الحياة مدى طويلا	يكذب ظنه الاجل القراب
اذا ولى شباب المرء يوما	فليس يعيد صبوته الخضاب
ألا ليت الشباب يعود يوما	تقول وانما ذهب الشباب
فلا يشغل فؤادك فى شباب	عن العمل السماع أو الشراب
ولا يقعدك عن عمل فراغ	ولو لم يعقب العمل اكتساب
فان السيف طبع الهند يصدا	اذا ما طال يحبأه القراب
وان المرء ان يلزم سكونا	تولى هيكل الجسد الخراب
سيعلم كل من عرف المعالى	بأن الشغل للعليا نصاب
ومن فى طوقه أمر فعيب	لدى اجرائه فيه ارتياب
ومن أضحى لامر غير كفؤ	فأليق ما يليق به اجتناب
ألم تر ما أصاب السحب لما	تبارى كف يوسف والسحاب
ولم تر ما أصاب الشهب لما	ترأى وجه يوسف والشهاب

فلا عجب اذا ما نال فوقاً
به راجت من العلياء سوق
وقد زهرت زناد العلم لما
وقد نلنا رغائبنا وكانت
غدا من عصبة الأفراد فضلاً
يظلُّ اذا انتحى العلياء يوماً
لقد جابت مدايح البوادي
فليس لبدر شهرته مغيبٌ
كأنَّ خلاله ان رمت مدحا
أروم به الوفاء فن قصورى
تكل مناطق البلغاء فيه
ومنها

لقد شيدت مدرسة تعالت
نظمت بها من الأصقاع ولداً
ومن يترك لعمرك والديه
ليهنك بالسلام مرور عيدٍ
ولا زالت بك الأعياد تزهو
فدم للغوث غيثاً مستمراً
على هام السماء لها كعاب
يبلغهم لساحتك اجتياح
اليك فما يعنفه اغتراب
ولكن مالبهجة ذهاب
وعيشك للسعود له اجتذاب
وبدراً ليس يدركه غياب

وقلت وداعا لمدرسة الحكمة في ختام سنة ١٨٨٦

وكننت ابن ١٦ سنة

مفارقةً والله عزَّ نظيرها	أسيرُ غداً عنها وقلبي أسيرها
تخلّيت عن قلبي لها غير مكرهٍ	ولكنّ نفس الحرّ تغلو مهورها
رهنت فؤادي في هواها لمدة	فلم يغن عنه عند نفسي مرورها
فليست ترى للعلق عندي علاقة	وعندي يد لم توف عني ندورها
وان كان نفلا ماسمحت فانها	صنائع في رأيي تزداد أجورها
فاني رأيت الفضل فضل زيادة	على حقه عيسى خطيراً نزيها
وان المزايا من قليل وربما	لعمري قليل المكرمات كثيرها
فان كنت لم أوثر على النفس مجدها	فلا أحمد الآثار غني أثيرها
وما الفرق ما بين الكريم وضده	اذا لم يحمّل نفسه ما يضيرها
وما الحرّ من يلوى لضرب يمه	اذا لفحته في الليالي حرورها
ولكنّ من يقوى وللروع نصلة	يُطير فؤاد الفحل إذ يستطيرها
ولكنّ من يطوى على المرّة	تظل عليه مستمرا مريها
ولكنّ من يغدو وتغدو عزيمة	له مثل حد السيف وهو شهيرها
ولكنّ من يفري الستور اذا عدت	عليه خطوب لا تراح ستورها
ولكنّ من يغشى صدور مجالس	وتغشاه من جرد المذاكي صدورها

ولكن فتى عند الرزايا صبورها
ألا في سبيل المجد أن شكيمة
وانى حلبت الدهر أشطره وقد
إذا لم يكن ماء الشهامة منهلى
فلا وافقت للمكرمات عقيلة
يفجّر فيها للقريحة أنهرأ
وما ذاك إلا أنه متخرج
ممنعة للفضل فيها معاقل
مؤسسة أركانها فوق حكمة
تيل بأعطاف النجاح خصورها
وتزهو ولا زهو الكواكب فى الدجى

إذا فى لىالى الجهل تمّ سفورها
يقرّ لها من كل بدر تمامه
ومنها

فقد خولتى نعمة فوق نعمة
فألبسنى نسج الجبور حيرها
لقدر شحت حلمى فجاءت خلائقى
لىالى هاتيك المهارق حولنا
وكل إذا عدت فانى شكورها
وأوطأنى مهد السرور سريرها
من الطبع أولاها ولا أستعيرها
يدور بنا دور الأساور دورها

لذلك غدت تحكى بياض طروسها
مجرّ ومجرى سمر أقلامنا التي
ألا حبذا تلك الليالي فانها
قضيت بها أنساً كأن لم أفر به
فما أنس لا أنس الرياض التي جرى
ولا أنس أوقاتا قضيت بربعها
فان يقض بالبعد القضاء فانه
مضت فأمضت مهجتي وكأنا
فلا تنكرن منى الذي قد شهدته
فبي من جوى الأحشاء ما جعلته
تصعد منى زفرة فتثيرنى
فان كنت أظهرت الفتور بلوعتى
أودع مغنى قد قضيت به الصبا
وما رست أعلاما ودارست علية
على لهم فضل بجيدى درّه
تحاشيت نفسى من سلوعه ودهم
فما قصرت الا وقامت ما أثر

وان أشبهتها بالظلام مسطورها
يهين صليل المشرفى صريرها
هى الغر لكن ليس يدري غرورها
ورشف كووس لم تحرم خمورها
وأوردنى ماء النعيم غديرها
ولا صحبة منى كريمٍ عشيرها
عذيرى منها وهو منى عذيرها
نظير كرى عينى كان كروورها
وجوماً بنفس قد تسامى زفيرها
على قنن الأجبال دكت صخورها
وأجهد فى ارجاعها فآثيرها
فرب عيون شبّ ناراً فتورها
وأرضيت نفساً كالنهار ضميرها
وآنست أنواراً تماماً بدورها
وكم فتية منهم تحلت نحورها
فان نجارى المنذرى نذيرها

من الأصل لا يُدري لعمرى قصورها

فذكرها عهد الخورتق شأنها وإن سدرت ماغاب عنها سديرها
 ما أثر أجداد جديد نغارها يذرى وإن طالت خلواً أعصورها
 على أنه ماتم فضل لأول بعصبتهم حتى أجاد أخيرها

وقلت وهو من شعر المدرسة

أعلمها بين العذيب وبارق تغزلت من غزلانه بالحقائق
 فديتك ربعا قد ترحل آله بكل إمام للمآثر سابق
 عفا وخلت منه المنازل بعدما لقد كان زينا للنهى والمناطق
 وأقوى وأقوى ماحوى من معاقل أناخت عليه عاديات البوائق
 وأجذب بعد الخصب إذ كان زاهراً بكل كتاب للفوائد واسق
 سلام على تلك الربوع فأنها رياض المعالي والمعاني الدقائق
 لكم قد حوت تلك الخيام عقائلا يضى سناها من خلال السرايق
 رواشق قلبي عن قسى جفونها ألا بارك البارى بتلك الرواشق
 تبيح لنا ألاحظها حيثما رنت بسحر بيان صادق كل صادق
 وإن خطرت سكرى فمن كل رائق من اللفظ والمعنى ومن كل شائق
 لقد أطلعت من تحت ليل فروعها هلال محيّاها بأسنى المشارق
 قليلٌ وبدر عندها ماها سوى سواد مداد فى يياض مهارق
 بروحى هاتيك الثنايا فأنها زهت فى رياض الفضل زهو الشقائق
 أتلهوننى يا أيها الناس ويحكم على الحب ما أتم له بالعوائق

ولى أيضا وهو من أوائل نظمي

عليك أقمت أسناء الشناء	فأنت أقمت أثناء السناء
جعلت عليَّ حق ثنالك فرضا	وقد أحيت لي ميت الرجاء
توقدُ فطنة وتسيل لطفًا	كطبع السيف من نار وماء
وحلمك راجح برعان رضوى	وعزمك كالمهند في المضاء
ومجدهك ظاهر فوق الدرارى	وذكرك فائق عرف الكباء
بروحى أنت لا وحدى ولكن	فداك القوم من دان ونا
إذا فتشت يوما في عروق	ترى سريان حبك مع دمائي
فأين تكون يامولاي مبنى	لأسنى عند منزلك احتفائي
ففي قلبي أعيدك من غليلي	وفي عيني أعيدك من بكائي
لقد أناك بالقدر التذاني	وقد أدناك بالحب التنائي
أرى لك هزة للفضل حتى	طباعك أصبحت مجرى الطلاء
أراك لطفقت حتى كدت تخفى	على أبصار مختبر وراء
فلا بست الضمائر مثل سرِّ	ولامست الظواهر كالهواء

وكتبت تحت أول صورة فوتوغرافية استخرجت لي وكنت في الرابعة عشرة
ونفسك فابدأ بتصويرها بما أنت من خالد فاعلٌ
والأَمْضى الجسم مع رسمه ولا يخلد الزائل الزائل

رثائي لحجة الاسلام

« وبينما كنا مباشرين طبع هذا الديوان بمطبعة المنار تحت
اشراف صاحبها العلامة الامام حجة الاسلام السيد محمد رشيد رضا
اذ أصيب العالم الاسلامي كله بفقد هذا السيد الامام الذي تتعاقب
القرون ولا ينسى الاسلام عظمة مصابه قدس الله روحه فانا ملحق
بهذه القصائد التي كانت تطبع تحت ملاحظته بقصيدة رثاء له
واحسرتاه عليه والله يفرغ علينا الصبر الجميل من بعده ، وهي »

تحدرى ياد موعى بالميازيب	وعارضى السحب أسكوباً بأسكوب
وأدركى كبداً لج الأوار بها	عن مارج في صميم القلب مشبوب
هيئات أى الرزايا بعد ترمضنى	وأى داهية دهياء تلوى بى
وأى خطب ملئ أن أقول له	يا عمرى انفض أو يامهجى ذوبى
مضى الذى كان فيه منتهى أملى	ومن نشدت لتعليمى وتهذيبى
ومن عن الأخذ عنه شد راحلتى	ومن للقياء إسآدى وتأويى
شعرت ان خلت الدنيا بمصرعه	لم يكفى طول تشريدى وتغريبى
فمن أناجيه بعد اليوم فى حزنى	ومن أرى بشه بئى وتعميدى
واهاً على حجة الاسلام حين خبا	ذاك الشهاب بيللات غرايب
واهاً على علم الأعلام حين هوى	فلا تصادف قلباً غير منحوب

هوى وكل جبال العلم دانية
 أين الذى كان إن أجرى يراعتة
 هذا المصاب الذى كئنا نحاذره
 من قبل رزناه فقد أغير ذى عوض
 حتى اذا حل لم تعقد مناحته
 قضى الامام الذى كانت مكانته
 لو كان أنصفه الاسلام يوم ثوى
 كان المقدم فى علم وفى عمل
 له شمائل أمثال النسيم سرى
 سمح السجية لا يلوى على حسك
 لم تعرف الحق فى يوم سريره
 كم قد تلقى أعاديه وقد كشحوا
 يلقونه حملا حتى اذا عبثوا
 هناك لا هدة يدرى ولا خصم
 هناك أعظم بفحل غير ذى نكل
 يصول صول على فى وقائعه
 عدا على عبقر من ليس ذا صلة
 غالبقرية وصف فى رشيد رضا

عن شأوه فهى منه كالأهاضيب
 فى أى فن أتاننا بالأعاجيب
 نظل نلبس منه جلد مرعوب
 وكم حسبناه صدعاً غير مرؤوب
 الا على حادث من قبل مرهوب
 بين الأئمة فى أعلى الشناخيب
 لبات يرفل فى سود الجلايب
 والجمع ما بين منسوب ومكسوب
 تذكىه نفحة نوار التعاشيب
 ويكره العفو أن ينأى عن الحوب
 ولا وعى سره شيئاً سوى الطيب
 بفضل ذيل على الآثام مسحوب
 بالدين أصبح كالبنزل المصاعيب
 الا سيأخذ منه بالتلايب
 لدى اللقاء وسيف غير مقروب
 فليس يعرف قرنا غير مكبوب
 معها على الرغم من نعت وتلقب
 والعبقرية ليست بالأكاذيب

قس كل صاحب فضل مع رشيد رضا قيس الرُّهَام الى الطير المناسب
 تسمو المنابر اعجاباً بوطأته لها وتخضع أقواس المحاريب
 سبحان من زاده علماً وألهمه تلك البراهين في أحلى الاساليب
 رب الوفاء الذى أربى بشهرته حقاً على مثل فى العهد مضروب
 لم يدر بغياً على الاخوان فى زمن سادت على الجم فيه شيمة الذيب
 له المنار الذى كانت تنار به سفائن القوم فى لج التجاريب
 مقلة من أصول الشرع أشرعة تمشى مع العقل تسيار الاصاحب
 كان المنار لحزب الحق معتصراً يهديهم بشعاع غير محجوب
 غدت به ملة الاسلام حجتها شهباء فى حازب منها ومحزوب
 جميع أجزائه تأتى على نسق مثل اطراد العوالى بالاناييب
 فيه الفتاوى التى يرضى الجميع بها فلا ترى حاجة فى نفس يعقوب
 تجرى بأذان من يصفى لقارئها لحن السريجي فى سمع المطاريب
 ما بالمنار ضياء غير مقتبس وليس فيه هلال غير مرقوب
 وكم كتاب له غير المنار غدا فوق الكتائب فى حشد وتكتيب
 فى كل عام تأليف يجود بها كالغيث يرسل شؤبواً بشؤبوب
 مواقف لن ترى من يستقل بها ولن ترى طامعاً منها بتقريب

سر نحو ربك مبكياً بكل دم قان على صفحة الخدين مصبوب

وانعم لديه بما قدمت من عمل وفز بقسطك من بر وتثويب
واترك ثناء كنفح الطيب ليس يني يلا البلاد بتشريق وتغريب
قد يغلب الحزن أقوام بصبرهم لكن حزنك عندي غير مغلوب
ابكيك مادمت في الدنيا وما بقيت الا بقية عيش غير محبوب
لى معك عهد فأبى أن أخيس به حتى أصير الى لحد وتتريب
الاسيف

جنيف ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٤ * شكيب أرسلان

جدول اصلاح خطأ الديوان

خطأ	صواب	صفحة	سطر
ايساد	إسآد	٨	٣
مر خفيفاً	مصع مرّ خفيفاً	١٣	٤
أنّ	إنّ	١٤	١٠
ويغزّ	ويغزّ	١٥	١٩
يحدنه	يحدونه	١٦	١٥
العالا	العلی	١٩	٩
لعمرو	لعمر و	١٩	١٤
شعو	شعر	٣٧	٤
دجى	دجا	٥٣	٢٠
يَقَقَا	يَقَقَا	٦٠	١٧
سأل	سال	٦٧	١٩
سبان	سمان	٩١	١٨
الهند دان	الهندوانى	٩١	١٨
لها بعضاً ببعض	لها بعضٌ بعض	١٠٠	١٢
تشاجر	تشاجراً	١٠٠	١٢
ظن	ضن	١٠٢	١٦

خطأ	صواب	صفحة	سطر
عقبياً	عصبياً	١١١	١٠
العدا	العدى	١١٩	١٠
ويقتري	ويقتري	١٢٤	١٤
يبتاً	يبتنا	١٢٩	٢٣
زافر	ذافر	١٣٢	١٣
البوارج	البوارح	١٣٣	١٣
الفجر	الفخر	١٣٤	٧
واوفاهم	ووافاهم	١٣٤	٢١
العرب	العرب	١٣٥	١
مغرماً	مُقرماً	١٣٥	٣
هبةً	حُبْسَةً	١٣٦	٨
ارحب	ارغب	١٤٢	٤
رَمَثَ	دَمَثَ	١٥٠	٦٠
فوائف	فوائق	١٦٨	١١
كما دمت	كما دِمَتَ	١٦٨	٦٣
ظن	ضن	١٦٩	٢

انسكوبيه يا اسلاميه

في أربعة اجزاء

وهي تعاليق أمير البيان المجاهد الكبير صاحب العطفة

الأمير شكيب أرسلان

على

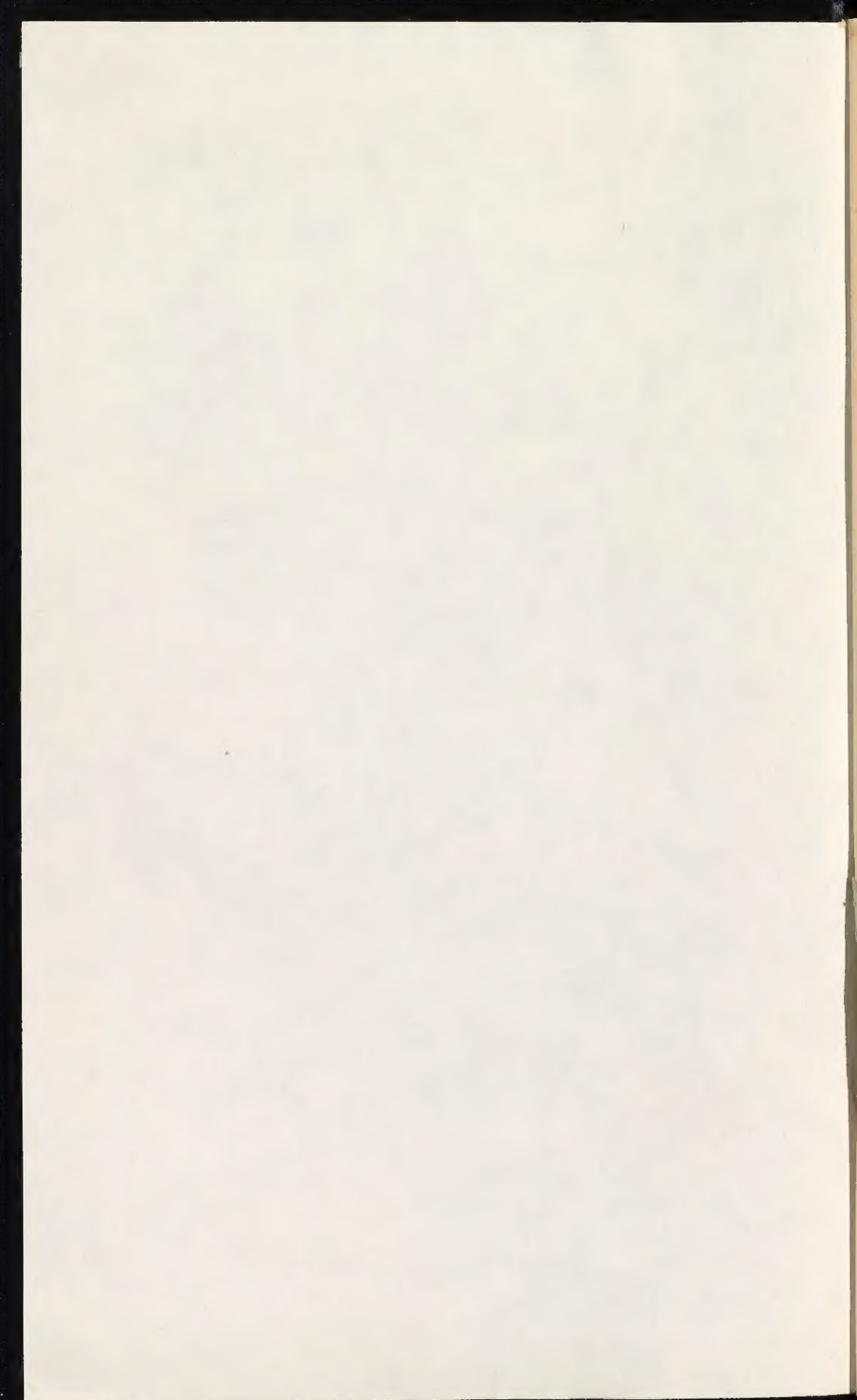
جِازِ الْعَالَمِ الْأَسْلَامِيِّ

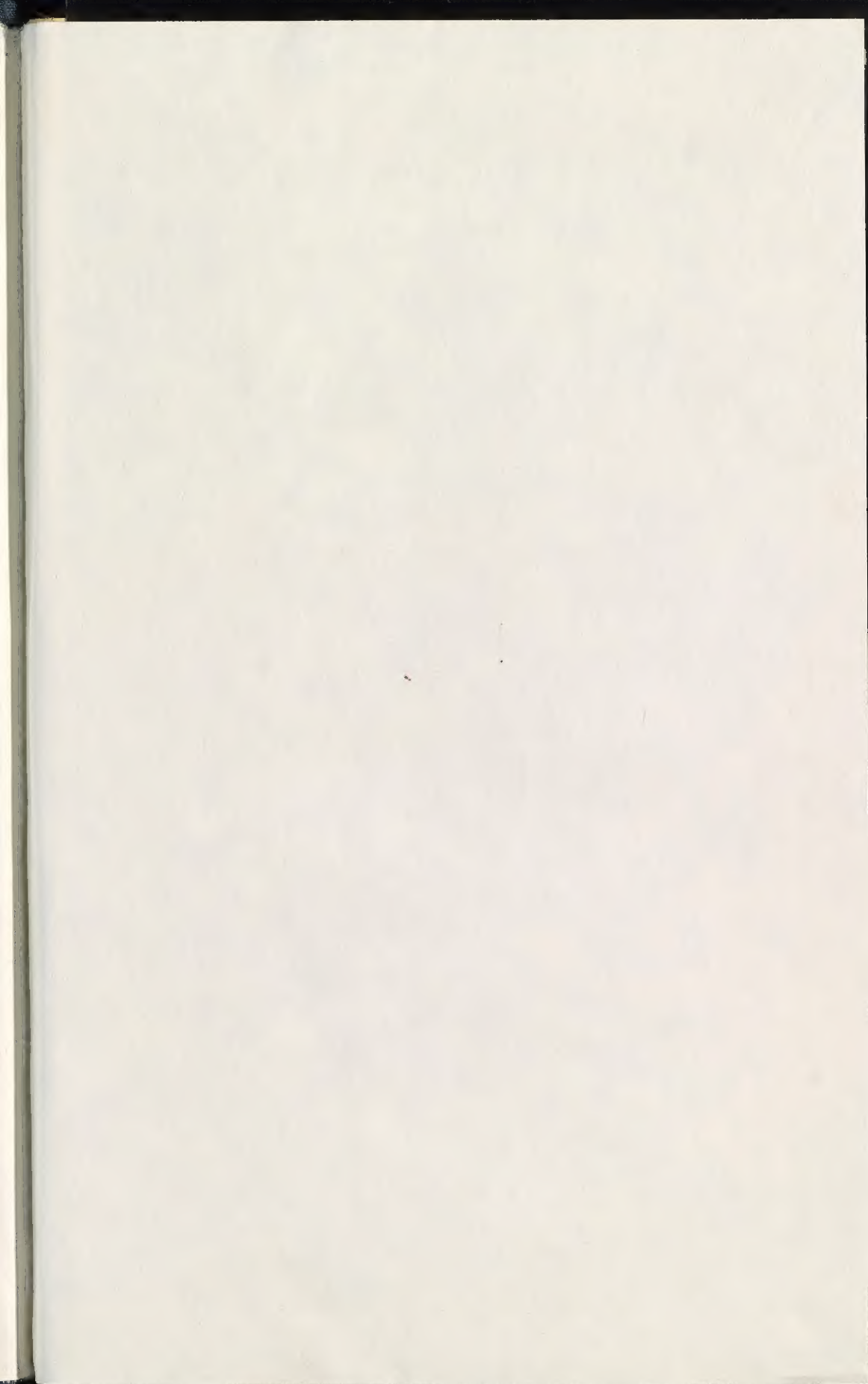
تأليف العلامة الأميركي ستودارد

ترجمة الاستاذ الكبير

عجاج نوري

يبحث عن كل ما يتعلق بالاسلام والمسلمين وتعدادهم وأقطارهم وقضاياهم
ومهمتهم واستبداد الغربيين وخصوصاً المستعمرين وهو الاحاتة الحقّة بأحوال
الاسلام والمسلمين في جميع العصور ولاسيما بعد الحرب العظمى







**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 01067 5562

PJ7814 .R7 1935

Diwan al-A